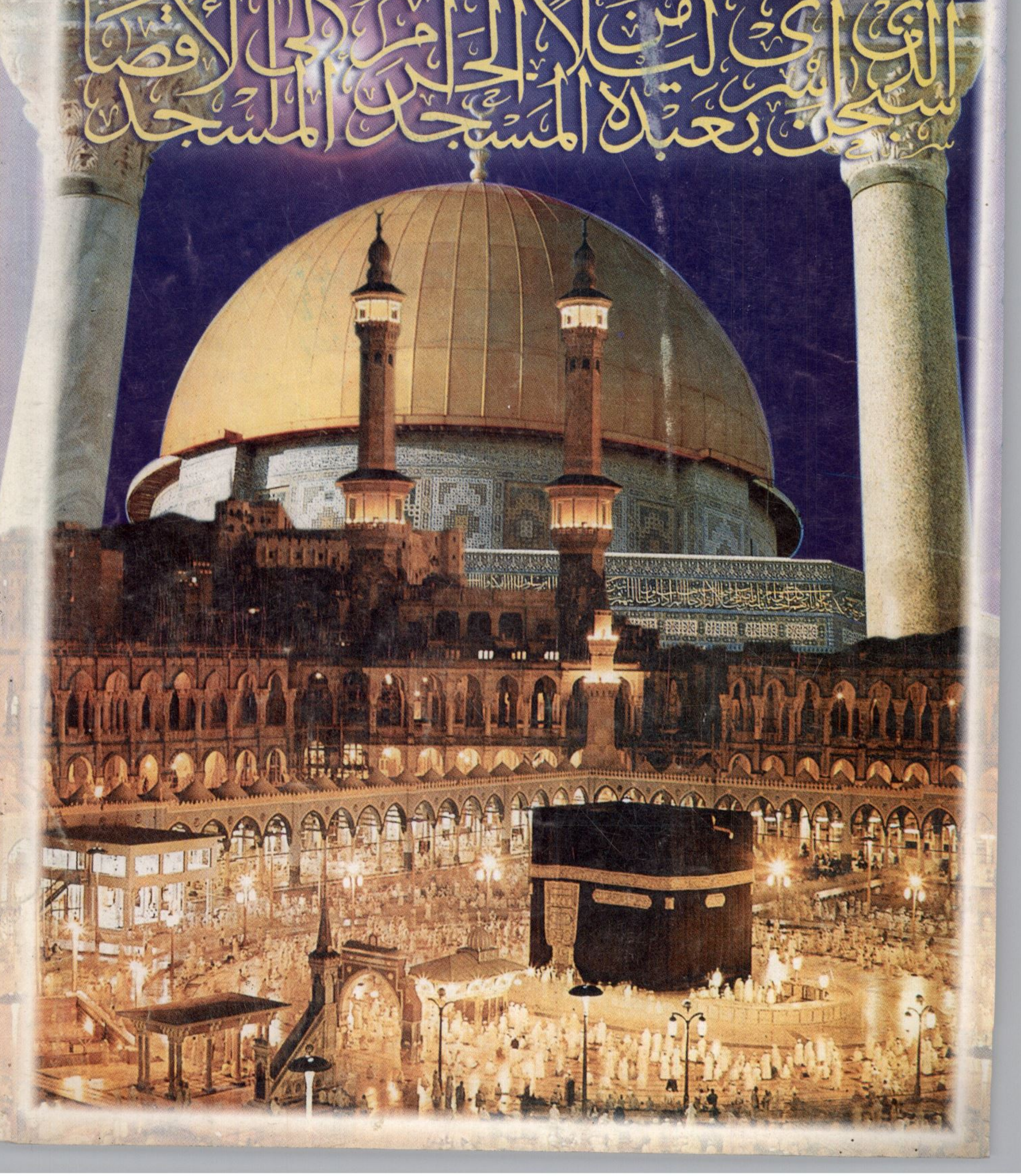

https://t.me/megallat/

* حقوق الإنسان فى الإسلام
لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر

* الإسلام وأثره فى تكوين الفكر العالمى
للدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف

* مقدساتنا والسّعَار المحموم ضد الإسلام
للدكتور عبدالصبور مرزوق

* الإســـراء والمعـــــراج
للدكتور أحمد عمر هاشم

* بيان مجمع البحوث الإسلامية حول مشروع الاستنساخ البشرى

* النظام الاقتصادى فى الإسلام
للدكتور عبدالله شحاتة

* الوسطية الإسلامية فى الحرية الإنسانية
للدكتور محمد عمارة

* ماليزيا المسلمة نمر من نمور جنوب شرق آسيا
للدكتور محمد بهى الدين سالم

* مكانة الشهداء عند الله
لواء جمال الدين محفوظ

غــلاف الشـــهر

* مع غلاف هذا الشهر نعيش ذكرى المعجزة الكبرى ـ الإسراء والمعراج ـ التى اختبر بها الله عز وجل النواة الأولى للمسلمين فمن صدَّق رسول الله فاز ونال بالقرب، أما من كذَّب أو شك فقد ابتعد عن طريق الحق. يقول الحق سبحانه وتعالى: «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**» صدق الله العظيم.

الاشتراكـــات

تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٠.٥٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراســـلات:
٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ ـ ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا ـ منبر الإسلام ـ القاهرة

جروب https://t.me/megallat/

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

كلمة التحرير

إنقاذ الأقصى واجب مقدس

فى هذا العدد نحن مع ذكرى معجزة كبيرة من المعجزات التى أرادها الله عز وجل تأييدا لرسوله وتكريما له وتثبيتا لقلبه وهذه الذكرى ـ الإسراء والمعراج ـ تشهد عليها محاريب المسجد الأقصى وقبابه ومآذنه ثالث المساجد فى الإسلام الذى يريد الصهاينة أن يهدموه ويقيموا مكانه معبدهم المزعوم فهم يعملون لَيل نهار للوصول إلى حفائر قديمة ترشدهم إلى مكان أطلالهم ويحفرون السراديب والأنفاق حوله وتحته بغية أن ينالوا من هذا المسجد الأشم وهو يستنجد بحماته فإننا نذكر أجيالنا بأقدس واجب عليهم وأعظم مسئولية في أعناقهم فالدفاع عن المقدسات جهاد فى سبيل الله هذا ما يقف القارئ عليه فى موضوعات هذا العدد الذى يحفل بكل ما يتطلع إليه من دراسات وأبحاث فى التفسير والحضارة الإسلامية وندوة الشهر التى تحدث فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حول حقوق الإنسان فى الإسلام وبيان مجمع البحوث الإسلامية حول الاستنساخ البشرى.

هذا بالإضافة إلى موضوعات المكتبة الإسلامية والموضوعات الأخرى التى يشترك معنا القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

مقدساتنا والسُّعار المحموم ضد الإسلام

مع أن هذا العدد من منبر الإسلام سيصدر والمسلمين تظلهم أحداث المعجزة الشامخة لرسول الإسلام محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهى معجزة الإسراء والمعراج التى وقعت فى مثل هذا الشهر الذى سمِّى أيامها عام الحزن بسبب فقد الرسول لظهيرين كانا كبيرين هما وفاة عمه أبى طالب وزوجته الوفية السيدة خديجة، وكانا نعم السند ـ بعد الله له ـ يمنحه الأول حمايته القبلية بسلطانها، وتمنحه الثانية دفء البيت وحنوّه، ومشاعر التثبيت والتأييد.

بقلم / رئيس التحرير

أقول مع جلال هذه الذكرى العظيمة فلن يكون موضوع الحديث لهذا الشهر، وحسبى أن الدعاة والخطباء والإعلاميين فى كل موقع يبسطون لها الكثير من الصفحات والكلمات.

وإنما سيكون حديثى عن هذا السّعَار المحموم الذى أحدث فى عقول وقلوب أعداء الإسلام والحاقدين على رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لوثة هائجة أفقدتهم رشدهم بل حتى نعومة الثعبان حين يلدغ فى تسلل وخفية فراحوا يصبون على رسول الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جام حقدهم وافتراءاتهم التى لا يجوز أن نتجاوزها دون رد قاصم لظهور الكفر الحاقد وغليان القلوب السود التى عميت بصائر أصحابها فراحوا يشتطون فى كل اتجاه.

الرسامة الصهيونية

فقبل شهور فاجأتنا وسائل الإعلام بتلكم الملصقات الرديئة والمتدنية بلا حدود التى تصور سيد الخلق ورسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ـ وحاشا لله ـ فى صورة «خنزير» يطأ بقدمه كتاب الله الكريم «القرآن».

ومع أن رئيس وزراء إسرائيل وبعض حاخاماتها قد حاولوا الاعتذار عن هذه الفعلة النكراء وكلفوا أجهزتهم بإزالة هذه الملصقات لكنها كانت أحد التعابير الدقيقة التى يصف أمثالها علماء النفس حين يتحدثون عما تدل عليه فلتات اللسان من الخبئ المكنون فى أعماق النفوس والذى يخرج فجأة كما تخرج الحمم من جوف البراكين.

وانفجر غضب كبير فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى بلغ فى بعض حالاته حدّ المطالبة بإهدار دم

هذه الفاجرة التى حملتها القحة على الاجتراء على مقام سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه.

براكين الحقد تتفجر

ومرت الأيام، وهدأ بركان الغضب.. لكن بركان الحقد فى قلوب أعداء رسول الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ماتزال تشتعل، فقد طالعتنا وسائل الإعلام بظهور كتاب جديد باللغة الأسبانية يتطاول على المقام النبوى بمالا يمكن الصبر عليه أو تجاهله..

فقد بلغ من القحة والإسفاف أدنى الحدود وأحطها فى الاتهام والتجريح. إلى حد أن يقولوا:

«إن الله أراد أن يصحح ما عمله الشيطان فأعطى العربى عمامة وسيفا، وجملا».

وليس هذا بجديد، فما أشبه الليلة بالبارحة فعبر القرون كان المشركون والكفار يتقولون على الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بمثل ذلك مما هو معروف.

لكن الجديد فيما نراه اليوم أنه تعبير عن مخطط كبير تقوده فى الغرب هجمة شرسة على الإسلام ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى القرآن الكريم والسنة وكان مؤسفاً أن يتورط فى هذه الحملة بعض الشخصيات ذات الوزن الوظيفى والسياسى الكبير إلى حد أن يقول أحدهم:

«لقد انتهينا من العدو الأحمر (يعنى الاتحاد السوفييتى) وأمامنا اليوم العدو الأخضر (الإسلام)».

وإلى حد أن يؤلف أحد كبارهم وهو صمويل هانتجتن كتاباً عنوانه «الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام». معرباً فى كتابه عن أن القرن القادم سيكون حتماً مجال الانتصار الكبير والنهائى للحضارة الغربية، واندثار ما يسمى حضارة الإسلام.

الأمر الذى كان لدينا فى المجلس رد فعله الكبير حين عقدنا المؤتمر العام التاسع للمجلس وكان عنوانه «**الإسلام والغرب**».

وقال نائب رئيس المجلس فى كلمة افتتاح المؤتمر إننا اليوم نتحدث عن آفاق التعاون ـ لا آفاق الصدام ـ حيث أن ما بين الإسلام والغرب من آفاق التعاون ماهو أكثر وأكبر من آفاق الصدام..

مقولات ظالمة:

وفى خطة المجلس بالنسبة للسلاسل الشهرية كتابان عن «**القرآن والرسول والمقولات الظالمة**» يعد أحدهما للإصدار القريب.

ويعد الثانى لكى يوضع على شبكة الإنترنت بعد ترجمته إلى الانجليزية.

وفى هذين الكتابين رد على قرابة أربعين اتهاماً وجهت إلى الإسلام فى شخص رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ متهمين إياه بما سبق أن قاله المشركون والكفار مضيفين إليه ما تفتقت عنه بواعث الحقد الأسود من مقولات ومتهمين القرآن كذلك بكل ما تصوره الأخيلة المريضة والعقول والقلوب التى فى الصدور.

المرضى والمسخرون فكريًا فى الداخل

وإذا كانت صيحات الخارجين لا تزعجنا بمقدار ما تحملنا على اتخاذ الخطوات والمخططات المناسبة لمواجهتها.

لكن المحزن والمؤسف أن لهذه الاتهامات والافتراءات جنوداً فى الداخل من «العلمانيين والمدخولين وأصحاب الفكر المنحرف نراهم بين حين وآخر يخرجون على القارئ المصرى بمقولات غريبة وعجيبة فيها اجترار وتوقح يبحث أصحابه عن مكان كبير فى عالم الشهرة على أساس «خالف تعرف».

وبعض الخلص من أهل الفكر قد يذهبون إلى حد إهدار دمائهم أو مصادرة أعمالهم.

لكن التجربة أثبتت أن فتوى الإمام الخومينى بإهدار دم سلمان رشدى كانت السبب فى أن أصبحت كتبه تباع بالملايين ومثله ما حدث مع المدخولة «تسليمة نسرين».

ومن ثم فواجبنا ألا تغفل أعيننا عن رصد هذه الأوكار ومتابعة كل ما يجرى فيها وما يخرج عنها لمواجهة الباطل بالحق ولرد كيد هؤلاء فى نحورهم.

ولهذا مكان آخر نخطط فيه لما نريد.

والله من وراء القصد والله غالب على أمره.

حدثي يا قدس

رشاد محمد يوسف

حدثي يا قدس يا مسرى النبي *** حدثي عن رحلة النور السني
كيف سار الركب من أم القرى *** يعبر الآفاق للبيت القصي
حدثي عن ليلة طاب السرى *** في دياجيها وطابت في العشي
سبّح الكون وحيّا ركابه *** وتناجي كلُّ مخلوق وحي

إنه الكون كتاب ناطق *** ما سوى الرحمن من يطويه طي
فاقتبس من كل آي حكمة *** والتمس هذا العطاء السرمدي
هاهو القدس وهذا ركنه *** ضم في أعطافه النفح الشذي
أنبياء الله صف بينهم *** أحمد كالبدر في الليل البهي

وسما جبريل بالضيف الزكي *** خير حاد وأمين وقوي
من سماء لسماء يرتقي *** في أمان الله والنور الوضي
ورأى الناس فريقا ناعما *** في ذرا الجنة والعيش الهني
وفريقا تزخر النار به *** من كفور أو ظلوم أو شقي
كل من كذب أنوار الهدى *** كل من كذب في القول نبي
حدثي كيف ارتقى ثم ارتقى *** ورنا يكسوه نور قدسي
قاب قوسين جلال ورضا *** وسلام يملأ القلب الرضي
وجوار طاب لم يسعد به *** أي مبعوث ولا أي صفي

التحيات لربي قالها *** وهو في حضرة رحمن علي
فرأى الإشراق يغزو قلبه *** بفيوضات من الله الغني
ورأى السدرة غشاها السنا *** في فجاج النور والأفق العلي
أمتي يارب أدرك خطوها *** واهدها يارب للدرب السوي
نجها من كل شر واحمها *** يا كريم العفو من إفك وغي
وارض عنها واغتفر زلاتها *** بالرضا السمح وبالعفو السني
ويجاب الضيف محمود القرى *** والعطايا من يدى رب سخي
صلى بالأمة خمسا إنها *** تعدل الخمسين في الأجر لدى
وتشفع ساعة الحشر لها *** يوم يعنو كل مخلوق إلي
حدثي يا قدس عن إسرائه *** علّ في الذكرى خلاص للشجي
علنا نجمع أشتات القوى *** ونعيد النور للبيت القصي

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة الفتح
- التفسير البيانى للقرآن الكريم
- دور العلم فى تجلية معانى القرآن
- خلق الوفاء

نظرات فى كتاب الله تعالى

«تفسير سورة الفتح»

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

قال الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . ويُتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا » (الآيات ١-٣)

١ ـ سورة « الفتح » من السور المدنية - أى من السور التى كان نزولها بعد الهجرة - وعدد آياتها : تسع وعشرون آية. وكان نزولها فى أعقاب صلح الحديبية.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله- « نزلت سورة « الفتح » حين رجع رسول الله - ﷺ- من الحديبية، فى شهر ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة، بعد أن صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، ليقضى عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتى من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة »(١)

٢ ـ والمتدبر للقرآن الكريم يرى كثيرا من آياته وسوره قد نزلت فى أعقاب بعض الغزوات، ليتعلم المسلمون من تلك الآيات والسور ما ينفعهم ويصلح من شأنهم.

فمثلا فى أعقاب غزوة «بدر» نزلت سورة الأنفال التى سماها ابن عباس بسورة بدر.

وفى أعقاب غزوة « أحد » نزلت عشرات الآيات من سورة آل عمران، لتتحدث عن الدروس المستفادة من هذه الغزوة.

وفى أعقاب غزوة «بنى النضير» نزلت عدة آيات من سورة الحشر.

وفى أعقاب غزوة «الأحزاب» نزلت آيات طويلة من سورة الأحزاب، صورت أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم فى هذه الغزوة.

وفى أعقاب صلح الحديبية نزلت هذه السورة الكريمة، وهى سورة «الفتح» التى حكت لنا الكثير من الوقائع والمحاورات التى تتعلق بهذا الصلح.

٣- وقبل أن نبدأ فى تفسير هذه السورة تفسيرا محررا، نرى من الخير أن نعطى القارئ الكريم فكرة

مختصرة عن صلح الحديبية، هذا الصلح الذى نزلت فى أعقابه هذه السورة فنقول:

رأى النبى - ﷺ- فى منامه أنه قد دخل المسجد الحرام هو وأصحابه، وقد صرحت سورة الفتح بذلك فى قوله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون...» (الآية ٢٧).

فقص النبى - ﷺ - هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا بها، وكان المشركون قد منعوهم من دخول مكة ومن الطواف بالمسجد الحرام. وخرج - ﷺ - ومعه حوالى أربعمائة وألف من أصحابه، ليس معهم من السلاح سوى السيوف فى أغمادها، وساقوا معهم الهدى الذى يتقربون بذبحه إلى الله تعالى، ليكون دليلا على أنهم لا يريدون حرب قريش؛ وإنما يريدون الطواف بالبيت الحرام، وسار - ﷺ- من المدينة إلى مكة، فلما وصل إلى مكان يقال له «عُسْفَان» بين مكة والمدينة، جاءه من يقول له: إن قريشا حين سمعت بمسيرك إلى مكة، قد استعدوا لقتالك، وقد تعاهدوا فيما بينهم على منعك أنت وأصحابك من دخولها...

فقال - ﷺ- يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب، فإن أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة. فما ظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم حتى يظهر الله تعالى دينه...»

ثم قال - ﷺ-: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها؟ فقال رجل من قبيلة أسلم: أنا يا رسول الله، ثم سلك بالمسلمين طريقا وعرا، انتهى بهم إلى «الحديبية» وهى قرية على بعد مرحلة من مكة، أو هى بئر سمى المكان باسمها...

وفى هذا المكان بركت القصواء، وهى الناقة التى كان يركبها النبى - ﷺ- . فقال الناس: خَلأَتْ الناقة- أى: امتنعت عن المشى - فقال - ﷺ- ما خلأت القصواء وماهو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. والله لا تدعوننى قريش إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم أمر - ﷺ - الناس بالنزول فى هذا المكان.

٤- وعلمت قريش بنزول الرسول - ﷺ- وأصحابه بالحديبية، فبدأوا يرسلون رسلهم لمعرفة الأسباب التى حملت المسلمين إلى المجئ إليهم. وكان من بين الرسل الذين أرسلتهم قريش، بُدَيل بن ورقاء الخزاعى، فلما سأل الرسول - ﷺ- عن سبب مجيئه إلى مكة، أخبره أنه لم يأت ليريد حربا، وإنما جاء زائرا للبيت الحرام، ومعظما لحرمته..

وعاد بُدَيل إلى مكة، وأخبر المشركين بما قاله الرسول - ﷺ- ولكنهم لم يقتنعوا، وقالوا: والله لا يدخلها علينا عنوة أبدا.

ثم أرسلت قريش رسلا آخرين إلى النبى - ﷺ - كان من بينهم عروة بن مسعود الثقفى، فأخبره الرسول - ﷺ- أنه لا يريد حرب قريش وانما يريد العمرة...

وعاد عروة إلى قرييش ليقول لها: يا معشر قريش، انى قد جئت كسرى فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وانى والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد فى أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا، وإنه قد أخبرنى أنه ما جاء لمحاربتكم، وانما جاء معتمرا.. ومع ذلك فقد صمم المشركون من أهل مكة على عدم دخول الرسول - ﷺ- وأصحابه عليهم فى مكة.

٥- ثم أرسل - ﷺ - عثمان بن عفان إلى مشركى مكة، لكى يخبرهم بأن المسلمين ما جاءوا للحرب، وانما جاؤا للطواف بالبيت الحرام، وذهب إليهم عثمان

وأخبرهم بذلك، ولكنهم صمموا على منع المسلمين من دخول مكة، وقالوا لعثمان - رضى الله عنه - : إن شئت أنت أن تطوف بالبيت الحرام فافعل، فإننا قد أذنّا لك فى ذلك. فقال لهم: معاذ الله أن أطوف أنا حتى يطوف رسول الله - ﷺ -.

وطال مكث عثمان - رضي الله عنه - فى مكة، حتى أشيع بين المسلمين أنه قد قتله المشركون. فقال - ﷺ - حين أشيع ذلك: « **والله لا نبرح حتى نناجز القوم إن كانوا قد قتلوا عثمان** » . ودعا المسلمين إلى مبايعته على الموت، فبايعه المسلمون على ذلك تحت شجرة الرضوان..

٦- وأخيرا أرسلت قريش إلى النبى - ﷺ - رجلا منهم اسمه سهيل بن عمرو، ليعقد صلحا جامعا مع المسلمين، وبعد محاورات بين سهيل وبين النبى - ﷺ - تم الصلح على ما يأتى:

(أ) أن يرجع المسلمون دون زيارة البيت الحرام هذا العام، فإذا كان العام التالى، أخلت قريش لهم مكة ثلاثة أيام، ليطوفوا بالبيت، وليس معهم سوى السيوف فى غمدها.

(ب) أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنوات.

(جـ) من أتى الرسول - ﷺ - من قريش مسلما بغير إذن وليه رده إليهم، ومن أتى قريشا من المسلمين لم يردوه.

(د) من أحب أن يدخل فى عقد مع الرسول - ﷺ - فله ما أراد، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش فله ذلك، فدخلت قبيلة خزاعة فى عقد مع الرسول - ﷺ - ودخلت قبيلة بكر فى عهد قريش.

وقد تردد بعض المسلمين فى قبول الرسول - ﷺ - لهذه الشروط، التى ظاهرها الظلم بالنسبة للمسلمين، حتى قال عمر - رضي الله عنه - للرسول - ﷺ - : يا رسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ فقال رسول الله - ﷺ -: « **إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى** » .

ثم أشار - ﷺ - إلى المسلمين أن يتحللوا من عمرتهم، بأن ينحروا هديهم، وأن يحلقوا رءوسهم أو يقصروا، ولكنهم لم يسارعوا بالامتثال، فدخل - ﷺ - على زوجه السيدة أم سلمة، وقد ظهر الغضب على وجهه، فقالت له يا رسول الله: اعذرهم، وابدأ بما تأمرهم به دون أن تكلم منهم أحدا. **فقام - ﷺ - فنحر هديه، ودعا حالقه فحلق له، فلما رأى المسلمون ذلك منه - ﷺ - قاموا ففعلوا كما فعل.**

وبعد أن أقام المسلمون بالحديبية عدة أيام، قفلوا راجعين إلى المدينة، وعندما سمع رسول الله - ﷺ - بعضهم وهو يقول: رجعنا دون أن نفعل شيئا، رد عليه بقوله: « **بل فتحتم أعظم الفتح** » .

وصدق رسول الله - ﷺ - فقد كان صلح الحديبية فتحا عظيما، كما نرى ذلك عند تفسيرنا لهذه السورة الكريمة.

٧- ومن الأدلة على أن هذا الصلح كان شيئا عظيما بالنسبة للمسلمين افتتاحها بهذه البشارات السامية، وبتلك المدائح العالية، التى فيها ما فيها من الثناء على النبى - ﷺ -، حيث قال سبحانه: « **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** » .

والفتح فى اللغة معناه: إزالة الأغلاق عن الشئ، وفتح البلد معناه: الظفر به ووقوعه تحت سيطرة الفاتح. والمراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وما ترتب عليه من خيرات كثيرة، ومنافع جمة للمسلمين.

ويشهد لذلك أحاديث متعددة، منها: ما جاء فى صحيح البخارى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: أقبلنا من صلح الحديبية مع رسول الله - ﷺ - فبينما نحن

نسير إلى المدينة، إذ أتاه الوحى، فلما سرى عنه، أخبرنا أنه أنزل عليه: «إنا فتحنا لك فتحا مبينا».

وروى أبو داود فى سننه، عن مجمع ابن جارية الأوسى قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا منها، وجدنا رسول الله - ﷺ - واقفا عند كراع الغميم- وهو موضع بين مكة والمدينة - وقد جمع الناس وقرأ عليهم: «إنا فتحنا لك فتحا مبينا»، فقال: رجل يا رسول الله، أو فتح هو؟ فقال: والذى نفسى بيده إنه لفتح»(٢).

ويرى بعضهم أن المراد بالفتح هنا: فتح مكة. والتعبير عنه بالماضى فى قوله «إنا فتحنا» لتحقق الوقوع. والذى نرجحه هو الرأى الأول، وهو أن المقصود بالفتح هنا : صلح الحديبية لوجود الآثار الصحيحة التى تشهد بذلك، ولأن هذا الصلح قد ترتب عليه من المنافع بالنسبة للدعوة الإسلامية ما يجعله من أعظم الفتوح إن لم يكن أعظمها.

لقد ترتب عليه أن انتشر الأمان بين المسلمين والمشركين، فاستطاع المسلمون أن ينشروا دعوة الحق في مكة وفى غيرها، كما استطاعوا أن ينتقلوا من مكان إلى آخر للتبشير بدينهم، فترتب على ذلك دخول عدد كبير من الناس فى الإسلام.

قال الزهرى: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، وتمكن الإسلام من قلوبهم، وأسلم خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام.

وقد أكد - سبحانه - هذا الفتح بثلاثة أنواع من المؤكدات وهى «إن»، والمصدر «فتحا» والوصف «مبينا» وذلك للمسارعة إلى تبشير المؤمنين بتحقق هذا الفتح، ولإدخال السرور على قلوبهم بعد تلك الشروط التى اشتمل عليها صلح الحديبية، والتى ظنها بعضهم فيها إجحاف بالمسلمين.

٨- ثم ذكر - سبحانه- بعض مظاهر فضله وتكريمه لنبيه - ﷺ- فقال: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا».

والمراد بما تقدم من ذنبه - ﷺ - ما كان قبل النبوة، والمراد بما تأخر منه: ما كان بعد النبوة.

والمقصود بالذنب هنا بالنسبة له - ﷺ - ماكان خلاف الأولى، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. والمعنى: إنا أعطيناك يا - محمد - هذا الفتح العظيم، وجعلنا منه مغفرة ما كان خلاف الأولى من أعمالك، ويسرناه لك لكى نتم نعمتنا عليك بإظهار دعوتك، ولكى نهديك ونرشدك إلى الطريق القويم، ولكى ننصرك على أعدائك نصرا قويا منيعا لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، لأنه من خالقك الذى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هذا، والمتأمل فى هذه الآيات الكريمة يرى أن الله - عز وجل - قد أكرم نبيه - ﷺ - إكراما لا يدانيه إكرام، ومنحه من الخير والفضل ما لم يمنحه لأحد سواه - ﷺ-.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعا ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، إنه على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٢٠٧

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٢٠٧، وتفسير الألوسى جـ ٦ ص ٨٣

التفسير البيانى للقرآن الكريم

أ. د/ عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروُا الضلالةَ بالهُدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مُهتدينَ. مثلُهم كمثل الذى استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حَولَهُ ذهبَ اللهُ بنورهم وتركهُمْ فى ظلمات لا يُبصرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لا يرجعون. أو كصيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعَهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير﴾.

«سورة البقرة الآيات من ١٥ ـ ٢٠»

فى هذه الآيات الكريمة صور القرآن الكريم عدول الكافرين والمنافقين عن الهدى إلى الضلالة فى صور دقيقة، وحين جاء القرآن الكريم أعرضوا عنه فضلوا وعاشوا فى شقاء وتعاسة وأصبحوا فى مأساة لا يحس بها غيرهم.

والضلالة: هى الجور عن القصد، والمراد: العدول عن الصواب فى الدين، والهدى، التوجه إلى الهدف الصحيح المستقيم، وإصابة الوصول إليه، والمراد: الاستقامة على أصول الدين.

والإشتراء: هو الاستبدال، وهو يعنى الحصول على شىء مرغوب فيه فى مقابل التنازل عن قيمته من شىء آخر، والشراء يكون فيما يحب مشتريه، والمراد هنا: الاختيار، فهذه الفئة الضالة اختاروا طريق الضلال على طريق الهدى والرشاد، فاستحبوا الكفر على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾، ونلاحظ دخول الباء على كلمة (الهدى) فى قوله تعالى: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾، وهذه الباء للعوض والمقابلة، وهى تدخل ـ عادة ـ على المتروك، وهى ـ هنا ـ كذلك ـ فالمرغوب فيه عند الضالين هو الضلالة والمتروك الذى رغبوا عنه وكرهوه هو الهدى، وقد دخلت عليه الباء، وهى القاعدة اللغوية الصحيحة التى

لا يراعيها كثير من المتحدثين بالعربية الآن، ويجب عليهم الاقتداء بالقرآن الكريم.

والتجارة، هى صناعة التجار، وهى التصدى للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الزيادة على رأس المال.

والله سبحانه صور فئة الكافرين والمنافقين فى تفضيلهم الضلالة على الهدى بصورة جماعة تشتغل بعملية البيع والشراء تنازلت عن سلعة ثمينة يربح مشتريها ربحا هائلا فى مقابل الحصول على سلعة خبيثة بفقد مشتريها الربح، بل ربما فقد رأس ماله.

والسلعة الثمينة - هنا - هى: (الهدى) الذى هو مقتضى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهى مثل رأس المال الصالح للربح الكثير، وهو استقامة الحياة، والثواب من الله تعالى.

والسلعة الخبيثة - هنا - هى: (الضلالة)، وهى التى تعنى فقدان كل شىء من رأس المال والربح، بل تؤدى إلى العجز، وتراكم الكوارث على صاحبها.

وهؤلاء الضالون فقدوا وعيهم وإدراكهم، فلم يميزوا الغث من السمين، بل تركوا الطيب إلى الخبيث، فقد فضلوا الضلالة على الهدى، فضلوا ضلالا مبينا، وخسروا أشد الخسران، وعبر القرآن الكريم عن خسارتهم الفادحة بقوله سبحانه: **﴿فما ربحت تجارتهم﴾**، ودل ذلك على عدم معرفتهم بطرق الكسب والربح، وهذا دليل مادى على سوء العاقبة، وأنهم أضاعوا حياتهم، لأنهم لم يعرفوا الطريق السليم الذى يوصلهم إلى الربح، والمكسب الحقيقى لخلل وقع فى عقولهم، ولضعف استعدادهم وفساده، وبذلك فقدوا رأس مالهم الذى كان من الممكن أن يزيد بالإيمان والاهتداء إلى الحق والصواب، فليس عندهم - ويا لسوء الحظ - علم بما يصح، وما لا يصح، وصدق عليهم قول الله تعالى: **﴿وما كانوا مهتدين﴾**.

وبعد أن حكى القرآن الكريم حالهم وإعراضهم عن الحق ضرب الأمثال التى توضح شأنهم، وتكشف صنيعهم الشائن، وآثاره النازلة بهم فى صور محسوسة لينقل المعقول إلى المحسوس، فيكون أكثر ثباتا فى ذهن السامع والمتأمل، وهذه التجلية للمواقف ليتذكر أولو الألباب **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون﴾**.

جاء القرآن الكريم فاهتدى به المؤمنون فنجوا، وأعرض عنه الكافرون والمنافقون فضلوا، وقد مثل المولى سبحانه حال هذه الجماعة الضالة بعد مجىء القرآن بالهدى وإعراضهم عنه، وسوء عاقبتهم بحال جماعة أوقدوا ليلا نارا ليستدفئوا بها، وتضىء لهم، فأفاد منها فريق، وفريق آخر لم يهتم بالانتفاع بها، فانطفأت من حوله النار فصار فى ظلام دامس، فقال: **مثلهم كمثل الذى استوقد نارا .. إلخ**.

والمثل بمعنى القصة والمراد، صنعتهم، وقصتهم كقصة المستوقد، واستوقد: بمعنى أوقد، والمراد، أشعل نارا فى ظلمة، والإضاءة: الزيادة فى النور كما يوضح ذلك قوله تعالى: **﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾**.

وأضاءت ما حوله: أى أنارت المكان الذى حول المستوقد، وقد عبر بالاسم الموصول (ما) عن المكان الذى يجلس فيه، وضمير الفاعل - هنا - مفرد فلعل الموقد هنا واحد على ما نعلم من أنه يمكن أن يقوم بهذا العمل شخص واحد، ثم ينتفع بالنار جماعة، ولذلك جمع الضمير حين قال: **﴿ذهب الله بنورهم﴾** فالذين عمهم الدفء والضوء جماعة.

ويمكن أن يكون استعمل (الذى) وضمير الفاعل

العائد عليه مفردا لفظا وأراد به الجماعة، وهى لغة لبعض العرب، كقوله تعالى: ﴿والذى جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون﴾ فالمعنى هنا: مثلهم كمثل الذين استوقدوا النار إلخ، ويؤيده - أيضا - قوله تعالى: - بعد ذلك - : ﴿ذهب الله بنورهم﴾، فحمل أول الكلام على الواحد، وآخره على الجمع.

ولسائل أن يسأل: لماذا قال سبحانه ﴿ذهب الله بنورهم﴾ دون أن يقول: «ذهب الله بضوئهم» على مقتضى السياق بعد أن ذكر (أضاءت) قبل ذلك؟

وسر اختيار الكلمة الأولى (بنورهم) أن يؤكد أن كل شىء قد ذهب تماما، فلم يبق بصيص من النور بعد أن انطفأت النار، وقد يظن أن ذلك قد حدث، فالغرض إذهاب النور عنهم تماما، ولو قال: «ذهب الله بضوئهم» فربما يجول فى الذهن أن الذى ذهب هو السطوع، وبقى جزء من النور كما يحدث فى أحيان كثيرة حينما تنطفىء النار، والأمر فى الآية ليس كذلك.

وجاء التعبير بقوله تعالى: ﴿وتركَهُم فى ظلمات لا يُبصرون﴾ دالاً على تعدد الظلمات التى عمت المكان الذى أوقدت فيه النار، والصور: الحسية المعنية هنا صورة الجماعة الذين أوقدوا النار فى مكان مظلم تراكم غمامة فمحا النور الظلام عن المكان وأذهب الخوف عن قلوب الجماعة فاستدفأوا، وأبصر وا ما حولهم، ثم فجأة انطفأ النُّور، وذهب عنهم فبقوا متحيرين خائفين لا يدرون أين الطريق.

والصورة المعنوية المقابلة هى صورة الكافرين والمنافقين وقد استبد بهم الكفر فجاء الإسلام، وكتابه القرآن الكريم بمعانيه، ومبادئه وأحكامه لينقذهم من الكفر والضلال، فلم يتبعوه، ولم يؤمنوا به فضلوا، وزلوا.

وقد نقل القرآن الكريم الصورة المعنوية إلى صورة حسية، فالكفر والنفاق ظلمات، والإيمان، والقرآن نور، كما قال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم. يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾.

وهنا قرَّر القرآن الكريم أن الكفار والمنافقين قد جنوا على أنفسهم لأنهم لم يذعنوا لآياته البينات، فالقرآن - هنا - هو النور الذى أطفأه الله تعالى، والظلمات التى عمتهم هى ظلمة الكفر والنفاق والضلال، وظلمة يوم القيامة، وسخط الله عليهم، وظلمة العقاب السرمدى، فهى ظلمات كثيرة، وهى على التشبيه كما نعلم.

ولما لم يجد الله تعالى منهم استعدادا لتلقى الإيمان، وسماع القرآن أذهبه من حياتهم، وطمس على قلوبهم فهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمىٌ فهُم لا يرجعون﴾.

الصَّمَم - فى كلام العرب: الانسداد، يقال: قناة صمَّاء: إذا لم تكن مجوفة، وصممتُ القارورة: إذا سددتها، فالأصمُّ: مَن انسدتْ خروق مسامعه، وجمعه، صُم.

والأبكم: الذى لا ينطق، ولا يفهم، فإذا فهم فهو الأخرس، وقيل: الأخرس والأبكم واحد، وجمع الأبكم: بُكْمُ.

فهم صُمٌ عن استماع الحق، بُكمٌ عن التكلم به، عُمْىٌ عن الإبصار له، فهم لا يرجعون إلى الحق لسابق علم الله تعالى فيهم.

فليس المراد - إذاً - نفى حواس السمع، والنطق، والبصر عنهم، وإنما المراد عدم قبولهم الحق والإيمان مع وجود هذه الحواس، فأهملوها فأصبحت كأنها معدومة لا موجودة، ولذا فهم لا يرجعون عن غيهم وضلالهم، ولا يدركون الصواب بالإيمان الحقيقى، لقد أهملوا حواسهم الظاهرة والباطنة فاعتبرت كأنها ذاهبة عنهم، وهذا الذهاب ذهاب للنفع الذى تؤديه هذه الأدوات، وليس ذهابا لها على الحقيقة، فهى تمثيل لإعراضهم عن القرآن، ودعوة الحق، وعدم انتفاعهم برؤية عجائب الله فى خلقه انتفاعا صحيحا.

وهذه صورة رائعة من صور التعبير القرآنى تدفع الكفر والضلال، وتكشف أضراره وأوزاره، وتوضح الهدى والحق وتبين منافعه وثماره، بحيث لا يخفى أى منهما إلا على مَنْ لا يسمع، ولا يرى، ولا يجعل لعقله مجالا للتفكير.

وصورة أخرى يضرب الله تعالى فيها المثل لكفرهم، وتمسكهم به، وإعراضهم عن الحق، والإيمان إعراضا متمكنا من نفوسهم، وعقولهم، وسلوكهم، وفى الجانب الآخر يمثل كذلك ما يحدثه القرآن الكريم من التأثير القوى حتى على المعاندين والمكابرين، وهم يحاولون أن يمنعوا أثره، فيحرموا أنفسهم من خيره، وهدايته، وبذلك يحل بهم الوبال، والنكال فى الدنيا والآخرة.

وذلك فى قوله تعالى: «أو كصيِّبٍ من السماء..» الخ.

أو - هنا - بمعنى الواو كما قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدرا

كما أتى ربَّه موسى على قدر

على معنى: وكانت، والصيِّبُ: المطر، سُمى بذلك لنزوله، يقال: صاب يصوب: نزل، والسماء: كل ما علاك من سقف ونحوه، والسماء: المطر، سمى بذلك لنزوله من جهة السماء قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غِضابا

والظلمات، جمع ظلمة، وجمعها لأنها تعددت مصاحبة للصيِّب، فهناك ظلمة السحاب، وظلمة المطر، وظلمة الليل الذى نزل فيه، والرعد والصاعقة بمعنى واحد، أو الصاعقة هى الصيحة الشديدة من صوت الرعد تكون فيها القطعة من النار، أو هى نار تخرج من السحاب.

ويصور المولى سبحانه - هنا - جماعة من المسافرين صادفت ليلة شديدة الظلام تنزل فيها مطر شديد تتخلله الرعود التى اشتدت أصواتها والبروق، ومن شدة خوف هذه الجماعة، وعدم تحمل آذانهم للأصوات التى تنزل عليها وضعوا أصابعهم فى آذانهم، وهم فزعون من تأثيرها عليهم، وقد عبّر القرآن الكريم بالأصابع عن الأنامل مبالغة فى محاولتهم منه هذا التأثير فقال سبحانه: **﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾**.

وهم - مع ذلك - إذا رأوا ضوء البروق ساروا فيها، وإذا خبت أمسكوا عن السير متحيرين **﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾**.

فمعنى يكاد: يقرب، ويوشك والخطف: الأخذ بسرعة، ومعنى قاموا: أمسكوا عن السير حتى يزول الظلام.

وهكذا يمثل الحق تبارك وتعالى موقف الكافرين، والمنافقين، وعنادهم ونزول القرآن بالخير، وحرمانهم

منه بصورة جماعة مسافرة نزل بهم مطر شديد يبعث البروق، ولم ترد الاستفادة منه لما فى طبيعتهم من شر وفساد، ففسدت حياتهم، ولم يبق لهم من استقبال المطر إلا أن يعيشوا فى ظلماته، ويحاولوا أن يحموا أنفسهم من صواعقه.

إن القرآن الكريم مُمثَّل فى هذه الصورة بالمطر الذى نزل ليحيى البشرية كلها، وبالبرق الذى يتسرب من خلال ظلمة السحاب، وظلمة المطر، وظلمة الليل الشديد، وهذه الظلمات تعبر عن الضلال الذى يعيش فيه الكفار والمنافقون، وحجج القرآن التى ترد على خواطرهم فيتركونها ويصدون عنها مُمثلة بالصواعق التى تجعل الجماعة التى نزل عليها المطر تضع أصابعها فى آذانها خوفا منها أن تذهب بأسماعهم، والموت الذى يخشون أن يحل بهم هو الإيمان الذى يذهب بالكفر والضلال، وغيرهما من العقائد الفاسدة.

إن الصورة رائعة فى بيان تأثير القرآن القوى وتسربه إلى أفئدة المعاندين الذين يحاولون أن يمنعوه بكل قوة، وبأس فلا يستطيعون؛ لأنه يختلط بالدم، ويجرى فى العروق، ويسيطر على العقل والتفكير قبل أن يختلط بالحواس الظاهرة؛ ولذا فإن تأثيره شديد مهما يبالغوا فى صده؛ أو الإعراض عنه، **﴿والله محيط بالكافرين﴾** فيهلكهم ويعاقبهم جزاء إعراضهم.

وقد صور لنا جانبا من انقيادهم له حينما قال: **يكاد البرق يخطف أبصارهم.. إلخ**، فهذا - كما يذكر لنا المفسرون -تمثيل لحالهم بأنهم كلما سمعوا من القرآن ما فيه من الحجج أزعج قلوبهم بظهورها لهم فصدقوا به إن كان مما يحبون من عصمة الدماء والأموال والغنيمة ونحوها، وإن كان مما يكرهون من التكاليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم والزكاة وقفوا متحيرين.

واختطاف البرق لأبصارهم مثل لإزعاج القرآن بما فيه من الحجج، وتصديقهم لما سمعوا مما يحبون مُمثَّل بمشيهم فى البروق، ووقوفهم متحيرين مما يكرهون ممثل بقيامهم فى الظلمة.

وهم حين يسمعون القرآن بآياته البالغات يخشون من نفاذه إلى قلوبهم وتأثيره فيهم، فيحاولون الإعراض عن سماعه حتى لا يقع الإيمان فى قلوبهم، فالانتقال من الكفر إلى الإيمان يعدٌّ - فى نظرهم - موتا، وهلاكا لهم، وهم - مع ذلك - متأرجحون بين الشك واليقين يعرض لهم الإسلام ومبادئه فيميلون إلى الدخول فيه، ثم يعرضون عنه.

وهكذا تكتمل هذه الصورة المحسوسة للتَعبير عن صفة المعاندين والمكابرين وهى دقيقة فى استقصاء عناصرها وأجزائها، فكل عنصر فى نسيج قصتهم قوبل بعنصر محسوس فبدت متناسقة مؤتَلفة.

ولأنهم عموا عن الحق قال الله تعالى: **﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير﴾**.

هذا تهديد من الله سبحانه وتعالى لجماعة المعاندين الذين أصموا آذانهم عن سماع القرآن، وأبعدوا أبصارهم عنه مع وضوح البراهين والدلائل على صدق القرآن الكريم ومَنْ أُنزل عليه وهو نبىُّ البشرية محمد ﷺ، ولا شك فى قدرة ذى الجلال على إذهاب سمعهم وأبصارهم؛ لأنهم منعوها من أداء وظيفتها التى خلقت من أجلها وهى التفكير فى آيات الله، والتأمل فيها، فقد عمِيت بصائرهم، وقلوبهم بالكفر فلم يعد جدوى من وجود حواسهم الظاهرة فإذهابها عنهم أولى.

دور العلم فى تجلية معانى القرآن

أ.د أحمد فؤاد باشا

القرآن ثمرة جميع العلوم :

يتفاوت الناس فى فهمهم للقرآن بحسب درجاتهم وأحوالهم واستطاعتهم، وهم فى عصرنا أحوج من أى عصر مضى إلى أن يتعلموا من مأدبته ما استطاعوا، وأن يفيدوا من كنوزه وأسراره فى إصلاح دنياهم والفوز بنعيم أخراهم.

يقول الراغب الأصفهانى فى كتابه «مقدمة التفسير»: «ثم إن القرآن ـ وإن كان فى الحقيقة هداية للبرية فإنهم لن يتساووا فى معرفته، وإنما يحظون به بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم، فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه ما يجهله غير المتخصص بفنه. وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته فى العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه..».

وأهل الاختصاص فى فروع العلوم الكونية ـ بطبيعة الحال ـ ليسوا بدعا بين هؤلاء الذين ذكرهم الأصفهانى، فكل ما يساعد من حقائق العلم على تعميق فهمنا لمعانى القرآن الكريم وتعاليمه وأحكامه، هو ما يجب الأخذ به. وقد ذكر الأصفهانى نفسه أن بعض العلماء قالوا: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لا لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار تعالى إلى القرآن بقوله: «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء» النحل ـ ٨٩.

وحدث الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم» قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه

الآراء، لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه. وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد» سورة الجن: آية ١ ـ ٢. من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

الخطاب القرآنى عن الكون:

إن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون، والهداية التى جاء من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون، أو بما يستعصى على أفهامهم، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته، وحاملا على التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه، كذلك تقتضى الهداية القرآنية ألا يوافق القرآن الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور التقدم العلمى والتقنى التى علم منزل القرآن أنها ستكون.

وتجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه، ومن أكبر الدلائل على أنه حقا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون. على أن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين، أو من محدثيهم ـ الذين لم يدرسوا جانبا كافيا من العلم الكونى بعد أن ارتقى منهجه واستطاع الكشف عن حقائق كونية قطعية الثبوت، ـ أن يحدثوا عن حقيقة كونية بما لم يعلموا قبل أن يهتدى إليها الناس من علم اليقين.

تحذير واجب:

مما يؤسف له أن البحث فى جوانب الإعجاز العلمى للقرآن الكريم قد استهوى كثيرا من غير المؤهلين تأهيلا كافيا، وحاول بعض المتحمسين منهم أن يضعوا القرآن والعلم فى حلبة سباق بحجة إظهار سبق القرآن إلى القول بأحدث النظريات العلمية. من ذلك أنه عندما ركب الإنسان أول مركبة فضائية خف من يقول لنا: إن هذه المركبة هى الدابة التى تخرج من الأرض لتكلم الناس، إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: «**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**» النمل ـ ٨٢..

كذلك ظهر من يقول بأن الإنسان إذا خرج من صاروخه إلى أرض القمر فسوف يكون مصيره الهلاك المحتوم، مستندا فى ذلك إلى قوله تعالى: «**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان. يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**» الرحمن ـ ٣٣ ـ ٣٥.

ولم يمض بضع سنين بعد قول صاحبنا هذا حتى تحقق هبوط الإنسان على سطح القمر.

وثمة مثال ثالث لا يقل غرابة ومجافاة للحقيقة عن سابقيه، وهو قول القائلين بأن القرآن الكريم سبق إلى الحديث عن «الذرّة» وانشطارها فى قوله تعالى: «**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين**» يونس ـ ٦١.

وهنا يجب التنبيه إلى خطورة الربط اللغوى بين اللفظ القرآنى والمصطلح العلمى دون إحاطة تامة بدلالات اللفظ القرآنى من جهة، وبتاريخ المصطلح العلمى وسيرته وما يدل عليه من جهة أخرى. فاستخدام مصطلح «الذرّة» بمعناه الفيزيائى

والكيميائى فى لغة العلم العربية قد شاع وأصبح مقبولا كمقابل لكلمة «أتوم» ATOM الإغريقية التى احتفظت بأصلها الإغريقى فى جل اللغات الأجنبية، لكنه لا يطابق المعنى اللغوى والبيانى الذى يدل عليه السياق فى القرآن الكريم، إذ المقصود هو التصغير والتهوين والتقليل، على نحو ما جاءت كلمات القطمير، والنقير ،وحبة الخردل فى مواضع أخرى من القرآن الكريم. بينما المقصود بها علميا هو الجزء الصغير من المادة الذى لا يقبل الانقسام، وقد أطلق عليه أسلافنا اسم «الجوهر الفرد» أو «الجزء الذى لا يتجزأ»، وهى ترجمة دقيقة وأمينة فطنوا إليها بعيدا عن ألفاظ القرآن الكريم، وكان ينبغى الإبقاء عليها فى لغة العلم المعاصرة.. ولو حدث هذا وأبقينا على هذه الترجمة التراثية، أو أبقينا على اللفظ «أتوم» دخيلا مثل ما حدث فى باقى اللغات، لكنا فى غنى عن تحميل ألفاظ القرآن الكريم أكثر من معانيها، ولما وصلنا إلى حد الإسراف فى تأويلها.

وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لكلمة «ذرّة» كمقابل لكلمة «أتوم»، فأين نجد فى القرآن الكريم المقابل لكلمات «الكترون» و«بروتون» و«نيترون» وغيرها من مكونات الذرة؟!.. وماذا نقول الآن فيما ظهر حديثا من أسماء لجسيمات أولية دون الذرّة مثل: «السحر» و«الجمال» و«الغرابة»؟ هل إذا ما وجد لفظ مماثل لهذه الكلمات فى القرآن الكريم نقول إن القرآن سبق إلى الإخبار بالجسيمات الأولية فى الذرّة قبل أن يكتشفها العلم الحديث؟.. ولنا أن نتخيل مدى خطورة هذا النوع من الترجمة غير الدقيقة عندما نترجم معانى القرآن الكريم إلى لغات أجنبية تظهر فيها هذه المصطلحات الدخيلة.

لاشك أن مثل هذه التفسيرات التى جانبها الصواب قد أساءت إلى الهدف النبيل، وضاعفت من تيار المعارضين لاتجاه الربط بين العلم وحقائقه من جهة، وبين القرآن وآياته من جهة أخرى.

حدود العلم وقوانينه :

لعل جزءا من أسباب الرفض التام لوضع العلم فى خدمة القرآن وتجلية معانيه يعود إلى خطأ شائع فى فهم البعض لما يسمى بـ«حقائق العلم» على أنها ليست سوى فروض ونظريات لم يثبت العلم ذاته يقينها النهائى. وهذا القول ـ على إطلاقه هكذا ـ لا يقل خطأ عما يقوله آخرون من أن العلم الطبيعى هو المصدر الوحيد للحقيقة، وكل ما سواه وهم باطل لا يمت إلى الواقع بصلة. والقائلون بهذا وذاك يخلطون بين مفاهيم من قبيل «القانون العلمى» و«الحقيقة العلمية» و«النظرية العلمية» و«الفرض العلمى»، و«الموضوعية العلمية»، وغير ذلك مما يستخدم فى وصف لغة العلوم الكونية وتحليلها، نظرا لتداخل مدلولات هذه المفاهيم من الناحية العملية إلى الحد الذى يتعذر معه وضع حدود فاصلة بين استخداماتها. ويمكن أن يعزى هذا الخلط، بصورة رئيسية إلى غياب القواعد والمعايير التى تحكم مثل هذه المفاهيم، وهى بطبيعة الحال قواعد ومعايير لا يمكن تحديدها بطرق تجريبية، بل يمكن توضيحها والتعرف على ملامحها من خلال تحليل لغة القانون العلمى وفهم طبيعته، بدءا من فروضه الأساسية ومقومات صياغته اللفظية، وانتهاء بنتائجه العملية واحتمالات تطبيقاته مستقبلا.

من ناحية أخرى ربما يستند بعض المعارضين لاتجاه البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن والسنة إلى واقع العلم ذاته عندما يبدو لهم كما لو كان قد تخلى فى بعض قوانينه الجديدة عن مفاهيم أساسية قامت عليها قوانينه القديمة، مما يعنى ـ فى اعتقادهم ـ أن نتائج

العلم غير يقينية وأن العلماء عرضة للخطر والقصور. لكن هذا ينبغى ألا يعنى أن القوانين العلمية التى يتوصل إليها الباحثون بعد اختبار تجريبى دقيق غير صحيحة. فقوانين «اسحق نيوتن» عن الجاذبية والحركة - مثلا - تعبر عن حقائق موضوعية بأعلى درجة ممكنة من الصدق واليقين، لأننا اختبرنا صحتها أمام أعيننا فى عالم الواقع، وأفدنا من نتائجها فى إنجاز تقنيات متقدمة ساعدتنا على ارتياد أجواز الفضاء، وأكدت تصوراتنا عن كروية الأرض ودورانها، وجريان الشمس لمستقر لها، وحركات الكواكب والأقمار فى أفلاكها. ولم يبطل هذه الحقائق ما ظهر حديثا من نظريات علمية تتعلق بالنسبية والاحتمالات والريبة وميكانيكا الكم وغيرها.

وهكذا نجد أن «الحقيقة الكونية» التى يعرف رجال العلم معناها وحدودها لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد مع جهود العلماء المتتابعة تفصيلا ووضوحا وجلاء. كل ما فى الأمر أن القوانين العلمية تعبر عادة عن حقائق علمية محدودة، وليس من الصواب أبدا أن تعتبر هذه الحقائق الجزئية دليلا على قصور العلم أو منقصة فيه، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد فى اكتشاف القوانين التى تلقى الضوء شيئا فشيئا على حقائق الواقع الثابت فى الكون بعد أن أشارت إليها آيات من القرآن العظيم.

ضوابط ضرورية :

إذا كانت قضية الربط بين العلم والقرآن تتعرض لنقد لاذع بسبب إفراط بعض المتحمسين أو تفريط البعض الآخر من الرافضين والمعارضين، وأمام الحاجة الماسة إلى هذا النوع من الدراسات القرآنية لتنشيط حركة الدعوة الإسلامية المعاصرة، فإنه أصبح ضروريا أن يكون لذلك الاجتهاد منهاج، وأن توضع للمجتهد ضوابط وشروط، وأن يُنبّه إلى مزالق الخطأ وموارد الزلل وكبوات الاجتهاد، ولن نفترض أبدا سوء النية أو التواء القصد عند ذلك النفر من الباحثين الدائبين فى هذا الاتجاه، إذ لا ينبغى لمسلم أن يسىء بأخيه ظنا، إنما عليه أن يذكر بعظم إثم التكلم فى كتاب الله بغير علم، وأن ينبه إلى المحاذير والأخطار التى قد تتوالد من فكرة،. أو رأى، أو تصور أراد به صاحبه خيرا ولكنه انتهى إلى غير ذلك.

ويمكن إيجاز الإطار العام الذى توصل إليه عدد من الباحثين لمنهجية البحث فى مجال الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة فى النقاط التالية :

١ - علم الله هو العلم الشامل المحيط الذى لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد، ومعرض للخطأ. ولقد نزلت نصوص الوحى بألفاظ جامعة تحيط بكل المعانى الصحيحة فى مواضيعها التى قد تتتابع فى ظهورها جيلا بعد جيل. وإذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، فتتجلى بها الحقيقة مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة فى الزمن، وفى مواضعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض. ومن ثم فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص الوحى القاطعة، التى تصف الكون وأسراره، على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة، على وفرتها، وإذا وقع تعارض فى الظاهر، فلابد أن هناك خللا فى اعتبار ماهو قطعى من الوحى أو العلم التجريبى.

٢ - يجب التقيد بما تدل عليه اللغة العربية، فلابد من :

(أ) أن تراعى معانى المفردات كما كانت فى اللغة إبان نزول الوحى، ويراعى كذلك فقه استعمالها.

(ب) أن تراعى القواعد النحوية ودلالتها.

(ج) أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها، خصوصا قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية.

٣ - يجب البعد عن التأويل فى بيان الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة، ولا ينبغى الإسراف فى ذلك.

٤ - يجب ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تكون هى الأصل، فما وافقها قُبل، وما عارضها رُفض. ذلك أن المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية وليس للعلم التجريبى، فالحقائق العلمية تحتكم إلى القرآن ولا تزكّيه، فإن وافقته فبها ونعمت. وإن تعارضت معه رفضت لأن النص القرآنى وحى من الذى أحاط بكل شىء علما.

٥ - يجب على المجتهدين من العلماء أن يكونوا ملمين من علوم القرآن بالقدر الكافى وأن يكون لديهم استعداد شخصى خاص يعززه رجوعهم إلى أمهات كتب التفسير الأصلية رجوع المتعلم المتأنى لا اطلاع القارئ العجول. فإذا تعذر عليهم هذا كان عليهم أن يسألوا أهل الذكر والاختصاص فيما لا يعلمون. فهذا أقل مقتضيات التحرز وعدم التورط فى الكلام فى كتاب الله بغير علم.

٦ - كذلك يجب على المجتهدين من الباحثين فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة المطهرة أن يكونوا على معرفة تامة بالظاهرة العلمية قيد البحث وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها.

إن هذه الضوابط والشروط المنهجية ضرورية لترشيد البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم. وينبغى توفرها فى كل من يتعرض للاجتهاد بما يناسب جلال القرآن وقدسيته. وكتاب الله العزيز كله معجز. ويستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل إعجازه فى شتى المجالات فإذا ما كنا بصدد «إعجازه العلمى» تحتم علينا أن نتوخى الدقة التامة، فلا نفتعل مناسبة، أو نتشبث بلفظ ونحمله فوق كل ما يحتمل، أو نجهل أو نتجاهل حقائق التاريخ. وينبغى أن يكون لنا فى الأئمة السابقين أسوة حسنة حين نرى دقة مناهجهم العلمية عندما تناولوا القرآن الكريم من نواحيه اللغوية والبلاغية والتشريعية.

ولما كان البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم - بحكم طبيعته - يعتبر من العلوم البيئية التى تتجاذبها اختصاصات عدة، فإن الأمر يقتضى تعاونا تاما بين نفر من المهتمين فى هذه التخصصات العلمية المتنوعة، من بينهم فقهاء اللغة وعلماء الدين الذين يقرون التزام القواعد المعروفة فى أصول التفسير من الالتزام بما تفرضه حدود اللغة، وحدود الشريعة، والتحرى والاحتياط الذى يلزم كل ناظر فى كتاب الإسلام الخالد الذى «لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه».

أهم المراجع :

* د. محمد إبراهيم شريف، هداية القرآن فى الآفاق والأنفس وإعجازه العلمى دعوة ضرورية ومنهج واجب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* أحمد الشرباصى، قصة التفسير، دار القلم، القاهرة ١٩٦٢.

* د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، دار الهداية، ١٩٩٧م. * د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٧م.

خلق الوفاء

الدكتور عبدالغفار عبدالرحيم محمد

من مكارم اخلاق القرآن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام خلق الوفاء. والوفاء خلق تجتمع فيه عدة معان يأخذ بعضها بحجز بعض ليشكل لنا مجموعة من الفضائل الأخلاقية الراقية التى تتحدث عنها حضارات الأمم. وأولى هذه الأمم وأكثرها عناية بمكارم الأخلاق هى أمة القرآن التى خصها الله تعالى بمزايا ومكارم تسمو بها إلى أعلى الدرجات وتصل بها إلى أقصى الغايات. نطق بذلك القرآن وتحدث به هدى محمد عليه الصلاة والسلام وجعله في الناس حقيقة واقعة الرعيل الأول عليهم جميعا رضوان الله في تعاملهم وتفاهمهم مع كل إنسان. فدانت لهم الدنيا بهذه الأخلاق ورفعوا شأن هذا الدين ومكنوا له فى كل الآفاق.

يتسع مجال الحديث فى هذا الخلق ليشمل العهد والوعد كلوازم ومعان لخلق الوفاء كما يتسع للحديث عن نقيضه وضده وهو الغدر والنفاق.

والوفاء كلمة قال فيها أهل اللغة : وفى بعهده وفاء وأوفى ووفى الشئ يفى وفيا أى تم وكثر، والوفى الوافى وأوفاه حقه ووفاه توفيه بمعنى أعطاه وافيا، والوافى الذى بلغ التمام يقال : درهم واف وكيل واف وأوفيت الكيل والوزن وسمى الموت وفاة لاستيفاء الميت مدته التى وفيت له. ومنه قوله تعالى : **«الله يتوفى الأنفس حين موتها»**، أى يستوفى مدد آجالها. أو يستوفى تمام عددهم. هذا بعض كلام أهل اللغة فى كلمة الوفاء. (١).

أما ما تحدث فيه القرآن عن الوفاء فهو على درجات عالية من الكمال والبيان ذلك أنه جهل لهذا الخلق من الشرف ما يعلو به على غيره من الأخلاق. حيث جعل الوفاء صفة كريمة من صفات العلى الأعلى جل شأنه وعظم سلطانه. فقال سبحانه وتعالى :« **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله»** : الآية (١١١ التوبة).

هذا استفهام إنكارى أى لا أحد أوفى بما وعد من الله تعالى فهو القادر المقتدر وهو أصدق الواعدين وأوفى المعاهدين ويناسبه قوله تعالى : **«وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم»**. وقوله جل وعلا : **«ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وهو سبحانه يوفى كل نفس بما كسبت وماعملت ثم توفى**

(١) مفردات الراغب ص ٥٦٥/ ٥٦٦ بإيجاز

كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون» وقوله سبحانه : «ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون» وليس هناك من هو أوفى من جزائه كما أنه ليس هناك عطاء أوفر من عطائه «وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى».

هذا بعض مايتعلق بهذا الخلق الكريم فى جانب رب العالمين.

ومن فضل الله على عباده المكرمين ورسله المصطفين أن نوه بذكرهم فى القرآن وجعلهم ممن تخلق بأكرم أخلاق الإيمان. فقال جل وعلا عن إبراهيم عليه السلام : «وإبراهيم الذى وفّى» (٣٧ النجم). قال أتدرى ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال : وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار. وعن سهيل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا أخبركم لم سمى الله تعالى إبراهيم خليله. الذى وفّى إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية»(١).

ويمتد الوفاء في حق إبراهيم عليه السلام حتى يشمل مقاومته الوثنية والإشراك. وأنه فضل حق ربه على حق أبيه إلى غير ذلك من ألوان الوفاء الذى وفاه حتى ترك أثره فى ولده إسماعيل عليه السلام.

لذلك كان الوفاء من أخلاق الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه. ذلك أنه كان خلقا من أخلاق إسماعيل عليه السلام حيث أثنى عليه ربنا جل وعلا فقال : «واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا» سورة مريم - آية ٥٤، ٥٥.

فهو الذى وعد أباه بأن يصبر على الذبح ووفى بما وعد.

وقد جعل الله تعالى من بركة ذلك فى إسماعيل أنه كان خلقا فى أخلاق العرب وصفة من صفاتهم التى ورثوها وعرفوا بها بين الناس باعتباره خلقا فى الملة الحنيفية السمحاء التى جاء بها إبراهيم عليه السلام.

يقول ابن كثير : هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهو والد العرب عرب الحجاز كلهم قال ابن جريج : لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعنى ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها. وقال ابن جرير عن سهيل بن عقيل.

إن إسماعيل النبى عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسى الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال : ما برحت من هاهنا. قال لا قال إنى نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتينى. فلذلك كان صادق الوعد(٢).

وهو خلق دعا إليه شعيب عليه السلام ثلاث مرات. أولا فى قوله تعالى : **«وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين»** (٨٥ الأعراف)

ثانيا فى قوله تعالى : «وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط » (٨٤ هود).

ثالثا فى قوله تعالى : «كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون : إلى أن قال : سبحانه حكاية عن شعيب : أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم».

(١) ابن كثير/ المختصر ٤٠٤/٣

(٢) ابن كثير ١٣٢/٣ - ط - دار المعرفة

فهذه ثلاث آيات تتحدث عن الوفاء فى قوم شعيب حيث وعظهم وذكرهم بالوفاء. وكان عليه السلام خطيبا بارعا وكان ضمن ماوعظهم به قوله : **«بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين»**. والبقية هنا إما رزق الله تعالى وإما وصيته وإما طاعته وإما حظكم من الله. قال ابن جرير: أى ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس.

والوفاء خلق من أخلاق يوسف عليه السلام لقوله تعالى : **«ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين»** (٥٩ يوسف).

وقوله سبحانه : **«فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين»** (٨٨ يوسف).

أما قوم موسى فقد خاطبهم الله تعالى فى قوله : **«يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون»** أى بالعهد الذى أخذته عليكم للنبى ﷺ إذ جاءكم أنجز لكم ماوعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ماكان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم.

أو هو الذى أخذ الله عليهم فى التوارة. أنه سيبعث من بنى إسرائيل نبياً عظيما يطيعه جميع الشعوب وهو محمد ﷺ.

وأوفوا بعهدى هو اتباع دين الاسلام أوف بعهدكم أرض عنكم وأدخلكم الجنة. هذا عن الوفاء فى أناس ذلك الزمان فماذا عن المؤمنين من أمة الإسلام والمسلمين.

جعل الله عز وجل لها فى رسوله الكريم أسوة حسنة يجب علينا أن نهتدى بهديه ونقتفى أثره ونخطوا فى حياتنا على خطوه.

ولقد كان الوفاء خلقا من أخلاقه حتى قبل بعثته لما صح عن عبدالله بن أبى الحسماء قال : بايعت النبى ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكان فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو فى مكانه أى فإذا النبى ﷺ فى مكانه لم يفارقه. فقال يافتى لقد شققت على أنا هاهنا مذ ثلاث أنتظرك. قال السيوطى وغيره هذا من مكارم الأخلاق.

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيت فلانه فإنها كانت صديقة لخديجة رضى الله عنها إنها كانت تحب خديجة (رواه الترمذى فى المناقب). وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ماغرت على امرأة ماغرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها.

ومن وفائه وحسن عهده أن دخلت عليه امرأة فهش لها يعنى فرح وأظهر المسرة بدخولها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان(١).

لقد تخلق بأخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجال عاصروا دعوته وعايشوا سنته فانطبعت أخلاقهم بذلك وعاشوا حياتهم لذلك حتى تركوا فى الناس نماذج منيرة ترقى بحياتهم وتسموا بصفاتهم وتترك فى العالمين آثارهم.

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه. يجعل من مهام خلافته الأولى أن يعنى بوعد رسول الله ﷺ لكل من تم له منه وعد أوعهد. لما صح عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبى ﷺ فلما جاء مال البحرين أمر أبو

(١) جامع الترمذى ٦٥٩/٥ /٦٦٠

بكر رضى الله عنه فنادى. من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا فأتينه وقلت له إن النبى ﷺ قال لى كذا وكذا فحثى لى حثية يعنى أعطانى عطية فعددتها فإذا هى خمسمائة فقال لى خذ مثليها.

على هذا الدرس سار الصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين. ذلك أن الله عز وجل جعل الوفاء من البر الذى ذكره سبحانه فى آية البر فقال تعالى: **«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون».** (البقرة ـ١٧٧).

إن الوفاء ألوان وأنواع وأقسام.

فهناك الوفاء بالعهد لقوله تعالى: «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا».

وهناك الوفاء بالوعد لقوله تعالى: **«إنه كان صادق الوعد».**

وهناك الوفاء بالنذر لقوله تعالى: **«يوفون بالنذر»**

وهناك الوفاء بالكيل لقوله تعالى: **«أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين».**

وهناك الوفاء بالعقود لقوله تعالى: **«ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود».**

وأولى العهود بالوفاء هو العهد الفطرى الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: **«وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»** (١٧٢ الاعراف).

هذا ميثاق وعهد واجب الوفاء لما جاء عن الطبرى فى هذه الآية:

واذكر يامحمد إذ استخرج ربك أولاد آدم من اصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك، قال ابن عباس: مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا.

ورد في هذه الآية عدة أحاديث لخص فحواها ومرماها اين كثير في تفسيره فقال: فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا فى حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفى حديث عبدالله ابن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم. ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد. (الخ كلام ابن كثير)(١).

وعهد الله تعالى الذى هو العهد الأكبر هو أولى ما يطلب له الوفاء. ذكرهم الله بهذا كله حتى لايقعوا فى نقض العهد وعدم الوفاء به ليعلم الناس جميعا أن من الوفاء بالعهد ومن التخلق به الإلتزام بأمر الله تعالى وعدم الوقوع فى معصيته.

وتلك قاعدة تجمع بين الدين والأخلاق فى سباق واتساق ليقرر أمام الناس جميعا أنهما شئ واحد. لقوله ﷺ: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق(٢).

هذه صورة من أروع الصور الأخلاقية التى سجلها تاريخ الإسلام بل والتاريخ العام. لتعطى من مظاهر الوفاء ما يحق لكل مسلم أن يفخر به بل ويتمنى تطبيقه.

---

(١) المختصر ٦٤/٦٣/٢

(٢) الموطأ حسن الخلق باب ٨

الحنين إلى القدس

عمر موسى البرعى

شَوْقى إلى القُدْسِ الشَّريفِ يَزيدُ *** بَلْ مـا سِـواهُ أَبْتَـغى وأُرِيد
فـيـه أهلُ المُصْطَفى بضيـائه *** وتناثَرَتْ فى المشـرِقينَ وُرود
والمَسْجِدُ الأقصَى يُضيئُ بَهاؤه *** والقَلْبُ مِنْ هذا الهناء سَعيد
يا مَوْطِنَ الإسْراءِ يا مَسْرى الهُدَى *** إنّا بدونك للضَّـلال عَـبـيـد
فى ظلكِ الإسْـلامُ يسْطَعُ نورُه *** ونُقيمُ صَرحاً شامخاً ونُشـيد
وبك السَّـلامُ يَعُمُّ فى إشْـراقِـهِ *** إنّ السّـلام سَـبيلُهُ التّـوحـيد
أَرْواحُنا تَفْـديك يا أَرْضَ الهُـدى *** بعـزيمةِ الأحْـرار وهْى حَـديد
يا قُدْسُ يا أَرْضَ السَّلامِ حقيقةً *** فَـبِـفَـضْلك الأمْجادُ سوف تَزيد
فى أرْضِكَ المخْتـارُ هَلَّ ضيـاؤُه *** وضيـاؤُهُ فـيـه الوَفـا والجُود
والمرْسَـلون بنـوره وسَنـائـه *** قد أَمَّـهُمْ فى القُدْس وهو رشيد
لبَّـيْك أولى القِـبْلَتَـيْنِ فـإنّنا *** عن أَرْضك الخَضْراء سـوف نذود
يا ثالثَ الحَـرَمَـيْن يا أَرْضَ الفِـدا *** فَـتُـرابُ أرْضِكِ بالرخـاء يجود
قـد دَنَّسوك برِجْسِهِمْ يا وَيْلَهُمْ *** إنّ العَـدُوَّ شـعـارُهُ التّنكـيـد
نَفَثوا سُمومَ الغَدْرِ فيك غوايةً *** حـتّى تُعكِّرَ صَـفْـوَك المَوْرود
جُبِلَ اليـهـودُ على الخِيانَةِ والخَنا *** فـالعـيْشُ تَحْت ظلالِهِمْ مَنْكود
ولسَوْفَ نَحْطِمُ جيْشَهُمْ وحُشُودَهُمْ *** وعـذابُ رَبِّكَ مُـؤْلِمٌ وشـديد
يا قُـدْسُ يا قَلْبَ العروبةِ أَبْشِرى *** مِنْ أرْضِكِ العُدْوان سوف نُبيد
فَـبِكِ القلوبُ تَمَسَّكَتْ وتَعَلَّقَتْ *** إنّا لأرضك بـالوَفـا سَنَعـود
يا مَوْطِناً تَهْفـو القلوبُ لِصَرْحِهِ *** إنّ السَّـلامَ بأرْضـه سَـيَسـود
عـارٌ على الإسلام فى أمْجـادهِ *** إنْ مَسَّ أرْضَك فى الدُّجى تَهْديد
يا عُرْبُ نَحْوَ القُدْسِ هيَّا أَسْرِعوا *** أَنْتُمْ إذا جَـدَّ الجِـهـادُ أُسـود
وتجَنّبـوا سُبُلَ الخِـلافِ فـإنّهـا *** قـد سَنَّهـا الشّيطانُ وهو مَريد
وتَوَحَّـدوا وتضـامنوا وتكَاتَفـوا *** إنّ التَّـضـامُنَ بَيْنَكُمْ مَـفْـقـود
إنّ التَّـضـامُنَ للعـروبةِ مَطْلَبٌ *** والنَّصْـرُ فَـوْقَ لوائه مـعـقـود
واسْتَبْشِروا بمُحَمَّـدٍ ولِوائِهِ *** فـهـو اللّواءُ الظّافِـرُ المَحْمـود

فى ذكرى الإسراء والمعراج

- الإسـراء والمعـراج
- رجب الحـرام وليلة الإسـراء والمعـراج
- مـن أحـداث شـهـر رجب

الإسراء والمعراج

بقلم : أ. د. / أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر

قال الله تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير﴾(١)

وفى هذه الآية الكريمة أشار النص القرآنى المجيد إلى رحلة الإسراء مفتتحاً الحديث عنها بتسبيحه جل شأنه مبتدئاً بكمال تنزيه الذات العلية عن كل نقص ، وموضحاً الحجة الدامغة الصريحة على أنها معجزة فوق مستوى العقل البشرى ، وذلك بإسناد الفعل إلى «الله» العلى القدير ، ولما كان فى الإسراء ما فيه من سمو مكانة الرسول (ﷺ) ، وزيادة تشريفه ، فقد وصفه «الله» تعالى بأسمى الأوصاف ، وأكرم المقامات ، وهى قوله تعالى : «بِعَبْدِه» فهو الذى خلصت عبوديته ، وكمَّله ربُّه ، وأدَّبه فأحسن تأديبه ، وتوَّجَهُ بمكارم الأخلاق ، قال تعالى : ﴿وإنكَ لعلى خلقٍ عظيم﴾(٢)

وقال (ﷺ) : «إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ» . لقد أسرى به ليلاً ، فى وقت السكون وفى هدأة الحياة وطمأنينة الأفق الكونى فى جزء محصور من الليل ، فأَسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك «الله» حوله بكثير من النعم السابغة الظاهرة والباطنة ، المادية منها والروحية ، فحول هذا المسجد العظيم أخرج «الله» تعالى كثيرا من خيرات الأرض ونباتاتها الطيبة الكثيرة التى تنفع الناس ، كما أن حوله من البركات الروحية والمعنوية ما يروى ظمأ النفوس المؤمنة ، فهو مهبط الأنبياء والملائكة.. وقد كشفت الآية الكريمة عن آلاء «الله» التى توافدت على حبيبه (ﷺ) ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير﴾(٣)

وفى تلك الآيات التى أراها «الله» لحبيبه ومصطفاه (ﷺ) ، ما يدل على كمال قدرة «الله» سبحانه وتعالى مما لا يسوغ لمنكر جاحد أن يتصدى لهذه المعجزة الخارقة بالإنكار ، لا سيما وقد أمد «الله» تعالى الفكر البشرى اليوم بفيض غامر من العلوم والمعارف التى جعلته يرسل الطائرات فى الأجواء ، ويبعث سفن الفضاء فترسوا على القمر ، فكيف ينكر إنسان على خالق القوى والقدر ، ومدبر السموات والأرض إسراءه برسوله (ﷺ)؟.

ومما ينبغى الإشارة إليه أن الإسراء والمعراج ليسا معجزة خاصة بتأييد الدعوة ، وإنما المعجزة التى تحدى بها القوم هى القرآن الكريم ، أما هذه المعجزة فهى إحدى الخوارق وفى الوقت نفسه تكريم ، أى تكريم لخاتم المرسلين (ﷺ) .

وكان لهذه المعجزة أثرها ، إذ زادت المؤمنين إيمانا ويقينا واستبشروا برعاية «الله» تعالى لهم وزادت الكافرين رجسا وفتنة ، قال تعالى :

﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾(٤)

وهكذا كان لهذه المعجزة أثرها بما أفاءه «الله»

(١) الإسراء : ١.
(٢) القلم : ٤ .
(٣) الإسراء : ١ .
(٤) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ .

تعالى على رسوله (ﷺ) من الآيات الكبرى التى رآها فى هذه الرحلة المباركة.

ثم رجع رسول الله (ﷺ) يُحدِّث بما رأى ابنة عمه أم هانئ وحاولت معه ألاَّ يخبر أحدا من الكفار بذلك ولكن الرسول (ﷺ) صمم أن يحدث بما رأى من نعم «الله» سبحانه وتعالى، فذهب إلى جوار الكعبة مفكرا فى خشوع وابتهال فمر به أبو جهل، فقال له: هل من خبر؟ فقال: **نعم**، قال: وما هو؟ فقال: **إنى أسرِىَ بِى اللَّيْلَةَ إلَى بَيْتِ المقْدس**، فقال: إلى بيت المقدس؟ فقال: **نعم**، قال أبو جهل: أرأيت إن دعوت قومك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتنى به؟ فقال: **نعم**، فنادى أبو جهل: هيا يا معشر قريش فاجتمعوا، فقال للرسول (ﷺ): أخبر قومك بما أخبرتنى به، فقال الرسول (ﷺ): **إنَّهُ أسرِىَ بى إلى بَيْتِ المقـدسِ تلكَ اللَّيلَة**، فكذبوه واستبعدوا ذلك، وقالوا لأبى بكر: إن صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: **إنْ كَانَ قَدْ قَالَهُ فَقَدْ صَدَق**، قالوا: تصدقه على ذلك؟ قال: **إنِّى أُصَدِّقُهُ عَلَى أبْعَد مِنْ ذَلِك: أصدقه عَلَى خَبَرِ السَّمَاء**.

وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم، ويسألون رسول الله (ﷺ) فى تعنت وجفاء عن بيت المقدس ومنهم من كـان رآه، وظنوا أنهم بـهـذه الأسئلة سيوقعون الرسول (ﷺ) فى الحرج، ولكنه (ﷺ) - وهو المؤيد من قبل ربه - قد وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملا فى غاية الدقة وأخبرهم عن آياته يقول الرسول (ﷺ): **فَجَعَلْتُ أخبِرُهُم عَنْ آياته فَالْتَبسَ عَلَىَّ بَعْضُ الشَّئ فَجلَّى «الله» لِى بَيْتَ المقدس، ثم جَعَلْتُ أنْظُرُ إليهِ دُونَ دَار عقيل وأنْعَتُهُ لهُمْ**، فقالوا: أما النعت فقد أصاب، ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا فهى أهم إلينا، هل لقيت منها شيئا؟ فقال (ﷺ): **نَعَمْ مَرَرْتُ بِعير بَنِى فُلاَنٍ وَهِىَ بالروحاء، وَقَدْ فَقَدُوا بَعيراً لَهُمْ وهم فِى طَلَبِه، وَفِى رِحَالِهِم قَدَحٌ مِنْ مَاء فَأخَذْتُهُ وشربْتُه وَوَضَعْتُهُ كَمَا كَانَ، فَاسْألُوا هَلْ وَجَدُوا المَاءَ فى القَدَحِ حِينَ رَجَعُوا**؟ وقالوا: هذه آية، قال: **مَرَرْتُ بعير بَنِى فُلاَنٍ وفلان رَاكِبَان، فَنَفَرَ بَعِيرُهُمَا مِنِّى فَانْكَسَر، فَاسْألُوهُمَا عَنْ ذَلِكَ قالوا**: هذه آية أخرى...

ثم أخذوا يسألونه عن العدة والأحمال ودقائق الملابسات فوصفها أكمل وصف، وقال لهم: **تَقْدُمُ يَوْمَ كَذَا مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَفِيها فُلاَنٌ وفلان يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أوْرَقُ عَلَيْه غِرارتَانِ مُحِيطَتَانِ**، قالوا: هذه آية أخرى. ومع وضوح هذه الأدلة، فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة، فقد طمس «الله» على أبصارهم وبصائرهم: ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾(٥)

المِعْـراج

يظهر للباحث فى قصة الإسراء والمعراج أن قصة المعراج لم تذكر مع قصة الإسراء فى السياق القرآنى الحكيم، مع أنهما حدثتا فى ليلة واحدة، وذلك إنما كان تنبيها لقلوب القوم وفتحا للأفق الفكرى لديهم حتى يدركوا الحقيقة عن طريق إيمانى سليم، تتضح أدلته أمام أعينهم تدريجيا بالإسراء أولا، وعندما تتضح الحقيقة بأدلتها الناصعة على صدق الرسول (ﷺ) فى وصفه لبيت المقدس وللعير، وما إلى ذلك من الدلائل، فتأنس القلوب وتثق بالمعجزة فيحدثهم - بعد ذلك - القرآن الكريم عن بقية الرحلة، وعن قصة المعراج، قال تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، ومـا ينطق عن الهـوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتـدلى، فكان قـاب قوسين أو أدنى، فـأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾(٦)

وقد سبق هذه الرحلة إعداد إلهى لنفس الرسول (ﷺ) فجاءه جبريل (عليه السلام) وشق صدره الشريف وقلبه العظيم، ومنحه «الله» سبحانه من القوة الروحية والإعداد الإلهى ما يعينه على تحمل تلك الأخطار، ومـا يتغلب به على كل عـامل من العـوامل المانعة للعروج، والسمو إلى الملأ الأعلى، بحيث لا يتعارض مع النواميس الكونية، والضغوط الجوية، بل يكون فى قدرة أسمى هى مدد من الكبير المتعال.

(٥) النور: ٤٠.
(٦) سورة النجم آية ١: ١٨.

رجب الحرام وليلة الإسراء والمعراج

الشيخ : منصور الرفاعي عبيد

خطب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فقال: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد هو رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وهذه الأشهر الحرم كانت العرب في الجاهلية تحرم القتال فيها حتى يتفرغوا لأداء مناسك الحج فى أشهره وهى ذو القعدة حيث كانو يقعدون فيه ليستريحوا ويتهيئوا فيه وشهر ذو الحجة يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك وشهر المحرم ليرجعوا إلى بلادهم آمنين.. ورجب فى وسط العام لأجل الزيارة للبيت والاعتمار يقول الله : «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كمايقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين» سورة التوبة آية ٣٦.

وشهر رجب هو من الترجيب أى التعظيم لأن المشركين كانوا يعظمون هذا الشهر ولا يستحلون القتال فيه أبداً.

إن الله سبحانه جعل الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها حيث اصطفى الله من الشهور رمضان والأشهر الحرم فعلينا أن نعظم ما عظم الله، فإن فى ذلك ما يحقق رضاء الله علينا وأهل الفهم والبصيرة يدركون ذلك.. **ولقد حدث أن رسول ﷺ بعث عبد الله بن الحسن فى جماعة من أصحابه وأعطاه خطاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا، وقال له : لاتكره أحداً من السير معك فلما بلغ المكان وقرأ الخطاب قال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوصِ فأنني موصٍ وماضٍ لأمر**

رسول الله ﷺ ، والتقى هذا الجمع بجماعة من المشركين يتقدمهم عمرو بن الحضرمى ومعهم قافلة تحمل زيتاً وإدماً وتجارة فتشاور أصحاب النبى ﷺ أن يغيروا على القافلة وتحركوا نحوها وكان ذلك في آخر شهر رجب فقتلوا ابن الحضرمى وأخذوا أسيرين واستاقوا العير وذهبوا إلى المدينة وانتهز المشركون هذا الحديث وقالوا كيف يستبيح محمد وأصحابه القتال فى الشهر الحرام وأرجف اليهود والمنافقون بذلك فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى يد المسلمين وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم القوم على ذلك وقريش تقول : استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا الدماء وأخذوا الأموال وأسروا الرجال فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله : **«يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل»** سورة البقرة آية ٢١٧.

أى يا أهل مكة أنتم أشد استحلالاً للأشهر الحرم لأنكم كفرتم بالله وحاولتم فتنة المسلمين عن دينهم واعتديتم عليهم وكنتم تصدون عن سبيل الله وكل ذلك أشد وأكثر مما فعل المسلمون لأن الفتنة التى تثيرونها أشد وأكبر من القتل - إن المثل يقول: - ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى - وهكذا أعداء الإسلام فى كل زمان ومكان يفعلون العيب ويرتكبون الكبائر، ثم يعيبون على المسلمين ويشنعون عليهم، فهل نعتبر ونتعظ.. فعلينا أن نهتم بطاعة الله وصلة الأرحام وإزالة الخصومات فى شهر رجب ليتم لنا الخير الذى نرجو لأنفسنا ، والازدهار لمجتمعنا.

ليلة الإسراء والمعراج.

تمر بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها كل عام ذكرى محببة إلى قلوبهم هى ذكرى الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام الذى أمر الله بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود إلى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ولقد صدق الإمام البوصيرى أحد علماء الشعر وشاعر العلماء إذا يقول فى البردة

سريت من حرم ليلاً إلى حرم

كما سرى البدر فى داج من الظلم

ويقول شوقى رحمه الله تعالى فى نهج البردة

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه

والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

لماخطرت به التفوا بسيدهم

كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلي وراءك منهم كل ذى خطر

ومن يفز بحبيب الله يأتم

وقد حدثت أم هانئ واسمها «فاختة بنت عمه أبى طالب بن عبدالمطلب» أن النبى ﷺ كان يبيت فى دارها ليلة الاثنين فلما أصبح الصباح قال لها: يا أم هانئ لقد صليت معكم الليلة، ثم أسرى بى إلى بيت المقدس فصليت هناك مع النبيين والمرسلين ثم عدت من ليلتى.

فقالت وقد أمسكت بردائه : أنشدك الله يا ابن عمى لا تخبر الناس بذلك فإنى أخاف أن يسفهوك ويكذبوك، فقالت : فضرب بيده الرداء فانتزعه من يدى فتكشف شئ من صدره فأبصرت عند فؤاده نوراً كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة..

هكذا تحدثت هذه السيدة من أهل البيت بما رأت من أنوار المعراج القدسى فعلينا أن نذكر تلك القصة

دائماً لتمتلئ قلبونا إيماناً ونفوسنا طهراً وأفئدتنا براً وخيراً.. يقول الإمام البوصيرى شرف الدين فى البردة:

وبت ترقى إلى أن رمت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

ويرحم الله شوقى إذ يقول :

جبت السموات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم

ركوبة لك من عز ومن شرف
لا فى الجياد ولا فى الأنيق الرسم

مشيئة الخالق البارئ وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

حتى بلغت سماء لا يطاولها
على جناح ولا يسعى على قدم

وقيل كل نبى عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم

حفظت للدين والدنيا علومهما
يا قارئ اللوح بل يا لامس القلم

وذكرى العروج من بيت المقدس فى فلسطين العزيزة إلى شجرة إليها ينتهى علم الخلائق فوق السموات، فإنه من الخير ألا نحاول إخضاع هذا الحدث الإلهى للقوانين الطبيعية التى نعرفها، فأساس هذا الحديث قدرة الله الذى أوجد القوانين الطبيعية وقدرها ودبرها، ومن الخير أيضاً ألا نطيل الحديث فيها هل كانت فى اليقظة أو فى المنام، وهل كانت بالروح فقط، أو بالجسم والروح، وكافى المسلم المصدق بكتاب ربه أن يكون قول الله تعالى : **«سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»** سورة الإسراء آيه (١).

كافيه أن يقرأ هذا ويتدبره، ليعلم أن الأمر مخالف للطبيعة الإنسانية وجار على غير المألوف لحكمة سامية يعلمها علام الغيوب، يجب أن نعرفها لندرك عظمة الفضل الإلهى الذى أفاضه الله سبحانه على رسوله ومصطفاه وحبيبه ومختاره، فقد كان الإسراء والمعراج عطية علوية ورائحة عطرة ندية، فاضت بالخير على قلب الرسول ﷺ وقلوب أصحابه فى مكة المكرمة قبل أن يهاجروا إلى المدينة المنورة حين كانوا يلاقون العذاب ويتحملونه بصدق ويعانون من قسوة قريش وأنصارها ويكابدون من جهلها وإيذائها وكانت هذه الرحلة لنبيهم راحة لنفسوهم، وطمأنة لقلوبهم وبشرتهم بأن الله الكريم القريب لا يبتعد عن المؤمنين، ولا يتخلى عن أوليائه وكانت درساً لتمحيص المؤمنين.

لقد كان المجتمع المكي غير كريم ولا مهذب في معاملة الرسول ﷺ، وكان شديدا عن غيره فى الأذى للمؤمنين من ضعفاء المسلمين فكانوا يعذبونهم ليرجعوهم عن دينهم الحق بمختلف الوسائل بعد أن فقد النبى أعز عزيزين من أهله، هما عمه أبو طالب بن عبدالمطلب نصيره وسنده، وزوجته خديجة بنت خويلد عونه وعضده فقد كان أبوطالب له فى مقام الوالد الشفوق يدافع عنه، ويقول له : والله لا أسلمك لشئ تكرهه أبداً، وكانت خديجة بنت خويلد ريحانة فؤاده وموضع مشورته، يطلعها على أسراره، ويشكو لها ما يهمه، فيجد عندها مودة الصديق المخلص، ورحمة المحب الصادق، ومشورة الوزير الحكيم.

أراد الله أن يموت أبو طالب بن عبدالمطلب، وخديجة بنت خويلدفى شهرين متقاربين من عام واحد سمى عام الحزن، ففقد رسول الله ﷺ بفقدهما العون الذى كان يخفف كربه، فزادت شجونه وأحزانه وآلامه

وهمومه، ولكن شاء الله أن يطلع الصبح الظاهر بعد الظلام الشديد، ويأتى الربيع المشرق بعد الشتاء المسئ. ففى وقت الشدائد يبرق نور الأمل، وفى صعوبة الحزن، ظهرت بشائر السرور فتفضل الله على رسوله بأن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وطوى له بساط الأرض فى وقت قليل من الليل، وفتح له أبواب السماء وكأن الله القادر يقول لنبيه إذا نازعك الأقوياء، فإن قدرتى فوق قدرة الأقوياء وإن لم تتسع لك الأرض فإن مكانك فوق السماء لتفوز بالتكريم والأنس، وترى من الآيات الكبرى ما لاعين رأت ولا حدث لأحدٍ من الناس، ولقد كانت لهذه الرحلة والانتقال أثرهما العظيم فى نفس الرسول ﷺ ، وفى نفس أصحابه الكرام. وفى مستقبل الأمة الإسلامية التى تؤمن وتصدق بهذا النبى العظيم، أما الرسول فقد استيقن بتكريم الله له وأنه لن يتخلى عن نصرته، وأما أصحابه فقد كان هذا الحادث الخطير امتحاناً فاز فيه من أراد الله له السعادة فثبت على الحق وصدق بأخبار السماء وعلم أن الله شديد القوى، يفعل مايشاء، وأما الأمة فقد سعدت بفريضة الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر والتى هى صلة بين العبد وربه، كماعرفت من أخبار ما رأى الرسول في رحلته ما أعده الله للطائعين من جنة دائمة وما أعده للعاصين من عذاب شديد فى نار وقودها الناس والحجارة، وإذا كان المسلمون الأولون قد أفادوا من حدث الإسراء والمعراج ما أنسى قلوبهم الهم وخفف ما يلاقونه وسرى عن نفوسهم الحزن وقربهم إلى ربهم، فإن لنا الآن نحن المسلمين والعرب فى مشارق الأرض ومغاربها مثلا حياً على مر الزمان، يذكرنا بالمسجد الأقصى الذى أسرى الله برسوله ﷺ إليه واجتمع فيه بإخوانه الأنبياء عليهم السلام، ومنه عرج إلى السماء.

رقيت علوا من سماءٍ إلى سما

وشاهدت مولى لا يكيفه العقل

رأيت بعين الرأس ربك جهرة

وما فاز بالرؤيا صديق ولا خل

ثم نصب لى المعراج مرقاة بين السماء والأرض فصعدت عليه ومعى جبريل فأتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل، فقال الخازن: من أنت، قال : جبريل. قال : ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قال : أوقد أرسل إليه. قال : نعم. قال : مرحباً به ولنعم المجئ جاء. ورأيت فى السماء الأولى آدم، وفى السماء الثانية ابنى الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام، وفى السماء الثالثة يوسف بن يعقوب وقد أعطاه الله نصف الحسن، وفى السماء الرابعة إدريس بن يارد. قال تعالى : **«ورفعناه مكاناً علياً»**، وفى السماء الخامسة هارون بن عمران عليه السلام، وفى السماء السادسة موسى بن عمران عليه السلام، وفى السماء السابعة ابراهيم عليه السلام، ثم عرج بى إلى سدرة المنتهى إلى مكان سمعت فيه صوت الأقلام ثم زج بى فى النور ورأيت من آيات ربى الكبرى ما شاء الله أن أرى وفرضت على الصلاة ثم أستأذنت ربى ونزلت فمررت على موسى بن عمران عليه السلام قال لى : ما فرض الله عليك وعلى أمتك. قلت : خمسين صلاة. قال : ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك ولقدبلوت بنى إسرائيل قبلك. فرجعت إلى ربى فسألته التخفيف فحط عنى خمساً ، وما زلت أرجع أسأل ربى التخفيف وربى يخفف عنى حتى جعلها الله خمس صلواتٍ.

لما دنوت من بساط النور وقف جبريل ولم يسر

معى فقلت : يا أخى ياجبريل هاهنا يفارق الحبيب حبيبه. فقال : وما منا إلا له مقام معلوم أنت إن تقدمت اجتزت وأنا إن تقدمت احترقت وما منا إلا له مقام معلوم.

روى مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال :«لما كذبتنى قريش فى الإسراء قمتُ في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»

ويجب علينا أن نصون بيت المقدس طاهراً عزيزاً كريماً، وأن نعمل على استخلاصه وخلاصه وتخليصه من أرجاس اليهودية، وما يذكرنا بفلسطين الحبيبة التى يجب أن نسترجعها من طرّاد الآفاق وأعداء الانسانية الذين احتلوها بالغدر والخيانة وشردوا أهلها فى بلاد الله، واستولوا عليها بالبغى والعدوان. إننا حين نستحضر العظة من ذكرى الإسراء والمعراج فى الوقت الذى تتزاحم فيه الأحداث فى العالم من أمدٍ مضطرب وسلام مفقود مطلوب، نذكر أن هذا الحادث الكريم، كان تكريماً للرسول ﷺ واختباراً لإيمان المؤمنين وثباتهم على عقيدتهم، ودليلاً عل قدرة الله فى تأييد صاحب الرسالة وخذلاناً لباطل تسلح وتقوى بالكفر والعناد، لأمر ما أراد الله أن يكون الإسراءُ من مكة إلى بيت المقدس ثم العروج من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى فوق السموات العلا ورحلة عظيمة جمعت فى وقائعها ذكريات وذكريات، اسراء ليلاً برسول هو خاتم المرسلين، فى شهر حرام هو رجب من بلد حرام هو مكة بلد مولدُ المصطفى ﷺ من مسجد حرام هو أول بيت وضع للناس وقبلة الصلاة للمسلمين، وإليه تشد الرحال للحج كل عام إلى بيت المقدس أولى القبلتين وثانى الحرمين ومكان الرسالات السابقة وعروج النبى إلى السماء، مهبط الوحى ومستقر الملائكة الكرام، وإرتقاء إلى سدرة المنتهى حيث كانت المناجاة والمكالمة وفرض الصلاة صور ما أودعها فى قلب المسلم وإحساسه وما أعظمها في تأكيد يقينه وإيمانه، قال تعالى :**«إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»** سورة ق : آية ٣٧.

اللهم يا من أسريت بنبيك الكريم وأريته من آياتك الكبرى ما شئت أن تريهُ وكرمته بأنواع التكريم، وعرجت به إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. نسألك وأنت خير مسئول وأكرمُ مأمولٍ أن تفيض علينا سابغَ نعمائك، وفيض آلائك، وأن تغمرنا بمزيد من فضلك العميم، وأن توفقنا إلى اتباع نهج نبيك الكريم القويم، حتى يتحقق لنا النصر والفلاح كما نصرت رسولك الكريم، وصحابته الأكرمين، وأن تشملنا بمعونتك وحسن رعايتك حتى تعيد إلى فلسطين عروبتها وحريتها وتضمن لأهلها عزتهم وكرامتهم حتى تربط بين المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بفلسطين المقدسة كما كان الشأن أيام عز الإسلام ومجد المسلمين.

وإن أردتم مجدكم.. يعود ياقومى لكم، تمسكوا بالدين.. وحبله المتين. فبالذى دللتكم.. قد ارتقى به من قبلكم.. اللهم أعنا ولا تعن علينا وآثرنا ولا تؤثر علينا وامددنا بفيض من كرمك، ومزيد من جودك وبرك، إنك واسع الفضل كريمُ العطاء، سميع قريب مجيب الدعوات رب العالمين.

فى رحاب الذكرى

ليلة صفت سماؤها وأشرقت الأرض بنور ربها وسرت نسمة عليلة فى المجتمع الإنسانى توقظ الضمائر وتحرك الهمم لأنه سوف يقع فى الكون الآن حدث ضخم وسيكون من ورائه شأن عظيم ذلكم أن النبى محمداً العظيم الذى تتآمر عليه قوي البغى

والعدوان وتمتد إليه اليد الآثمة لترميه بالحجارة وهو فى الطائف يدعو إلى الله على بصيرة وإذا كانت الإنسانية إلا القليل منها صمت آذانها عن نداء الحق، ووقف هذا النبى فى حالة نفسية مضطربة يرفع يديه إلى القوى الكبير المتعال ويقول: **(اللهم إليك أشكو ضعف قوتى)** ثم يقول : **(إلى من تكلنى)** ثم يقول : **(إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى)** هذه هى لحظة العبودية الخاشعة لله فى نفس هذه اللحظة كان النبى الكريم يعانى من فقد زوجته التى كانت ترعى بيته وتهيئ له المكان الذى يجد فيه راحة نفسية ولو للحظات، فى نفس الوقت فقد الذى كان يدافع عنه فى المجتمع عمه أبوطالب فجاءت هذه الكلمات التى يستشعر منها الإنسان صدق النية وقوة اليقين والثبات على المبدأ والصمود أمام المحن المتلاحقة لكن الله العلى القديرالذى نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين شاءت مشيئته ولا راد لها أن يطلع نبيه على سلطانه العظيم وملكه الواسع العريض فبعث إليه الملك جبريل أمين الوحى ورسول السماء إلى أنبياء الله فى الأرض ومعه الملك ميكائيل فأيقظاه فى هذه الليلة السعيدة وكان قد اجتمع عند عمته عاتكة فى الجزء الأول من الليل وقال له برفق وهدوء : **(قم يامحمد فأنت الليلة مطلوب)**. وأركباه البراق وهو دابة تضع حافرها عند منتهى بصرها وانطلقت باسم الله تطوى الأرض طيًا، وكان الرسول ﷺ يرى من آيات ربه الكبرى صور ومناظر تدل على القدرة الفائقة وكان جبريل أمين الوحى يشرح للنبى ما يراه، فلقد رأى الدنيا وهى تتعرض له وتنادى عليه فلم يتوقف لها ولم يأبه بها لأنه يعلم أنها فانية وإلى زوال عاجل كما راى المجاهدين يحصدون زرعهم كما كان دليل الأجر والثواب كما رأى الذين يعذبون بسبب ما ارتكبوه من أفعال سيئة كأكلة الربا والزانى والزانية لأن عذاب هؤلاء أليم، وحال الذين أكلوا أموال اليتامى وهم يسبحون فى بحر من الدم وهكذا إلى أن وصل إلى بيت لحم فيقول له هذه بلدة المسيح، ورأى قبر موسى وهو يصلى فيه وهكذا إلى أن وصل إلى بيت المقدس ويا لعظمة المفاجأة فالمسجد قد امتلأ بالمصلين وهم صفوة الله من خلقه، الأنبياء بعثهم الله من مرقدهم وهو القادر على أن يحيى الموتى ذلك ليكونوا فى شرف استقبال النبى الخاتم الذى جاء متمماً لرسالتهم ويعترف بنبوتهم ويعلن على الدنيا احترامه لهم لأنهم كانوا أمناء أوفياء وأنه أمر أتباعه بذلك لأن الشخص العظيم لا يعرف الحقد ولا الكراهية والعظائم كفؤها العظماء وهذا النبى العظيم الشأن الرفيع القدر الذى عاش علي الأرض بخلق السماء عرج به فى تلك الليلة من بيت المقدس إلى السموات العلا ولقد اخترق السموات والتقى فى كل سماء بنبى فحياه إلى أن وصل إلى إبراهيم فى السماء السابعة وهو أبو الأنبياء وزعيم الأسرة المسلمة فقال له : **(أبلغ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله)** ثم وصل إلى ما فوق السماء السابعة حيث تأخر جبريل وقال : لو تقدمت لاحترقت فتقدم النبى وزج به فى الأنوار فسمع السلام يلقى على مسامعه ورد بأحسن رد ثم عاش لحظات لا يستطيع العقل البشرى أن يخوض فى معانيها وتلقى الصلاة هدية الله للمسلمين وعاد كما بدأ ووصل إلى مكان نومه قبل طلوع الشمس، فحدث قومه فالذين آمنوا ما زادهم هذا الحدث إلا إيماناً أما أصحاب القلوب الضعيفة والهمم الواهية فارتدوا على أعقابهم **«ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين»**.

من أحداث شهر رجب

دكتور: أحمد شلبى

شهر رجب من الأشهر الحرم الأربعة وهو شهر منفرد، أى أن الشهر الذى قبله والشهر الذى بعده ليسا من الأشهر الحرم، أما الأشهر الحرم الثلاثة الباقية فهى متتالية: ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم.

وشهر رجب شهر تكثر فيه العمرة، ولذلك ولأنه من الأشهر الحرم لا تقع فيه حرب، ومن هنا كان يوصف بأنه الأصم أى الذى لا تسمع فيه قعقعة السلاح.

وترتبط بشهر رجب أحداث عظام، سنروى فيما يلى أهمها:

أولا: فى شهر رجب من العام الثالث للبعثة بدأ إعلان الدعوة الإسلامية بعد أن كانت الدعوة سرية.

ثانيا: من أشهر الأحداث التى وقعت فيه حدث الإسراء والمعراج ففى السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بحوالى العام حَدَث الإسراء والمعراج، والإسراء والمعراج من أهم الأحداث التى وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم، وهما حدثان لا يخضعان لما نعرفه من التزامات الزمان والمكان، فقد أُسْرِىَ بالرسول من مكة إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء ثم عاد فى ليلته صلى الله عليه وسلم.

ويذكر التاريخ أنه قبل الهجرة بعام تم الإسراء والمعراج وشهدت مكة يوما من أيامها العاصفة، إذ أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم يُحدث الناس بأنه أسْرِىَ به إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به إلى السماء، وعَاد من ليلته. وقد فرحت قريش بما قال محمد، وظنت أن ذلك دليل واضح على كذبه وبهتانه، وأنَّ هذه المبالغة التى جاوزت الحد يمكن أن تكون سبباً يُبعد أصحاب محمد عنه، ويمكن كذلك أن تكون سببا يمنع المترددين عن التفكير فى متابعة محمد صلى الله عليه وسلم والتسليم بدينه.

خيبة أمل قريش:

وسرعان ما خاب ظن قريش، فقد سعت وفودهم مسرعة إلى أبى بكر لتقول له: أتصدق يا أبا بكر ما يقوله محمد من أنه أسرى به إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماء ثم عاد من ليلته؟.

قال أبو بكر فى يقين أذهل القوم: إن كان محمد قال ذلك، لقد صدق، قالوا: أتصدقه يا أبا بكر على ذلك؟

قال: لقد صدقته فى أكثر من ذلك، فى الوحى له من السماء.

وانهارت آمال قريش عند أبى بكر وعند المسلمين، فاتخذت قريش من الإسراء والمعراج وسيلة للتشنيع على الرسول صلى الله عليه وسلم، ورمته بالبهتان والجنون وغيرهما من الصفات، ولكن هذا

التشنيع لم يُنتج إلا اهتمام الناس بمحمد وبمحاولة التعرف عليه، والتحقق من أخلاقه، والاستماع لما يقوله بشأن الدين الجديد، وبهرت الكثيرين منهم الآيات الكريمة التى سجلت الإسراء والمعراج بما فيها من بلاغة ساحرة وقوة عظيمة.

قال تعالى: **«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»** (سورة الإسراء الآية الأولى).

وقال سبحانه وتعالى: **«والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى (أى جبريل). وهو بالأفق الأعلى ثم دنا (أى جبريل) فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده (إلى عبد الله محمد)ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى، (أى أن محمداً رأى جبريل مرة أخرى عند سدرة المنتهى).عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى».** (سورة النجم الآيات ١ ـ ٨).

والإسراء والمعراج من أهم الأحداث التى شهدها الإسلام، ولا يزال المسلمون حتى الآن يحتفلون بهذه المناسبة، ويعدون الإسراء والمعراج منحة من الله لرسول الإسلام جديرة بالثناء والتقدير.

وقد حدث الإسراء والمعراج بالروح والجسد، فالقوة الإلهية تقول للشىء كن فيكون، وفى المعراج فرضت الصلاة على المسلمين، وهذا يدل على مكانة الصلاة بين أركان الإسلام، فقد فرضها الله سبحانه وتعالى على الرسول فى الملأ الأعلى.

وهناك دروس مهمة يلحظها الباحث مرتبطة بالإسراء والمعراج:

- أن الله سبحانه وتعالى أتاح للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فرصة أن يرى العوالم الكبرى فصغرت بذلك مكة فى نفسه، وما بها من رجال وعتاد، وماذا تكون مكة ومن بها بالقياس إلى هذا العالم الفسيح؟ وإلى صاحب القوة الجبارة التى صنعت معجزة الإسراء والمعراج؟

- ومن هذه الدروس كذلك وَضْع المسلمين قبل الهجرة فى بوتقة اختيار لتنقيتهم من المترددين قبل أن يبدأ الشوط الثانى الذى سيكون حافلا بالجهاد والتضحية بالمال والأهل والوطن بعد الهجرة إلى المدينة.

ويُعد الإسراء والمعراج فى التفكير الإسلامى ـ من مكة حيث بنى إبراهيم الكعبة المشرفة، إلى بيت المقدس حيث دعوة موسى وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام – بمثابة رحلة تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من إبراهيم إلى محمد، وبمثابة إعلان وراثة خاتم الرسل لمقدسات من سبقه من رسل الله، وأن رسالته مشتملة على هذه المقدسات، وهذا المعنى هوما يحسّه القارىء فى قوله تعالى: **«شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك. وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى»** (سورة الشورى الآية ١٣).

ومنذ ذلك التاريخ أحس المسلمون بأن فتح فلسطين ضرورة اقتضتها عناية الله وتوجيهه ليشرف المسلمون على مقدَّسات الماضى، وعلى هذا فكل مسلم يلتزم بتصديق حدوث الإسراء والمعراج، وأن ذلك منحة سماوية من الخالق الأعظم لخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه.

ثالثا: معركة اليرموك والمعارك التالية لها:

من أحداث شهر رجب المهمة موقعة اليرموك سنة ١٥هـ .فبعد أن انتصر المسلمون على الروم فى معركتى أجنادين ودمشق جاءت معركة اليرموك، وهى وما بعدها من أخطر المعارك التى خاضها المسلمون، ومن أجلها أعدّ هرقل العدة إلى لقاء فاصل جمع فيه كل

قواه مصمما على الانتصار على المسلمين أو اليأس عند الهزيمة، وقد بلغت جموعه مائتى ألف جندى وتبالغ بعض الروايات العربية فتصل بالرقم إلى مليون أو مليون ونصف، وقاد الجيش جبلة بن الأبهم آخر ملوك الغساسنة والقائد الأرمنى ماهان، وكان جيش المسلمين حوالى أربعة وعشرين ألفا يقوده أبو عبيده ابن الجراح، ودارت معركة عنيفة بالقرب من نهر اليرموك.

واستعدادا لهذه المعركة أخلى العرب دمشق وحمص وغيرهما، وتراجعوا لتكون المعركة على حافة الصحراء، إذ أن العرب أقدر على المعارك فى مثل هذه البقاع، ويروى أن أحد الشعراء العرب فى جيش الروم كان يقول قبل بدء المعركة:

ألا عللانى قبل جيش أبى بكر

لعل منايانا قريب ولا ندرى

وتسلسلت الروم وأتباعهم لئلا يطمعوا أنفسهم فى الهرب وقد دارت الدائرة عليهم، وفرّ منهم حوالى سبعين ألفا، وتشتت الباقون إلى مختلف النواحى، وكانت نساء المسلمين يخضن المعركة مع الرجال.

ولما بلغ هرقل هزيمة جنده فرّ من أنطاكية إلى القسطنطينية، ويروى أنه ودع سوريا وداعا حزينا فقال: السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرجو اللقاء.

وقد قتل من المسلمين فى موقعة اليرموك عدد كبير من بينهم عكرمه بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام وغيرهم.

وبعد معركة اليرموك انقسم جيش المسلمين قسمين قسم اتجه إلى الشمال بقيادة أبى عبيدة ومعه خالد بن الوليد، واتجه قسم آخر إلى الجنوب بقيادة عمرو بن العاص وشرحبيل، وبقى يزيد بن أبى سفيان فى منطقة دمشق – وكان قد أرسل قبل ذلك لها – ليحمى ما حققه المسلمون من انتصارات بها.

وقد استطاع أبو عبيدة وخالد أن يستوليا على حمص وحماة وقنسرين واللاذقية وحلب، واستطاع عمرو بن العاص وشرحبيل أن يستوليا على عكا وحيفا ويافا وغزة وغيرها.

ولم يبق أمام المسلمين إلا بيت المقدس، وقد دافع عنه الروم دفاعا شديدا أنزل كثيرا من الخسائر بجنود المسلمين ولكن جنود المسلمين صبروا، ولعبت السياسة دورها، فقد اتصل المسلمون بالمسيحيين ببيت المقدس، وكان المسيحيون يعانون المتاعب من حكم الروم، كما كان المسلمون يعظمون بيت المقدس ولا يريدون مواصلة الضحايا من الجانبين، وأحسّ أرطبون قائد الروم بهذه المناورات تدور حوله فهرب إلى مصر، وطلب المسيحيون الصلح على أن يحضر الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه الذى آلت الخلافة إليه لتسلم المدينة، ويتعهد لسكانها بالحرية الدينية، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك فحضر عمر به الخطاب بنفسه وكتب كتاب الأمان المسمى «بالعهدة العمرية».

واتجه عمرو بن العاص بعد ذلك لمقابلة قسطنطين ابن هرقل عند قيسارية، ولكن عوامل الذعر كانت قد استولت على الأمير الشاب فهرب تاركا جيشه، وسافر إلى القسطنطينية فى ظلام الليل، كما هرب أبوه من قبل من أنطاكية إلى القسطنطينية على أثر هزائم الروم فى موقعة اليرموك.

لقد بذل المسلمون آلاف الضحايا فى حروبهم ضد الروم فى سوريا وفلسطين، فأصبحت هذه الديار بذلك غالية عليهم، فكم لهم بها من أرواح أزهقت ودماء أريقت.

رابعا – وفاة الخليفة المأمون بن هارون الرشيد:

من أحداث شهر رجب وفاة الخليفة المأمون ففى رجب سنة ٢١٨ هجرية توفى الخليفة طيب الذكر

المأمون بن الرشيد، والخليفة المأمون من الخلفاء البارزين فى تاريخ الإسلام لرعايته للعلوم والمعارف فإليه ينسب نشاط بيت الحكمة، وهو أول جامعة إسلامية، وقد أنشأ الخليفة هارون الرشيد هذه الجامعة، ولكن نشاطها وصل إلى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة، وله شغف بالعلوم والآداب، ومن أجل هذا أولى بيت الحكمة عناية خاصة كان نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين، ودخول العلوم الأجنبية إليهم، واحتضانهم لهذه العلوم، مما أدى إلى حفظ ذلك التراث ونقله إلى الأجيال التالية وكان على وشك أن يضيع.

وقد ضم بيت الحكمة كتبا وضعت فى الأصل بلغات مختلفة ومن أهمها اليونانية والفارسية والهندية والمصرية والآرامية. ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرين ينقل بعضهم من اللغة اليونانية وينقل آخرون من الفارسية، وينقل فريق ثالث من الهندية، وهكذا...

وقد وجهت العناية فى بدء العهد ببيت الحكمة إلى الكتب الفارسية والهندية ويرجع السبب فى ذلك إلى أن يحيى بن خالد كان يشرف على شئون الدولة بوجه عام، وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص، ويحيى ابن خالد فارسى الأصل والثقافة، فاهتم بأن ينقل إلى اللغة العربية ألوانا من ثقافة الفرس وعين لترجمتها أشخاصا لهم سيطرة على اللغة الفارسية ومعرفة باللغة العربية من أمثال أبى سهل الفضل بن نوبخت، وعلان الشعوبى.

ويقول ابن النديم عن ابن نوبخت: «له نقول من الفارسى إلى العربى ومعوله فى علمه على كتب الفرس، وكان للفرس صلة بالهنود ومعرفة بالثقافة الهندية ومدى رقيها، ومن أجل هذا نجد يحيى بن خالد يرسل فى طلب بعض علماء الهنود المتفوقين، ويعين من يترجم عنهم كتبهم وأفكارهم إلى اللغة العربية، وبواسطة هؤلاء العلماء الذين استدعاهم يحيى نقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية إلى العربية.

ثم جاءت الثروة الضخمة عن طريق التراث اليونانى الذى اقتبس الكثير من الحضارة المصرية القديمة،وقد حفلت المراجع العربية بالحديث عن ذلك التراث.

وقد تقلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب اليونانية فى بيت الحكمة.

وذكر ابن النديم أنه فى النصف الأخير من القرن الرابع نقل نموذجا لكل من الخط الحميرى والحبشى إلى خزانة بيت الحكمة.

وذكر القلقشندى أن خزانة بيت الحكمة ظلت حتى دهم التتار بغداد وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفاء العباسيين فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وضاعت معالمها وعفت آثارها.

لقد كان الخليفة المأمون من الخلفاء النادرين خلقا وعلما وكفاءة، وإن ما خلفه فى الجانب العلمى سجل للمسلمين ألوانا من المفاخر، فقد حفظ بيت الحكمة تراث الإنسانية من الضياع، وكانت المواد العلمية التى ترجمت فى بيت الحكمة وانتقلت مع ما انتقل للغرب من المسلمين من فكر أساس نهضة أوروبا وازدهار الحياة فيها.

ومما يروى عن تشجيع المأمون للترجمة أنه كان يعطى المترجمين زنة ما يترجمون من الذهب الخالص، ولما استكثر أمين بيت المال هذه المكافأة فى إحدى المرات، قال له المأمون: أعطهم، فإنهم يقدمون لنا الباقى ويأخذون الفانى.

رحم الله المأمون رحمة واسعة.

فى ذكرى الإسراء والمعراج

عبد الفتاح الطاهر على الخطيب

يا ليلة عادت بذكراها التى *** حظيت بكل تجلة وثناء

يا ليلة حفلت بكل عجيبة *** فاقت خيال الشعر والشعراء

فمحمد خير الخلائق كلهم *** قد خصه الرحمن بالإسراء

من مكة الفيحاء للقدس التى *** سعدت بخير الرسل والرحماء

فى موكب بالنور أشرق فى الدجى *** وأضاءه بخوارق الأضواء

فى ليلة هى عرس دنيانا التى *** ما ازينت إلا لخير لقاء

فيها الملائك والنبيون ازدهوا *** لما التقوا بك سيد الشفعاء

صلوا وكنت إمامهم فى ليلة *** حفلت بأروع فرحة وسناء

هى ليلة قدسية لمّا تزلْ *** عبر الزمان فريدة الأنباء

أما السماء فقد تعالى قدرها *** بعروج طه فى أجل رواء

فوق «البراق» وليس يبدو مثله *** صاروخهم فى سرعة ومضاء

فى موكب ماكان قبل لغيره *** وقد ارتقى للسدرة العصماء

فرأى العجائب لم يشاهد مثلها *** بشر ولا مَلَك بلا استثناء

ماذا أقول عن الفيوضات التى *** فاضت على طه أبى الزهراء

لا تسألوا عن كنهها أو حصرها *** فهى التى عزت على الإحصاء

وكفاكمو منها الصلاة فريضة *** يا أمة خصت بخير عطاء

فيها الطهارة للنفوس من العمى *** وهى السبيل لنيل خير جزاء

صَلى عليك الله يا خير الورى *** يا من حُبيت بشرعة غراء

هى خير مسك للشرائع كلها *** ستظل رغم الشرك فى العلياء

سيروا على هدى الكتاب ونوره *** ليعود مجد سوالف الآباء

وامضوا إلى القدس الحزينة حرروا *** أرضا تروت من دم الشهداء

حتى تسودوا فى الحياة وتنعموا *** بمكانة مرموقة ورخاء

دراسات فى السنة المطهرة

- المسلم وألد أعدائه
- عندما أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلم وألد أعدائه

الشيخ إبراهيم الدسوقى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.. والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس.

الكلمات

قوله صلى الله عليه وسلم : الكَيِّس قال ابن العربى الكيس العقل والكيس العاقل.

دان نفسه : يقال دان بالإسلام دينا بالكسر إذا تعبد به وتدين به ودان ـ أدينه جازيته قوله والأحمق : الحمق : فساد فى العقل، وحمق يحمق من باب تعب فهو حمق وحمق بالضم فهو أحمق والأنثى حمقاء والجمع حمقى وحمق.

وقوله وتمنى على الله : الأمانى طول الأمل وامتداد الأجل.

البيان : خلق الله الإنسان بقدرته ونفخ فيه من روحه وفطره على الخير يسرى فى كيانه بحكمته وجعل الحياة السوية رهنا بمقدار استجابته لنداء فطرته التى فطره الله عليها والتى تقود سيرته القيادة الرشيدة إلى ما يفئ بالخير عليه وعلى مجتمعه وعلى الحياة بأسرها من حوله، وذلك حيث تنطلق طاقات الإنسان للبناء لا للهدم وللتعمير لا للتخريب ذاكرا لربه شاكرا لإنعامه وفضله لا يحمل بين جنباته إلا الحب الذى تنتظم به علاقاته وتطهره من الرذائل وتخلع عليه سنى الصفات وجليل الفضائل.

الإنسان بنيان الله

والإنسان بنيان الله الذى كرمه وفضله وأعلى من قيمته وسخّر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه. كما حرم أن تمتد إليه يد بأذى أو يتعرض لظلم أو بغى أو عدوان كما جاءت الشرائع السماوية كفيلة بالحفاظ عليه من كل ما يتهدده فى حياته أو ينأى به عن الصراط المستقيم فى تصرفاته شعاره قول الحق سبحانه :«**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**» وفى سبيل ذلك جاءت النذر تترى مؤكدة حق هذا البنيان فى ان يبقى معافى من كل سوء فى نفسه وعقله وماله وعرضه فضلا عن دينه الذى هو سياج حياته وأغلى مقدراته وحظه من الوجود كله ومنطلقه إلى أسمى غاياته. وكانت اللعنة والطرد من رحمة الله لمن يهدم هذا البنيان وكان الوعيد للإنسان الذى يحاول التخلص من الحياة ويقتل نفسه وكان قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى جهنم خالدا فيها أبدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتحساه فيها خالدا مخلدا فيها**

أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالد مخلدا فيها أبدا » رواه مسلم والله تعالى يقول: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » النساء ٢٩ ، ٣٠.

ذلك أن الجسم ملك الله عز وجل ائتمن الإنسان عليه وابيح له الانتفاع به فى إطار المنهج الذى وضعه مالكه وهو الحق سبحانه : فكل خروج عليه كثيرا أو قليلا يؤاخذ به فاعله ولو كان من المرء على نفسه وقد استتبع ذلك تحريم كل ما يضره ولو كان فى أصله حلالا كتناول الطعام فى اسراف أوحرام كشرب خمر أو اساءة استخدام عضو من أعضائه ... الخ وفى الحديث **نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر »** رواه **أبو داود** فإذا كان المعتدى هو الغير فقد قال تعالى ناهياً عنه : **«ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق»** وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **«لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث.النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة».**

كما نهى عن قتل الأولاد فقال: **«ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»** سورة الأنعام: آية ١٥١.

وقد جاء فى الكتاب والسنة من الوعيد والزجر الشديد ما ينادى بفظاعة هذه الجريمة. قال تعالى : **«ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً»**

سورة النساء: آية ٩٣.

وعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار».**

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما ومن أعان مجرما على ارتكاب جريمة كان شريكا له فى الاثم وعذاب الله فقد قال الله تعالى: **«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».**

وربنا تبارك وتعالى يحرم القتل وما دونه فيقول: **«وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص»** سورة المائدة: آية ٤٥

الإنسان والحياة

ومع جميع ما تقدم من وسائل إثراء الفطرة التى صاغ الله الخلق عليها فقد وثق علاقة الإنسان بالأرض التى يعيش عليها فقد هدد بالوعيد أولئك الذين يعيثون فى الأرض بالفساد.محاولين عدم الانتفاع بخيراتها والسعى فى القضاء على ما أودع الله فيها من وسائل العيش الكريم والحياة الطيبة فيقول سبحانه فيهم: **«ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله علي ما فى قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد »** البقرة : آية٢٠٥ ، ٢٠٦.

وقد كان من رحمة الله أن وفر للإنسان مايحتاجه ويحفظ عليه حياته فى دنياه ويزوده بما به تنتظم مع الله ومع كل مايحيط به علاقاته فمع العقل الذى زانه به حدد له معالم الطريق الذى يسلكه إلى تحقيق الغاية التى لها خلق وإلى المصير المحتوم حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا. وكل امرئ فى هذا الوجود منذ خلق وفى جميع أطوار حياته فى امتحان تتصارعه قوتان إحداهما تنزع به إلى الأرض فهو فيها يكد ويكدح ويغدو ويروح وكلما أوتى منها حظا تاقت نفسه إلى خير منه وهكذا لو كان له واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا وقد يعميه الطمع فلا يقف عندالحلال يجمعه بل

تمتد عينه إلى الحرام فلا يتورع من أخذه فإذا ذكر بما يحول بينه وبين ما يفعله أخذته العزة بالإثم وانطلق في غيه، وأخرى تسمو به إلى الملأ الأعلى حيث الصفوة من الخلق فهو يطلب بأن يولى هذه القوة عنايته ويمنحها رعايته ويعطيها كل ما يستطيع من إمكاناته ومقدرات حياته،

الميزان السوى

ولما كانت الدنيا الوعاء الذى تصب فيه القوتان وسبقت كلمة الله أن يكون صلاحها بهما متعادلين بحيث لا تطغى أى منهما على الأخرى . فقد أودع الله الإنسان العقل الذى يميز به الخبيث من الطيب وكانت رسالات الرسل وهى التى تبين للناس القبيح الذى يجب تجنبه والحسن الذى نأخذ أنفسنا به، والعلاقة بين القوتين. بما تصلح به الحياة ويحيا فى ظلالها العالم فى أمن وسلام.

إلا أنه أمام ضعف الإنسان وتعرضه لما يميل به عن الطريق السوى ويجرفه تياره إلى مضلات الهوى وبواعث الانحراف وسوء المنقلب، ذلك الذى يتمثل فيما يكيد به الشيطان للإنسان وتدعو إليه النفس الأمارة بالسوء. فإن الواجب أن يأخذ بينهما حذره وأن يعلم أنه صمام الحياة المثلى فى ألا يكون»

لأى منهما السلطان على الذين آمنوا وأخلصوا العبودية لله رب العالمين أما من رجحت عنده كفة الحياة الدنيا فإنه سوف يسلك من الطرق ما يباعد بينه وبين منازل الأخيار وينخرط فى سلك العصاة الأشرار.

ولقد نبهنا الحق سبحانه وتعالى إلى ما يتهدد الإنسان من الأخطار والفتنة بالدنيا وتدنيها حتى لا نقع فى شراكها، وربنا يقول لحبيبه صلى الله عليه وسلم **«ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى»** سورة طه: آية ١٣١.

كما قال سبحانه **«اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»** الحديد آية: ٢٠، ٢١.

ويوم القيامة ينادى المنافقون المؤمنين حين يرون سوء عاقبة ما قدموا وغفلتهم عن هذا المصير الذى فوجئوا به قائلين: «**ألم نكن معكم. قالوا بلى. ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**» سورة الحديد: آية ١٣ ـ ١٤.

معنى الغرور وعلاجه.

والغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشئ ويراه على خلاف ماهو به. والغرور يستدعى مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره. فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع من شبهة وخدعه من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل من شبهة فاسدة فهو مغرور . وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه. وثم فأكثر الناس مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض. وأشد أنواع الغرور غرور الكفار والعصاة والفساق. فأما غرور الكفار فمنهم من غرته الدنيا بزينتها وزخرفها وآثرها على الآخرة وفى هؤلاء يقول سبحانه وتعالى : **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون»** سورة البقرة ـ ٨٦.

وعلاج هذا الغرور إما بالتصديق والإيمان وإما بالحجة والبرهان . فالتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن ما عند الله باق يحصل العلم ويزول الجهل. وبالحجة والبرهان تذهب الشبهة وتتجلى الحقيقة قال تعالى : **«ماعندكم ينفد وما عند الله باق»**. النحل: آية ٩٦

وقال «**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور**» سورة فاطر : آية ٥

وقال «**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**». سورة الحديد : آية ٢٠.

«والآخرة خير وأبقى» سورة الأعلى ـ ١٧.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوائف بذلك من الكفار فتتبعوه وآمنوا به ولم يطلبوا منه حجة أو برهانا على ما يدعوهم إليه، ومنهم من قال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدقونه ولا يصدق عليهم الغرور وما مثله إلا كمثل الصبى مع والده يصدقه بأن حضور المكتب خير من حضور الملعب، وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أنه يعرف أن ما ألقاه الشيطان فى قلبه من أن العاجلة وثمرتها خير من الآجلة التى لم يرها ويعرف فساد ذلك. إذ الكافر المغرور يأخذ من تجارته درهما ليأخذ عشرة قد تكون وقد لا تكون. كما أن ما يلقيه الشيطان من أن متاع الدنيا يقين وأما الأخرة فإنها لا تدرى أيكون أم لا. فذلك مدفوع بأن الأطباء والعلماء إذا قالوا هذا النبت علاج لمريض فإنه سرعان ما يأتى به ويصدق وهو لم يجربه قبل ذلك ولم ير أحدا استعمله.

كما أن أمر الآخرة إنما علم بالوحى للأنبياء. وبالإلهام للأولياء. كما أن معرفة النبى للآخرة ولأمور الدين لم تكن تقليدا لجبريل بالسماع منه كما أن معرفة المرء بالسماع من النبى لا يجعل معرفة السامع مثل معرفة النبى، إذ أن التقليد ليس بمعرفة وإنما هو اعتقاد صحيح ناشئ عن مشاهدة بالبصيرة الباطنة كما نشاهد بالمحسوسات، والمقصود أن غرور الشيطان يدفع إما بيقين تقليدى وإما ببصيرة ومشاهدة. من جهة الباطن وما مثل الكافر إلا كمثل الرجلين المتجاورين وقول بعضهم لو كان هناك مناد فنحن أحق به من غيرنا. يشير إلى ذلك قوله سبحانه في غرور بعضهم **«وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا»** سورة الكهف ـ ٣٦.

وكما وصف سبحانه قول العاصى بن وائل: **«لأوتين مالا وولدا»** سورة مريم ـ ٧٤.

وما جاء فى القرآن ردا عليه «**اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا. كلا**» سورة مريم ـ ٧٧ ـ٧٨.

روى عن خباب بن الارت أنه قال كان لى على العاص ابن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت إنى آخذه منك فى الآخرة فقال لى: إذا صرت إلى الآخرة فإن لى هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله: «**أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا**» .

وقال: «**ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى**» سورة فصلت ـ ٥٠.

وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها والغرور به وإدراك أن ذلك تكريم من الله به لمن أحبه فإذا صرف النعيم عن هذا المغرور ظن أن ذلك هوان وفى ذلك يقول تعالى: «**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن**» سورة الفجر: ١٥ ـ ١٦.

وقد أجاب الله عن ذلك قائلا **«كلا»** أى ليس كما قال وإنما هو ابتلاء وأنه غرور قال الحسن كذبهما الله جميعا فقال «كلا» يقول ليس هذا بإكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا.

غرور العصاة

وأما غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو رحمته وعفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء، وظنهم أن الرجاء مقام محمود فى الدين، وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم. وأين معاصى العباد فى بحار رحمته وإنا مؤمنون وموحدون؟ وكاغترار المرء بآبائه وأجداده الأتقياء الورعين الذين هم من خشية الله مشفقون حين يظنون أنهم فى مأمن من العذاب إذ سول الشيطان لهم هذا الفهم السقيم وهو أن من أحب إنسانا أحب أولاده من أجله. ولو كانوا فساقا أو فجارا. وينسى هؤلاء المغرورون أن نوحا عليه السلام أراد أن

يصحب ولده معه فى السفينة فلم يستجب فكان من المغرقين وأنه لما قال: **«رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق»** قال عز وجل **«إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح»**، وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه وأن نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ استأذن ربه فى أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له فى الزيارة ولم يأذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر أمه حتى أبكى من حوله» ، فمن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى منه والد عن ولده. **«يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه»** إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيؤذن فى الشفاعة. هذا والشيطان لا يغوى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب. وقد قيل للحسن: قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها ، من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه.

رجاء محمود

والرجاء محمود فى موضعين، أحدهما فى حق العاصى المنهمك إذا أدركته التوبة فإن الشيطان يقول له وأنى تقبل توبتك. يقنطه من رحمة الله. فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر قول الله سبحانه: **«إن الله يغفر الذنوب جميعا»**، وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب جميعا. قال تعالى: **«قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم»** سورة الزمر ـ ٥٣ ـ ٥٤.

وقال: **«وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»** ، فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج.

وثانيهما: أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى: **«قد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ إلى قوله ـ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»**.

فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبة، والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر للعبادة، فكل توقع حث على توبة، أو على تشمُّر فى العبادة فهو رجاء. وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرور كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيزين له الشيطان الخلود إلى الراحة فيغتر عن التوبة والعبادة وذلك؛ غرور يجب عنده أن يستعمل الخوف ويذكر أن الله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل ومالا يبعث علي العمل فهو تمنٍّ وغرور.

ما بعد الحياة

وأمام ما صاغ الله عليه البشرية من الاختلاف فى حظوظهم من أنعم الله المتنوعة مادية ومعنوية فقد كان ذلك لحكمة عالية تكشف مافى دخيلة العبد من نور يري به الحياة على حقيقتها فلا يثنيه شيء منها عن واهبها وحقه فيها والوظيفة التى لها خلقت وأنها معبر يحمل الإنسان منها من جمع للحياة الخالدة التى يوزن فيها كل امرئ بماعمل وما حمل ويجزى بما كسب **«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.»** وحتى لا تكون حجة لمن يتزود منها بالمنافع من الزاد لهذا اليوم الذى تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضرا أو ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وأن الناقد فى هذا اليوم بصير لا تخفى عليه خافية قال تعالى مذكرا بهوان الدنيا وقيمتها. **«اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما. وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها**

كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».سورة الحديد : آية ٢٠ و٢١

وعليه فإنه مهما أوتى المرء من نعم فهو بها فى امتحان يفوز فيه من عرف المنعم سبحانه وحقه فيه واتخذ من هذه النعم الوسيلة لاثراء الخير فى دنيا الناس ولم يقف اهتمامه بها عند تحقيق ما يتمناه فيها من العيش الكريم والرفاهية والترف الواسع دون نظر إلى ما وراء ذلك مما أعده الله من الحسنى للذين آمنوا وكانوا محسنين ولما أعده لمن نسي ربه ولقاءه من الحساب الشديد والعذاب الأليم ومن رحمة الله سبحانه أن امتن على الإنسان بأشرف ما أنعم به عليه وهو نعمة العقل أداة للعلم الذى تنتظم به كل شئونه دنيا وأخرى والذى به يستطيع أن يأخذ مكانه المتميز فى هذا الوجود والخلافة عن الله فى الأرض كما ناط به الثواب والعقاب. ولم يكن العلم بأنواعه إلا الطريق السوى إلى خير الدنيا وما بعد الحياة وكان فى مقدمة أنواعه العلوم الشرعية التى هى السياج الواقى من الانزلاق فى مهاوى الضلالة والهلكة وهو بذلك من ألد أعداء النفس والشيطان. الأمر الذي يدفع الشيطان بجنوده وأعوانه من التصدى للعلماء وعلى الأخص منهم الذين أحكموا العلوم الشرعية والعقلية ونبغوا فيها. حيث زين لهم الشيطان الاشتغال بها وإهمال تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات مغترين بعلمهم ظانين أنهم عند الله بمكان، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم. كما أنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم عليه سبحانه. وهم بذلك مغرورون لأنهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان علم معاملة وهو العلم بالحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهذه علوم لا قيمة لها دون العمل وتطبيقها فى الحياة سلوكا يحتذى ومنهجا يتبع، فالفقيه الذى أحاط بعلم الطاعات ولم يعملها وأحكم على المعاصى ولم يجتنبها وعرف الأخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها والأخلاق المحمودة ولم يتخلق بها مغرور فقد قال تعالى: «**قد أفلح من زكاها**» ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه للناس. فالعلم وحده دون العمل به والاطمئنان إلى ذلك غرور وما مثله إلا كمن قال الله فيهم «**واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**» وكقوله تعالى «**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**».

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا»

وروى ابن حبان موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا. وفي رواية قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه».

وقال أيضا «لا يكون الرجل عالما حتى يكون بعلمه عاملا» رواه أبو حبان والبيهقى. ومخطئ من يظن أن العلم أسلوب جذلٌ ومنطقٌ سهل وكلام فصيح وعرض يثير الإعجاب والثناء، فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع**» رواه الترمذى وابن عبدالبر. وقال أيضا« **لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتحاوروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار**». أخرجه ابن ماجه باسناد صحيح. نسأل الله أن يحفظنا ويوفقنا لما يحب ويرضى.

وكان يحيى بن معاذ يقول لعلماء الدنيا «يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسرويه وأخفافكم جالوتيه (نسبة إلى جالوت) ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية».

عندما أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أ.د مصطفى رجب

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «ثلاث أقسم الله عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه صادق النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

الحديث صحيح ـ أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى فى سننه عن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «ثلاث أحلف عليهن : لا يجعل الله سبحانه وتعالى من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصيام والزكاة، ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله معهم، والرابعة : لو حلفت عليها رجوت ألا آثم : لا يستر الله عبدا فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة».

الحديث صحيح ـ أخرجه أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى (فى شعب الإيمان، عن عائشة رضى الله عنها وأخرجه أبو يعلى فى مسنده عن ابن مسعود، وكذلك أخرجه الطبرانى (فى المعجم الكبير) عن أبى أمامة.

وفى هذين الحديثين الصحيحين ثروة من الآداب النبوية الرفيعة ينبغى لكل مسلم أن ينهل منها بقدر طاقته.

فى الحديث الأول يقسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ثلاثة أشياء :

١ ـ أن إخراج الصدقة لا ينقص من رأس المال شيئا.

٢ ـ وأن من يعفو عما وقع عليه من ظلم يزيده الله عزا.

٣ ـ وأن المتظاهر بالحاجة والفقر والعوز يزيده الله فقرا وحاجة وعوزا.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : لماذا يقسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق؟

والإجابة عليه أن بعض ضعفاء النفوس ربما يسمعون الحديث ويتظاهرون بأنهم مصدقون له ولكنهم فى أعماق نفوسهم يرتابون فى حقيقة معناه، فمثلا إذا كان شخص يمتلك ألف درهم مثلا فائضة عن حاجته وحال عليها الحول وكان عليه أن يخرج منها خمسة وعشرين درهما فتصبح ٩٧٥ فكيف لا تنقص حسب ظنه؟

إن المسلم الضعيف اليقين يحتاج فى هذه الحالة إلى عدة أساليب لتأكيد أى خبر يصل إليه بأن ماله لا ينقص، ولهذا أقسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون فى القسم زيادة عن مصدره ـ وهو الصادق الأمين ـ مزيد من الطمأنة والتوكيد مما يؤدى إلى سماح النفس ونزولها عن حق الله سبحانه وتعالى فى المال برضا ويقين ومعنى الحديث على هذا أن هذه الـ٩٧٥ الباقية سوف يبارك الله سبحانه وتعالى فيها فيجنى صاحبها من ورائها أكثر مما كان سيجنيه من وراء الألف الكاملة لو بقيت دون زكاة، أو لعل المراد أن الله سبحانه وتعالى سيعوضه عما أخرجه بمزيد من رزق آخر ليس فى حساباته مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: **«وما انفقتم من شىء فهو يخلفه»**.

وكذلك الحال فى الشىء الثانى وهو العفو عن الظلم فقد يظن هو أنه ان عفا فسيعيش ذليلا فى نظر الناس، فكان القسم هنا ضروريا بأن الله سبحانه وتعالى سيعوضه عن عفوه عزا ورفعة، وهذا واقع ملموس فى حياة الناس وفى بطون كتب التاريخ عشرات الأمثلة له.

وأما الذى يسأل الناس ويظهر أنه محتاج وماهو بمحتاج فإن فى هذا القسم زجرا له عن ممارسة هذه العادة القبيحة الذميمة وهى أكل أموال الناس بالباطل وأمثلة هذا النوع كثيرة فى الحياة من حولنا.. فالمنفقون يعوضهم الله أولا بأول، وأما المتظاهرون دائما بالحاجة والفقر فتزداد أحوالهم سوءا وتدنيا وذلة.

ثم يقسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى أربعة أنواع:

١ ـ رجل معه مال وعلم يعمل بعلمه وينفق من ماله ويتقى ربه ويصل الرحم.

٢ ـ رجل معه علم بلا مال يعمل بعلمه ويتمنى أن لو كان معه مال لكى يصنع فيه كالرجل السابق فهو مثل السابق فى الأجر.

٣ ـ رجل معه مال بلا علم يتخبط فى ماله فلا يعرف حقوق الله ولا الأرحام.

٤ ـ رجل ليس معه مال ولا علم يقتدى بسابقه بمجرد التمنى فهو يتمنى أن لو كان معه مال فيتخبط فيه.

فالأول والثانى سواء فى الأجر، والأول أفضل، والثالث والرابع سواء فى العقوبة، والرابع أسوأ حالا.

ومن هذا التقسيم نستنتج:

● أن أفضل الأحوال للمؤمن أن يكون ذا علم ومال يجتهد فى تحصيلهما وتجتهد نفسه فى الوصول بهما إلى رضا الله عن طريق صلة الرحم وإيتاء ذوى الحقوق حقوقهم وكسب العلم مهم لكل مسلم حتى لا يعبد الله على جهل.

● أن المؤمن يُعامل بنيته فإذا صلحت نال الأجر دون أن يكون قد عمل شيئا والعكس صحيح لأن الحب والكراهية من أعمال القلوب، فهى لون من الكسب، وقد يعترض هنا معترض فيقول: «كيف يُعاقب المسلم بنيته والحديث الآخر الصحيح جاء فيه: «.. ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ـ أو لم يكتب عليه شىء»؟.

والجواب الذى أراه أن الفعل (هَمَّ..) ماض، والفعل

فى الحديث الذى بين أيدينا مضارع (فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت..) فاستعمال المضارع هنا مع الشرط بـ(لو) وما يلزم فى جوابها من لام التوكيد فيه دلالة على تجدد رغبته فى عمل الشر وارتكاب المعصية، أما الفعل الماضى (هَمَّ بسيئة) فيدل على أن ذلك ربما يكون مرة واحدة وفجأة من غير تعمد، والتعمد مهم جدا فى الثواب والعقاب.

كما قال الله سبحانه وتعالى: **«لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن ما تعمدت قلوبكم»**.

والحديث الحالى يتمشى مع قوله سبحانه وتعالى: **«إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء»**.

أى: بحسب علمه بحالته التى كان عليها ونيته المبيتة. وهناك احتمال آخر أن يكون الهم بالسيئة فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين ربه، فهذه مما يعفو الله سبحانه وتعالى عنه كما جاء فى أحاديث أخرى.. أما نيته فى تقليد المفسد بماله القاطع لرحمه فهى نية تتعلق بعلاقاته بالناس، فمن المعقول جدا أن يجازى بها.

●●●

أما الحديث الثانى ففيه يقسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حقيقة ملموسة وهى أن الله سبحانه وتعالى لن يسوى فى الحساب بين من واظب على طاعة من الطاعات الثلاثة:

ـ الصلاة ـ والزكاة ـ والصيام.

وبين من تهاون فيها وتكاسل عنها الحديث عن هذه الثلاث وفضائلها وأهميتها يعد من نافلة القول لأن المسلمين ـ عالمهم وجاهلهم ـ أصبحوا على علم بكثير من ذلك مع انتشار وسائل الإعلام وكثرة تردد هذه المعانى فى خطب الخطباء ودروس العلماء.

أما الجديد فى الحديث فهو الرابعة التى قال فيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ **«والرابعة لو حلفت عليها رجوت ألا آثم: لا يستر الله عبدا فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة»**.

وقوله فى الحديث: **«ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة»**، فهذان المعنيان اللطيفان يبثان البشرى للمسلمين بأن من يلتزم بالطاعات الثلاث السابقة يتولاه الله سبحانه وتعالى فى الدنيا وتوفيق الله للعبد لأدائها دليل على رضاه تبارك وتعالى عن عبده لأنه أعانه على طاعته، والحديث يبشر المسلم بأن الذى هذه حاله سوف يكون فى كنف الله سبحانه وتعالى وحفظه يوم القيامة ولن يتركه الله لغيره. والمعنى الثانى من الحديث فيه سيساعده حتى يدخل الجنة بالعفو عن زلاته.

والشق الثانى من الحديث فيه بشرى مغلفة بالانذار، أو إنذار مبطن بالبشرى لبعض عصاة المسلمين الذين يسترهم الله سبحانه وتعالى فى الدنيا فالحديث يبشرهم وينذرهم فى لفظ واحد بأن من ستره الله سبحانه وتعالى فى الدنيا سيستره يوم القيامة بمعنى أن من الواجب على من ابتلاه الله بمعصية ثم ستره ألا يفضح نفسه لأن ستر الله له فى الدنيا دليل على أن الله سبحانه وتعالى يصبر عليه رجاء أن يتوب أو يستغفر فيتم عليه ستره. وفى نفس الوقت فى الحديث إنذار للمُصر على المعصية بأن الله سبحانه وتعالى لو كشف عن ستره فى الدنيا وفضحه فهذا دليل على سوء حاله يوم القيامة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، ويتجاوز عن سيئاتنا.. إنه سميع مجيب.

الحضارة والعلوم

- الإسلام وأثره فى تكوين الفكر العالمى
- النظام الاقتصادى فى الإسلام
- الوسطية الإسلامية فى الحرية الإنسانية
- الغزو الثقافى أهم قضايا التعليم المعاصر

الإسلام وأثره فى تكوين الفكر العالمى

أ. د. محمود حمدى زقزوق

عندما نريد أن نتحدث عن الفكر بوجه عام فإن الأمر يقتضى حينئذ أن نتحدث أولا عن العقل، لأن العقل هو أساس الفكر، ولا يوجد فكر بدون عقل. ونهضة الفكر وارتفاع شأنه وعلو قدره تتطلب أولا وقبل كل شىء احترام العقل والأخذ بيده نحو أداء وظيفته فى هذا الوجود وإزالة العقبات من طريقه. ومن هنا نجد أن من الضرورى عند حديثنا عن دور الإسلام فى تكوين الفكر الإنسانى وتطويره أن نتحدث أولا عن موقف الإسلام من العقل، إذ أنه من خلال هذا الموقف سيتضح لنا بجلاء مدى الإمكانات التى قدمها الإسلام ولايزال يقدمها لتطوير الفكر الإنسانى وإنمائه. ومن هنا سينقسم حديثنا فى هذا الموضوع إلى قسمين: يتناول أولهما موقف الإسلام من العقل الذى هو أداة الفكر، وثانيهما يتناول أثر الإسلام فى تكوين الفكر الإنسانى وإثرائه.

من المعلوم أن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم فكر منظم، ولكن كانت لديهم حكم متفرقة ونظرات فلسفية متناثرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر. ولم تكن هذه الحكم المتفرقة والنظرات الفلسفية المتناثرة تعنى شيئا أكثر من كونها من فلتات الطبع وخطرات الفكر كما يقول الشهرستانى. فلم يكن لدى العرب آنذاك اهتمام بالتعليل أو محاربة للتقليد والخرافات أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج فيما كان منتشرا لديهم من آراء وأقاصيص.

وهكذا لم تكن المعارف المختلفة التى لديهم فى شتى مناحى الحياة تدخل فى باب الفكر العقل المنظم أو المذاهب الفكرية المتكاملة، فهذا أمر يعرفه العرب إلا بعد ظهور الإسلام الذى بعث فيه روحا فكرية واعية بكل ما يحمل ذلك من معنى وصاغ حياتهم صياغة جديدة حيث جعلها ترتب بأعلى الغايات وأسمى القيم، ونقلهم إلى أفق فسي من العلم والمعرفة، وبذلك استطاعوا أن يقيم صرح دولة عظمى تمتد من أقصى الصين شرقا إل أقصى الأندلس غربا، وأنشأوا حضارة زاهرة كان من أطول الحضارات عمراً فى التاريخ. وفى ه المناخ الجديد ازدهرت العلوم والمعارف على اختلاف

أنواعها، وأسهم المسلمون فى بناء الفكر الإنسانى إسهاما عظيما، وأصبح لديهم علم وفلسفة وفكر وفن، وقدموا كل ذلك للإنسانية لتنهل من معينه وترتوى من نبعه. ولم يكن ذلك كله يمكن أن يحدث إلا إذا كانت تعاليم الإسلام ذاتها تشتمل على العناصر الأساسية لهذا التحول العظيم.

وقد كان حجر الأساس فى هذا البناء الجديد يتمثل فى نظرة الإسلام إلى الإنسان، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله فى الأرض. وقد فضله الله على جميع الكائنات وكرمه أعظم تكريم كما تعبر عن ذلك آيات القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ وهذه الكرامة التى اختص الله بها الإنسان كرامة ذات أبعاد مختلفة: فهى حماية إلهية للإنسان تنطوى على احترام حريته وعقله وفكره وإرادته، وتنطوى أيضا على حقه فى الأمن على نفسه وماله وذريته.

وقد قرر الإسلام وحدة الأصل الإنسانى، فالله قد خلق الناس جميعا من نفس واحدة، واعتبر الإسلام المساس بحقوق أى فرد من الأفراد أو الإجرام فى شأنه بمثابة اعتداء على الإنسانية كلها، واعتبر تقديم العون والمساعدة لأى فرد بمثابة إحياء للإنسانية كلها: ﴿**من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**﴾.

وقد اختص الله الإنسان بالتكليف والمسئولية، وخلق له هذا الكون الفسيح بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء: ﴿**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾. والتفكر الذى تنص عليه الآية هنا أمر جوهرى مقصود لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان، فإنه إذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون بما فيه فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللا مبالاة، بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفا إيجابيا. وإيجابيته تتمثل فى درسه والنظر فيه للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير. والاستفادة من كل هذه المسخرات فى هذا الكون لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم. والنظر فى ملكوت السموات والأرض على هذا النحو سيؤدى إلى الرقى المادى، ويؤدى فى الوقت نفسه إلى الرقى الروحى ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾.

والإنسان لم يبلغ كل هذا التكريم الذى سما به فوق كل الكائنات إلا بالعقل الذى اختصه الله به وميزه به على سائر المخلوقات. وقد نوه الإسلام بالعقل والتعويل عليه فى أمور العقيدة والمسئولية والتكليف. ولا تأتى الإشارة فى القرآن الكريم إلى العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه. فالعقل قبس من نور الله، وهو ميزان الله فى أرضه كما يقول حجة الإسلام الغزالى فى (مشكاة الأنوار).

والإسلام عندما يخاطب العقل فإنه يخاطبه بكل ملكاته وخصائصه. فهو يخاطب العقل الذى يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتأمل، ويعتبر، ويتعظ، ويتدبر، ويحسن التدبر والروية.

وإذا كانت وظيفة العقل على هذا النحو فإن محاولة تعطيله عن أداء هذه الوظيفة يعد تعطيلا للحكمة التى أرادها الله من خلق العقل مثلما يعطل الإنسان حاسة من الحواس عن أداء وظيفتها التى خلقت من أجلها. وهؤلاء الذين يفعلون ذلك يصفهم القرآن بأنهم أحط درجة من الحيوان حيث يقول فى شأنهم: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾. ومن هنا يعتبر الإسلام عدم استخدام العقل خطيئة من الخطايا وذنبا من الذنوب. يقول الله تعالى حكاية عن الكفار يوم القيامة: ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم**﴾.

ولهذا كانت دعوة القرآن للإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة صريحة لا تقبل التأويل، فقد جعل الإسلام التفكير واجبا دينيا وفريضة إسلامية. وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا فى الإسلام فإنها من ناحية أخرى تعد مسئولية حتمية لا يستطيع الإنسان الفكاك منها، وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها مثلما يُسأل عن استخدامه لباقى وسائل الإدراك الحسية. وفى ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾.

ومن منطلق حرص الإسلام على ممارسة العقل لوظائفه التى أرادها الله كان حرص الإسلام شديدا على إزالة كافة العوائق التى تعوق العقل عن ممارسة نشاطاته. ومن أجل ذلك عمل الإسلام على تحطيم هذه العوائق ليشق العقل طريقه إلى الفهم الصحيح والتفكير السليم. ويتجلى لنا ذلك واضحا فى رفض الإسلام للتبعية الفكرية والتقليد الأعمى. وقد حذر النبى ﷺ من ذلك حين قال: «**لا تكونوا إمعة**» أى مقلدين للآخرين تقليدا أعمى؛ كما قضى الإسلام على الدجل والشعوذة والاعتقاد فى الخرافات والأوهام. فلا ضر ولا نفع إلا بإرادة الله الذى هو أقرب إلينا من حبل الوريد. وقد ركز الإسلام على المسئولية الفردية، وحرر الفرد المؤمن بعقيدة التوحيد من الخوف من أى سلطة دنيوية ورفعه إلى مقام العزة التى كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين. وبتقرير الإسلام لختم النبوة رفع بذلك الوصاية عن العقل البشرى وقرر مبدأ الاجتهاد حتى يعتمد العقل على قدراته فيما لم يرد فيه نص دينى.

وهكذا أطلق الإسلام سلطان العقل من كل ما كان يقيده، وخلّصه من كل تقليد كان يستعبده. وبهذا - كما يقول الإمام محمد عبده - «تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال الإرادة واستقلال الرأى والفكر». وقد كان لهذا الموقف الأساسى للإسلام من العقل أثره العظيم فى صياغة الحضارة الإسلامية والعقلية الإسلامية التى نقلت بدورها تلك الإنجازات الرائعة إلى الدنيا كلها، فأنارت لها طريقها، وكشفت لها عن سبيل رقيها وسعادتها، وأخذت بيدها إلى طريق الرشد والرشاد.

(للحديث بقية)

النظام الاقتصادى فى الإسلام

د . عبدالله شحاته

القيود التى فرضت على الملكية الفردية:

أخرج الإسلام من نطاق الملكية الفردية، الأشياء التى تكون ضرورية لجميع الناس، وأوجب ملكيتها ملكية جماعية، حتي لايستبد بها فرد أو أفراد قلائل؛ فيضار المجتمع من جراء ذلك.

وقد عد الرسول صلى الله عليه وسلم، من هذا النوع أربعة أشياء، وهى : الماء والكلأ والنار والملح، ووردت روايات للحديث بأن النبى صلي الله عليه وسلم قال (الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار).

وقد خصصت الأحاديث النبوية هذه الأشياء الثلاثة؛ أو الأربعة، لأنها كانت من ضرورات الحياة الإجتماعية، فى البيئة العربية، وهذه الضرورات تختلف باختلاف البيئات والعصور، لذلك أدخل الفقهاء فى هذا الباب جميع المرافق العامة.

وعلى هذا الأساس أباح الإسلام نزع الملكية الفردية، وجعلها ملكية جماعية، وتخصيصها للمجموع، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه حمى أرضاً بالربذة قرب المدينة، وجعل كلأهما حقاً مشاعاً للفقراء، وأمر بأن تبعد عنها ماشية الأغنياء، وفى ذلك يقول : «فإنه ان تهلك ماشية الغنى يرجع إلى ماله، وإن تهلك ماشية الفقير، يأتنى متضررا بأولاده طالباً الذهب والفضة، وليس لى أن أتركه، فبذل العشب من الآن، وأيسر على من بذل الذهب والفضة يومئذ».

ولما جاء أهل تلك الأرض يشكون قال : «المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله لما حميت فى الأرض شبراً فى شبر».

ومن هذا المعنى وأمثاله، وضع علماء أصول الفقه، هذه القاعدة (حقوق الفقراء مقدمة على حقوق

الأغنياء).

ويقول المستشرق دوزى فى كتابه: «تاريخ الأندلس» لقد أنقذ الإسلام الطبقات الدنيا من المسيحيين، والعبيد أقنان الأرض من العبودية والظلم، وحررهم من سلطة الاقطاعيين الأقوياء، فوزعت الأراضى المصادرة بين عدد كبير من أفراد هذه الطبقة فكان تحقيق الملكية الصغيرة مصدراً للسعادة، وسبباً فى ازدهار الزراعة فى أسبانيا العربية» (١).

ومن جهة أخرى نجد أن الإسلام قد حرم على المالك التصرف فى ملكه، بما يؤدى لضرر عام أو خاص، أو اعتداء على الآخرين، وذلك لدرجة أنه أجاز نزع الملكية من صاحبها، إذا أساء استخدام حقه فيها، ويروى أنه كان للضحاك بن خزيمة الأنصارى أرض لايصل الماء إليها، إلا إذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة، وأبى محمد بن مسلمة أن يدع الماء يجرى من خلال أرضه، فشكاه الضحاك إلى عمر بن الخطاب، فاستدعاه عمر وسأله: أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك.. قال: لا، فقال عمر: والله لو لم أجد له ممراً إلا على بطنك لأمررته». (٢).

٣- الأعباء التى فرضت على الملكية.

وضع الإسلام على عاتق المالك واجبات وأعباء، فى مقابل تمتعه بماله من حقوق، وتتلخص هذه الأعباء فى الزكاة والصدقات، والخراج والضرائب. والأصل أن المال مال الله سبحانه وتعالى: «والغنى مستخلف عن الله فى إدارة المال والتصرف فيه بما يرضى الله تعالى، وشاءت حكمة الله، أن يكون في الناس الأغنياء والفقراء، حتي يعمر الكون، فيجد الفقير مكاناً يعمل فيه، ويجد الغنى من يقوم له بالعمل نظير أجر معين.

والإسلام لايدعو إلى محو الملكية، أو فرض المساواة في مقدار الملك، وفى أسباب الرزق، ومجالات الإنتاج بل جعل لكل فرد نصيبه حسب اجتهاده وعمله،

ثم دعا الإسلام إلى تقريب الفوارق أو تذويبها، وبعبارة أخرى فهى ليست عملية زهادة أو توكل وإنما هى عدل وكفاية، وانتاج ومشاركة فى مجالات الإنتاج والتنمية، وأيضاً تعبير عن الخلق الكريم والإحساس الرحيم.

الزكاة:

فرض الإسلام على مالكى الثروات أن ينزلوا عن حصة من ثرواتهم لصالح الطبقات الفقيرة، وهذه الحصة أطلق عليها اسم الزكاة.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، وتجب فى كل ما يملكه الشخص من أموال عينية وتجارة وزراعة، وقيمة زكاة المال اثنان ونصف فى المائة، وزكاة الزراعة ٥٪ أو ١٠٪، وزكاة البترول والمعادن والكنوز المدفونة فى الأرض ٢٠٪.

مصارف الزكاة.

تنفق الزكاة على الفقراء والمساكين، ودور رعاية الأيتام، وتشغيل المعوقين وسائر وجوه الخيروالبر ومساعدة الضعفاء.

كمة في تفاوت نسبة الزكاة.

نلاحظ أن هناك تفاوتا بين المقادير الواجبة فى كاة.

فزكاة المال والذهب والفضة مقدارها ٥ . ٢٪ ، كاة التجارة مقدارها ٥ . ٢٪ ، وزكاة الزورع ثمار مقدارها ١٠٪ أو ٥٪ وزكاة الركاز والمعادن كنوز مقدارها ٢٠٪.

والحكمة فى تفاوت المقادير المطلوبة من الزكاة : كلما كان جهد الإنسان فى المال أقل، وعمل درة الإلهية أظهر، كانت نسبة الزكاة أكثر، عكس بالعكس.

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه «زاد المعاد»

«إنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعى اب الأموال فى تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته، وجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلاً و الركاز، والركاز هو الكنوز المدفونه من عهود يدة (ومثله المعدن كالحديد والذهب والنحاس يرها) ولم يعتبر له حولاً، بل أوجب فيه الخمس ى ظفر به.

وأوجب نصفه وهو العشر، فيما كانت مشقة صيله وتعبه وكلفته، فوق ذلك فى الثمار والزورع، ى باشر حرث أرضها وبذرها، ويتولى الله سقيها عنده بلا كلفة من العبد، ولاشراء ماء.

وأوجب نصف العشر (٥٪) فيما تولى العبد قيه بالكلفة، وأوجب ٥ . ٢٪ فى زكاة المال نجارة.

لأن نماء المال موقوف على عمل متصل من رب المال، بالضرب فى الأرض تارة وبالإدارة تارة، وبالتربص تارة، ولاريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزروع والثمار.

نظام التكافل الاجتماعى فى الإسلام

التكافل فى القرآن الكريم:

روح القرآن الكريم، واياته حافلة بالدعوة إلى التكافل والتراحم، فقد حث القرآن الكريم على الصدقة والنفقة على الأقارب والجيران والمحتاجين، وحث على صلة الرحم، ومساعدة الفقراء والأرامل واليتامى، ووعد بالفضل والجزاء الكريم للمنفقين.

قال تعالى **(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائه حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** البقرة ٢٦٢.

وقال عز شأنه : **(إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم، والله بما تعملون خبير)** البقرة ٢٧١.

وقال تعالى : **(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم)** البقرة ٢٦٨.

وقال تعالى : **(الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار)** آل عمران ١٧.

وقال تعالى : **(من ذا الذى يقرض الله قرضاً**

حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) الحديد ١١.

وقال تعالى: **إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم)** الحديد ١٨.

التكافل فى السنة النبوية :

كان ﷺ قدوة وأسوة عملية أمام أصحابه، وكان أجود بالخير من الريح المرسله، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل.

وكان النبى ﷺ رحيماً بالمؤمنين، عطوفاً رؤوفاً، فكان يعود المرضى فى أقصى المدينة، ويرحم الأرملة، ويعطف على اليتامى ويتعهد أبناء الشهداء.

ومن الأدب النبوى قوله ﷺ: (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر علي معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن أطعم جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كسى عرياناً كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة..).

وفى الحديث القدسى، يقول النبى ﷺ يقول الله عز وجل : (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك، يمين الله ملأى لاتغيض بها نفقه، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ماذا أنفق منذ أن خلق السموات والأرض، فإن ذلك لم يغض ما فى يمينه).ويقول النبى ﷺ «ما من عبد يتصدق بصدقة إلا وضعت الصدقة فى يد الله قبل أن توضع فى يد السائل فينميها كما ينمى أحدكم فصيله».

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : (سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إ عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى، ورجل ق معلق بالمسجد، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففا عيناه، ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه، وافت عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لا ت شماله ما أنفقت يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منص وجمال، فقال إنى أخاف الله رب العالمين).

فالمؤمن يظل يوم القيامة فى ظل الله، ويحفظ شدة الهجير، إذا كان من المتصدقين، والصدق تحفظ المؤمن من أهوال الموقف، ويحشر المتصدق ظل صدقته، يوم القيامة.

مدرسة النبوة :

كان التكافل والتراحم سمة المدرسة النبوية ضرب بهم المثل في الخير والعطاء والعناية بالفقر وقد تصدق أبو بكر الصديق بماله كله فى غزوة تب وتصدق عمر بنصف ماله، وتصدق عثمان بمائة ف ومائة بعير ومائة حله، ومائه دينار صبها بين النبى ﷺ ، فقال النبى :(ماضر عثمان ما فعل اليوم).

وتصدق عثمان بن عفان ببئر فى المدينة ليش من مائها العذب جماهير المسلمين، وتص عبدالرحمن بن عوف بتجارة واسعة كانت تملأ شو المدينة، وكان عمر بن الخطاب يتعسس بالل ويحمل السمن والدقيق للجائعين والمحتاجين، وك الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، ذكر المؤرخون فاطمة بنت عبدالملك دخلت على زوجها عمر عبدالعزيز ذات يوم فوجدته يبكى، فقالت مايبك

يا أمير المؤمنين؟

قال : (تذكرت الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المحزون، وذا العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم فى بقاع الأرض، وأقطار البلاد، وعلمت أن خصيمى دونهم محمد ﷺ، يوم القيامة فخشيت ألا تثبت لى حجتى، فرحمت نفسى فبكيت).

وقد ذهب جماعة من الفقهاء، على رأسهم الإمام ابن حزم إلى مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعاً، فيدفع أهلها الدية متضامنين إلى أسرته.

وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ : (أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله).

وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على العاجز عن الكسب، وعلى الشيخ الفانى والمرأة، إذا لم يكن لأحد من هؤلاء من تجب عليه النفقة، وفى الحديث : **(من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهر (مطية) فليعد به على من لاظهر له).**

مورد لا ينقطع للفقراء:

جعل الإسلام مورداً دائماً، للأخذ بيد الفقراء، عن طريق الكفارات التي فيها معنى العقوبة، أو البدل، أو جبر الناقص.

مثال ذلك :

يحلف المسلم يميناً أن يفعل شيئاً أو يتركه ثم يعدل عن ذلك، فإنه فى هذه الحالة ملزم بإطعام عشرة مساكين، من أوسط ما يطعم به أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة، ويعجز المسلم عن صيام رمضان، لسقم أو هرم فيفطر ويطعم، عن كل يوم مسكيناً.

ويخل الحاج بشرط من شروط الحج الأساسية، فيكفر بذبيحة يقدمها للمساكين، ويقبل عيد الفطر، فتجب زكاة الفطر على كل مسلم قادر، كما يجب على المستطيع ذبح أضحية فى عيد الأضحى، ليطعم منها الفقراء.

وينذر المسلم نذراً، فيوجب عليه الإسلام أن يفى به براً بالفقراء وعونالهم.

ويعجز الرجل عن تكاليف العيش، لسبب اضطرارى، فيوجب الإسلام على قريبه الثرى، أن ينفق عليه، فينفق الإبن على الأب ، والأب على الإبن، والأخ على الأخت، والزوج على الزوجة، كما أن الإسلام شرع الوقف، ليصرف ريعه فى وجوه الخير عامة.

هذا جزء من تشريع الإسلام الاقتصادى، وغايته التقريب والتوفيق، بين الطبقات المختلفة، والقضاء علي الفقر والحرمان، وتحقيق الحرية والمساواة، والتكافل الاجتماعى، والكرامة الإنسانية، ولو طبقت هذه التشريعات تطبيقا سليما، لجعلت من الأمة الإسلامية، خير أمة أخرجت للناس، وجعلت مجتمعنا مجتمعاً مثالياً بين جميع الأمم.

---

(١) مصطفى السباعى ـ الاشتراكية فى الإسلام.

(٢) د. على عبدالواحد وافى ـ المساواة فى الإسلام.

في التمايز الحضاري

الوسطية الإسلامية في الحرية الإنسانية

دكتور/ محمد عمارة

● عندما يكون الحديث عن «الحرية».. والحرية الإنسانية على وجه التحديد.. وعن مكانة الإنسان، التى تحددها له «الحرية»، فى الكون - بإزاء الأخيار - وفى المجتمع - بإزاء الآخرين - ..

● عندما يكون هذا هو موضوع الحديث.. فلا بد من الإشارة إلى المذاهب التى شغلت العقل الإنسانى، واستقطبت فلاسفته ومفكريه إزاء تلك القضية الأزلية.. قضية «الجبر» و «الاختيار»..

● هل الإنسان مجبر.. مسير.. ليس له من الأمر شىء.. كالريشة المعلقة فى الهواء تميلها حيث مالت؟!..

● أم أنه حر مخير.. هو الصانع الوحيد لأفعاله، على وجه الإطلاق؟!..

ثم.. ماذا عن موقف الإسلام من هذه القضية على وجه التحديد؟؟.. وماذا تعنى «الوسطية الإسلامية» فى هذا المقام؟؟.. وما هى انعكاسات هذا المذهب فى الاقتصاد.. والتملك.. والثروات.. والأموال؟؟..

ومنذ البداية ننبه على رفض الإسلام لمذهبى «الجبر الخالص» و «التفويض المطلق» كليهما!..

فلا الذين قالوا «بالجبر الخالص» قد أصابوا فى التعبير عن حقيقة فلسفة الإسلام فى هذا المقام.. ولا الذين توهموه حرا لا تعرف حريته الحدود ولا القيود، قد أصابوا كذلك.. وإنما هو الموقف الوسطى، المعبر عن فلسفة الإسلام..

فأنت حر.. تلك هى الحقيقة الموضوعية والملموسة - لكن حريتك واختيارك، ليست حرية القادر على كل شىء، ولا الذى يفعل ما يشاء وكأنه فى فراغ!.. إنك تختار - نعم - ولكن من بين بدائل لم تصنعها أنت، فاختيارك محكوم بحدود هذه البدائل التى ليست من صنعك!.. وإرادتك حرة - هذه حقيقة - لكن هذه الإرادة الحرة هى ثمرة لمحيط ولعوامل ولمؤثرات ليست من صنعك، وسواء أكانت حولك، أو فى نفسك مما ورثته، أو لا تستطيع صنعه أو تعديله، فإنها جميعا تسهم فى تلوين إرادتك «الحرة»، وتحديد نطاق «حريتها»!..

إذن، فحريتك نسبية.. وأنت حر، ولكن فى حدود!.. وإذا كانت «حرية الإنسان» هى «القوة» التى يختار بها ويريد ويفعل.. وإذا كانت العوامل المحيطة والملابسات المصاحبة، هى «القدَر الإلهى»، الخارج عن نطاق الفعل الإنسانى، فإن العلاقة بين هذين العاملين هى التى تحدد نطاق حرية الإنسان.. فالحرية، هنا، ليست نقيضاً لـ «القدَر»، وإنما هو حاكم

طارها ومداها، لأنها حرية الخليفة، المحكومة بقَدَر سيد الفعال لما يريد.. ورحم الله فيلسوف الإسلام ا الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥ هـ ١١٢٦ - ١١٩٨م] ذى أجاد التعبير عن مذهب الإسلام فى هذا الأمر شكل فقال: «إن لنا قوى نقدر بها أن نكتسب شياء هى أضداد. لكن لما كان الاكتساب لتلك أشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التى سخرها له لنا من خارج، وزوال العوائق عنها، كانت الأفعال لنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا: بإرادتنا، وموافقة أفعال التى من خارج لها..» وهذه الأفعال التى من خارج «هى المعبر عنها بقَدَر الله»(١)!.. فمذهب إسلام هو التوسط بين «الجبر» المطلق و «الاختيار» ذى لا يعرف القيود!..

وإذا نحن شئنا مقارنة تبرز لنا تميز هذا المذهب إسلامى فى الحرية والاختيار، عن ذلك الذى رأى أهله ن الحرية المطلقة هى حق الإنسان.. فإننا واجدون فى صمات الفكر الغنوصى لدى بعض المذاهب الإسلامية وذج ذلك ومصداقه.. «فأنسنة الإله» - بالحلول الاتحاد - قد أدت إلى «تأليه الإنسان»، ودعوى حريته المطلقة.. وعن هذا المذهب يعبر فيلسوف وحدة وجود الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى [٥٦٠ - ٦٣٨ هـ ١١٦٥ - ١٢٤٠ م] عندما يرى أن قضاء الله ابع لعلمه، وأنه لم يعلم إلا ما تقرر سلفا أننا سنفعله، فعل الإنسان هو الذى حدد علم الله وقضاءه، فالحرية لحقيقية هى للإنسان، والجبر - فى الحقيقة - هو لله؟!.. قول ابن عربى غفر الله له:

«اعلم أن القضاء: حكم الله فى الأشياء. وحكم له فى الأشياء على حد علمه بها وفيها. وعلم الله فى أشياء ما أعطته المعلومات مما هى عليه فى نفسها.. ما حكم القضاء على الأشياء إلا بها.. فالحاكم، فى لتحقيق، تابع لعين المسأله التى يحكم فيها، بما تقتضيه ذاتها، فالمحكوم عليه - [أى الإنسان] - بما هو فيه، حاكم على الحاكم - [أى الله] - أن يحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه بما حكم به وفيه، كان الحاكم من كان... نحن نحكم علينا، بنا، ولكن فيه... وما كلَّفك إلا بما قلتَ له: كلفنى... ومن أقام الدين فقد أنشأه، فالعبد هو المنشىء للدين، والحق هو الواضع للأحكام.. فالدين من فعلك... وليس يعود على «الممكنات» من «الحق» إلا ما تعطيه ذواتهم فى أحوالها...»(٢).

هكذا بلغت الغنوصية مبلغ النزعة المادية، عندما مالت بكفة الحرية، عند توازن الوسطية، لحساب الإنسان حتى على حساب الله!..

وإذا كانت الرؤية قد وضحت لموقف الإسلام من حرية الإنسان الاجتماعية.. وكيف أنه - بعد أن جعل الحرية قرين الحياة - اتخذ الموقف العدل المتوازن الوسط، بين الحجر والاطلاق، تأسيساً على أن مكانة الإنسان فى هذا الكون هى مكانة الخليفة، الحر فى إطار عهد الاستخلاف..

وإذا كان المقام لا يسمح باستقصاء تفاصيل هذا الموقف الإسلامى، من حرية الإنسان فى المجتمع، بكل الميادين وإزاء سائر المشكلات، فإننا نكتفى بإشارات توجز هذا الموقف فى عدد من أبرز هذه الميادين والمشكلات..

● ففى حرية الاعتقاد الدينى.. شهير ذلك الاجماع المنعقد على انتصار الإسلام لحرية الإنسان فى اختيار المعتقد الدينى.. والقرآن الكريم عندما أعلن أنه ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾(٣) لم يكن يصدر عن مجرد «التسامح» الكريم مع الذين اختاروا غير الإسلام دينا.. وإنما كان يعبر عن الاتساق الفلسفى فى قضية التدين، الذى يستحيل أن يكون طريقه الإكراه.. فالإيمان - فى عرف الإسلام -: تصديق بالقلب يبلغ درجة اليقين.. وبدون الاختيار

الحر لا سبيل إلى تحصيل هذا اليقين بالإيمان!.. والألوهية الواحدة، هى جوهر التدين، فى عرف الإسلام.. وهو قد حدد النظر العقلى سبيلاً إلى معرفتها واليقين بوجودها، لأن الإيمان بالوحى والنصوص والمأثورات تابع ومتوقف على التصديق بالرسول الذى جاء بهذه النصوص والمأثورات، والتصديق بالرسول تابع ومتوقف على التصديق بوجود الإله الذى أرسل هذا الرسول.. فلا بد من معرفة الألوهية والإيمان بها أولا.. وأداة ذلك - قبل النصوص - هو العقل الذى يهتدى إلى الصانع بالنظر فى المصنوعات.. وبدون الاختيار الحر لا سبيل لإعمال النظر العقلى الذى يفتح أمام الإنسان الباب الأول لجوهر التدين بالدين.

وهذا الانتصار الإسلامى لحرية الإنسان فى الاعتقاد الدينى، لا يقف عند رفض إكراه الآخرين على التدين بالإسلام، وإنما هو يرفض، كذلك، إكراه الذات إذا عرضت لها الوساوس والشكوك التى زلزلت منها يقين الإيمان!.. فلو أن إنسانا ما تأمل، فشك فألحد، فإنه، بنظر الإسلام، مطالب بأن يبذل وسعه وجهده فى البحث عن سبل ودلائل الاهتداء.. فإذا بذل الوسع، دون تقصير، وجاءته المنية دون أن يمتلك يقين الإيمان، فهو - إسلامياً - من الناجين!.. لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ويمتنع فى الإسلام تكليف ما لا يطاق.. وبعبارة الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م]: فلقد «قال قائلون من أهل السنة: إن الذى يستقصى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج!..»(٤)

لكن.. لما كان الإيمان والتدين - وسبيلهما العقل - هما من كمال العقل.. ولما كان التدين - بتحريره الإنسان من العبودية للطواغيت، وبتحقيقه انتماء الإنسان للكون، وإنقاذه إياه من الاغتراب - هو من أهم ركائز النظام الاجتماعى للمجتمع الإنسانى الراشد، فإن الإسلام يمنع من أصابه مرض الشك وآفة الإلحاد من نشر عدوى مرضه وإشاعة جراثيم الآفات التى أصيب بها.. وهو هنا لا يحجر على حق ولا ينتقص من حرية، وإنما يحافظ على أساس النظام الاجتماعى من أن ينتقض إذا شاعت فيه الآفات والأمراض.. إنه لا يُكره المرضى على لبس تاج الأصحاء، لأنه لا يريد نفاقاً ومنافقين.. فقط يريد منهم البحث عن دواء أمراضهم، قدر الطاقة، والامتناع عن محادة الله ورسوله وتقويض الإيمان، باعتباره الأساس الراسخ للاجتماع الإنسانى الرشيد.

● وفيما يتعلق بنطاق الحرية الإنسانية إزاء الأموال والثروات الاجتماعية.. رفض الإسلام قطبى التطرف: تجريد الفرد من حق التملك.. وإطلاق حريته فى التملك دونما حدود.. ووقف الموقف العدل بين ظلمين، المعتدل بين تطرفين.. موقف الوسطية الإسلامية، الجامع لما يمكن جمعه وتأليفه من القطبين جميعا!.. فالمال مال الله، والناس مستخلفون فيه.. ملكية الرقبة - الحقيقية - فى المال هى لله.. وللإنسان فيه ملكية المنفعة - المجازية - وظيفة اجتماعية تتيح تنميته والاستمتاع به فى حدود عهد الاستخلاف.. وللتنبيه على هذا المعنى والموقف، وإشارة إلى هذه الفلسفة الإسلامية فى الأموال، كانت إضافة القرآن الكريم مصطلح «المال» - فى آياته الكريمة - إلى ضمير «الجمع» فى تسع وأربعين آية، وإلى ضمير «الفرد» فى سبع آيات!.. وكانت آياته التى تعلن:

﴿والأرض وضعها للأنام﴾(٥).. **﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا﴾**(٦).. **﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه﴾**(٧).. **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..﴾**(٨)

فالله، سبحانه وتعالى، هو مصدر هذه الأموال

جميعا، خلقها وأودعها فى الطبيعة، وهو وحده مالك الرقبة فيها. والإنسان - من حيث هو إنسان - وليس كفرد أو طبقة - مستخلف عن الله فى هذه الأموال، يستثمرها بالعمل المشروع، ويحوز منها - كملكية منفعة ووظيفة اجتماعية - ما يحقق كفايته، وفق العرف ودرجة رخاء المجتمع وحظه من الغنى والثراء.. فميزان العدل، المؤسس على هذه الوسطية فى الحرية المالية والاقتصادية، هو العاصم للإنسان من الهبوط إلى درك «الفقر»، الذى يفقد الإنسان مقومات حريته، ويسلب منه مضمون الانتماء لمجتمعه ووطنه.. وهو العاصم، أيضاً، لهذا الإنسان من الاستعلاء إلى درجة «الاستغناء»، الذى يركز ثروات الأمة فتكون **﴿دولة بين الأغنياء﴾**(٩)، الأمر الذى يغريهم بالطغيان بواسطة سلطان المال.. **﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾**(١٠).. وهذا الطغيان المالى، مثله كمثل الفقر، عدو للحرية الاجتماعية للإنسان.

هكذا توسط الإسلام بالحرية الإنسانية إزاء الأموال والثروات، كواحدة من عمد الاجتماع الإنسانى.

● وإزاء القضية التى يحسبها البعض خاصة بالمرأة فى المجتمع.. قضية تحرير المرأة، ومدى الحرية التى أتاحها لها الإسلام.. فإننا واجدون، أيضاً، النظرة المتميزة للإسلام..

إن أحداً لا ينكر أن تاريخنا الاجتماعى قد سادت فى كثير من حقبه معالم «واقع» تنكر للكثير من «المثل» التى جاء بها الإسلام، بل لعل فى سمو هذه «المثل» ما يجعلها عزيزة على التحقق الكامل والتطبيق الدقيق فى الواقع الإنسانى المعاش.. لا بسبب من انقطاع علاقاتها بالواقع، وإنما لتظل دائماً وأبداً الملهمة لشوق الإنسان والباعثة لهمته والحاثة لخطاه كى تجدّ السير على درب التقدم لتقترب من «المثال»!..

وليس سوى المكابرين من ينكرون أن المرأة المسلمة قد أصابها من المظالم أكثر مما أصاب الرجل، وحملت من القيود أثقل مما حمل الرجال!.. ولذلك فإن حريتها وتحريرها مهمة لا يجادل فيها إلا المكابرون!

لكن الذى ننكره، بل ونستنكره، هو إغفال تميز النظرة الإسلامية لمضمون حرية المرأة، ونموذج تحريرها.. ذلك أن الإسلام قد اعتمد مبدأ المساواة بين المرأة والرجل فى الإنسانية، ومن ثم فى التكليف، من حيث الحقوق والواجبات.. لكنه رفض ويرفض أن تكون هذه المساواة مساواة «تماثل الأنداد».. فهما - المرأة الرجل - متماثلان فى الإنسانية، وفى ذات الوقت متمايزان فى الطبيعة، من حيث الأنوثة والذكورة، لا تمايز التناقض، وإنما تمايز «التكامل» الذى هو سر بقاء النوع والسعادة والارتقاء فى الاجتماع الإنسانى.. وإذا كان الرجل السوى لا يسعد بتساويه بالمرأة كأنثى، فإن المرأة السوية لا يمكن أن تسعد إذا كانت مساواتها بالرجل هى الندية له فى الرجولة!.. ومن هنا تميزت فلسفة «التحرير الإسلامى للمرأة» بالانطلاق من تحديد مكانة المرأة بالنسبة للرجل، فى الاجتماع الإنسانى، باعتبارهما «شقان متكاملان ومتساويان».. فمع التساوى فى الإنسانية، تتمايز الطبيعة من حيث الأنوثة والذكورة، تمايز وظيفة، لا تمايز سيطرة وخضوع!..

وحتى «القوامة» التى تحدث القرآن عنها كدرجة للرجال على النساء، فإن الفهم المستقيم يراها نوعاً من القيادة.. وإذا كان «الراعى» هو القائد، فإن الإسلام لم يحرم المرأة من القيادة والقوامة، ولكنه حدد لها ميادينها، المتفقة مع طبيعتها المتميزة، كما صنع ذلك مع قوامة الرجال سواء بسواء.. ففى حديث الرسول، ﷺ، نقرأ عن **«الرعاية والقيادة والقوامة»**، قوله عليه السلام: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن**

رعيته، فالأمير الذى على الناس راع عليهم، وهو مسئول عنهم. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسئولة عنهم... ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.»(١١)

فالقيادة والقوامة ليست وقفاً على الرجال دون النساء، وإنما هى مرتبطة بتميز الطبيعة وتميز ميادينها.. لأن فلسفة «التحرير الإسلامى للمرأة» قد راعت تمايز التكوين الطبيعى - لكل من الذكر والأنثى - فى إطار المساواة الإنسانية، تحقيقاً لتكاملهما، ابتغاء لسعادتهما جميعاً!.. وهى بذلك ترفض فلسفة «التحرير» التى ترى المرأة «نداً» للرجل، حتى لقد جعلت معركتها ضده، عندما ظنت أن «تحررها» كامن فى «استرجالها»، فقادها ذلك إلى حال القط الذى قلد أسداً، حتى حرم من ميزات القط دون أن يكتسب ميزات الأسود، متناسية أن فلسفة التكامل تقتضى التنوع بين المتكاملين، فى إطار المساواة..

وإذا كانت فلسفة «التحرير» التى اعتمدت «الندية» قد جعلت صورة المرأة فى المجتمعات التى طبقت تلك الفلسفة هى صورة: المسترجلة الإسبرطية».. أو «الغانية الرومانسية».. أو «إعلان السلعة وسلعة الإعلان الرأسمالية».. فإن مذهب الإسلام فى هذا «التحرير» يقول لنا: نعم، لتحرير المرأة.. لكن، ليس هذا هو نموذج التحرير!..

وبعد.. فإننا نعيش على كوكب خلق الله أهله شعوباً وقبائل ليتعارفوا... وجعل من آياته فى خلقه اختلاف الألسنة والألوان... ولو شاء سبحانه لجعلنا - نحن البشر - أمة واحدة، ولكنه، جلت حكمته، رأى وأراد الاختلاف والتمايز والتنوع مصادر للغنى والثراء.. وإذا كان الإنسان الراشد لا يجد حرجاً فى أن يصافح الآخرين دون طمس لبصمته ومسخ لهويته، فكذلك الأمم العريقة ذات الشرائع المتميزة والحضارات الخاصة.. عليها أن تقبل كوكبنا «كمنتدى لأمم الحضارات العريقة»، يتم فيه التفاعل بين المستقلين الراشدين، مع الاحترام للتمايز فيما هو من الخصوصيات الحضارية، والإسهام فى تنمية رصيد المشترك الإنسانى العام..

وبهذه الروح تكون رؤية التميز الإسلامى فى النظر إلى حرية الإنسان فى المجتمع، مصدر إثراء للفكر الإنسانى، لا مصدر نقض أو استعلاء!... والله أعلم.

الهوامش:

(١) ابن رشد [مناهج الأدلة] ص ٢٢٥، ٢٢٦. دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٢) ابن عربى [فصوص الحكم] ص ٨٢، ٩٤ - ٩٦، ١٣١، ١٣٢. داسة وتحقيق: د. أبو العلا عفيفى. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦ م.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) [الأعمال الكاملة] ج ٣ ص ٣٠١. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م.

(٥) الرحمن: ١٠.

(٦) البقرة: ٢٩.

(٧) الجاثية: ١٣.

(٨) الحديد: ٧.

(٩) الحشر: ٧.

(١٠) العلق: ٦، ٧.

(١١) رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد.

الغزو الثقافى أهم قضايا التعليم المعاصر

الدكتور إبراهيم سليمان عيسى

إن المتتبع لعناصر التعليم وسياسته ونظامه فى الأمة العربية، يجد أن الغزو الثقافى يعتبر من أهم وأخطر قضايا التعليم فى الأمة العربية كلها، وخاصة فى ضوء المستحدثات والمستجدات على الساحة العربية والدولية، وليست المناهج هى المعرضة للغزو الثقافى فقط بل إن الكيفية التى يعد بها المعلم قد لحقها التشويه والتشويش، خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا النقاط التالية:

١- مازالت كل الدول العربية بما فيها مصر، تستعين بالخبراء الأجانب من بعض البلاد المتقدمة تكنولوجياً والغنية، فى وضع وتعديل وصياغة سياسة ونظام التعليم فيها، وتزداد هذه الظاهرة فى الدول العربية التى تتلقى القروض من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ورغبة من الدول المانحة للقروض فى أخذ ما تعطيه، يوفد هؤلاء الخبراء، وهى صاحبة الكلمة الفصل فى تحديد رواتبهم وخبراتهم والدول المانحة للقروض تهدف إلى:

(أ) أن المبالغ والقروض تعطى فى صورة رواتب لهؤلاء الخبراء، وهى رواتب مبالغ فيها، كما أن خبرتهم مبالغ فيها أيضا.

(ب) فرصة لهذه الدول المانحة للقروض، فى التعرف على مميزات وسلبيات وعناصر وأهداف وغايات التعليم فى الدول العربية.

٢- تقوم الدول العربية وحتى الآن بإيفاد الكثير من أبنائها إلى مختلف البلاد الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية فى بعثات ومنح دراسية للحصول على مؤهلات مختلفة فى مجالات معرفية وتقنية (تكنولوجية) متعددة، وأى محتوى ثقافى أو تربوى فى هذه البلاد، لا يتفق مع متطلبات التعليم فى الأمة العربية بل والإسلامية، ينعكس دون شك على ثقافة هؤلاء الطلاب، بعد تخرجهم فى ظل هذه السياسات والنظم التعليمية، وبالتالى ينقلون للطلاب هذه الانعكاسات لأنهم سوف يقومون بمهمة التعليم والتوجيه والإشراف فى مراحل التعليم المختلفة وفى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة.

من أجل ذلك وغيره مما سنلقى عليه مزيدا من الضوء، فإن الغزو الثقافى لمناهج ومقررات التعليم وسياسة إعداد المعلم فى الدول العربية، واقع لا محالة - سواء حدث ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - ومن ثم وجب تتبع مصادر وأبعاد الغزو الثقافى وعوامل انتشاره، واتخاذ الإجراءات الوقائية من هذا الوباء، لأنه أخطر بكثير من الغزو العسكرى وما تجربة بلاد المغرب العربى (تونس والجزائر والمغرب) عنا ببعيدة، ولذلك فإننى أرى أن الغزو الثقافى قضية يجب الاهتمام بها، نتيجة أن الأمة العربية بموقعها وتميزها الدينى، ولكونها أرض الرسالة المحمدية، مستهدفة من مصادر وقوى متعددة كما سيتضح ذلك من هذا البحث.

مصادر الغزو الثقافى للتعليم وأبعاده:

تتعدد مصادر الغزو الثقافى للتعليم فى البلاد العربية والإسلامية، لتشمل مصادر خارجية وأخرى داخلية.

أولا: المصادر الخارجية للغزو الثقافى للتعليم:

١ـ التغلغل الأمريكى فى حقل التعليم، وخطره على عقول الأمة العربية والإسلامية وهويتها. وتختلف نسبة التغلغل الأمريكى من بلد إلى آخر وتشتد الوطأة على البلاد التى تمنحها الحكومة الأمريكية معونة أو قروضا. وتعمل الإدارة الأمريكية على تحويل التعليم إلى تعليم علمانى بقصد تحطيم عقيدتنا وقيمنا، حتى لا يبقى لنا بعدها ما نُدافع عنه أو نحرص عليه، فيسهل على الأعداء قيادتنا ـ والعياذ بالله تعالى ـ ويعبر عن ذلك الشاعر محمد إقبال فيقول: «إن التعليم هو الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى، ثم يكونها كيف يشاء»[(١)] وأمثلة ذلك واضحة بعضها معلن وظاهر والآخر خفى وباطن، ففى مصر يحدث الكثير من أنماط التغلغل الأمريكى فى التعليم[(٢)] المصرى، وبالتالى ينعكس أثره على التعليم فى المملكة العربية السعودية، وتكثف أمريكا معونتها فى مجال التعليم بصفة خاصة، وكذلك تسهم فى تلوث البيئة. وهناك الكثير من الأمثلة التى لو تتبعناها ما وسعنا هذا البحث[(٣)] وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ بعض نماذج لقروض أمريكية فى حقل التعليم وآثاره غير الحميدة مثل:

١ـ مشروع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية رقم ٢٦٣-١٣٩ للتعليم الأساسى: بدأ فى مصر ١٩٨١/١/١٩ ثم أدخل عليه التعديل فى ١٩٨٦، وتم بمقتضاه تمديد أمر المشروع حتى ٣٠ يونية ١٩٩١م، وكان حجم التمويل الذى تم الاتفاق عليه فى المدة من ١٩٨١ إلى ١٩٩١م، هو مبلغ ١٩٠ مليون دولار[(٤)] وأنشأ هذا المشروع ثلاث وحدات فى إطار المركز القومى المصرى للبحوث التربوية والتنمية، هى: مركز التخطيط التربوى ومركز تطوير المناهج ومؤسسة الأبنية التعليمية. وكان لهذه المنشآت الثلاث دور غامض على التعليم فى مصر[(٥)]، فى صورة الكتاب والمنهج الدراسى والأبنية التعليمية وتكنولوجيتها وغير ذلك كثير، وقد شهد بذلك بعض الأميركان والخبراء المصريين الذين عملوا مع الخبراء الأميركان ذرا للرماد فى العيون، وسوف ألقى مزيدا من الضوء على ما قاله بعض الباحثين الأمريكيين، من أن المنح والقروض الأمريكية حققت أهدافها فى تشويه التعليم المصرى، ولماذا مصر بالذات؟ وتركز أمريكا على تشويه التعليم المصرى للعوامل والأسباب التالية: (الخبيرة الأمريكية الدكتورة جوديث كوكران فى كتابها الذى نشر بالانجليزية وعنوانه التربية فى مصر[(٦)] Education in Egypt جاء فيه لماذا كانت مصر أكبر متلق للمعونات الأمريكية فى مجال التعليم بعد إسرائيل بالطبع:

١ـ معظم الجامعات الخمسين فى الشرق الأوسط قد أسسها مصريون.

٢ـ من ٦٠٪ إلى ٩٠٪ من المدرسين فى منطقة الخليج من المصريين.

٣ـ فى سنة ١٩٧٨م كان ٣٠ ألف مدرس وأستاذ جامعى يعملون فى الدول العربية والإفريقية.

٤ـ أكثر من ٥٠ ألف طالب من العرب والأفارقة والآسيويين، يتلقون تعليمهم فى مصر[(٧)].

لذلك ونتيجة لانتشار المدرس والأستاذ الجامعى المصرى، كان اهتمام الإدارة الأمريكية باختراق العقل المصرى، توطئه وتمهيداً لاختراق كافة عقول الأمة

(١) المؤامرة على التعليم والمعلم، حسن جودة وآخرون ص٣ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، جمهورية مصر العربية ١٩٩٣.
(٢) اختراق العقل المصرى، د. رفعت سيد أحمد ص١٠، ١٨، ١٩، مجلة لواء الرسلام، عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ.
(٣) كتاب المعونة الأمريكية لمن؟ مصر أم أمريكا، دينا جلال ص٨٤ من سلسلة كتاب الأهرام الاقتصادى سنة ١٩٨٨م، القاهرة (رسالة ماجستير: جامعة القاهرة).
(٤) المعونة الأمريكية للتعليم فى مصر، د. أحمد اسماعيل حجى مكتبة عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٢، ص٣٢.
(٥) المؤامرة على التعليم والمعلم، مرجع سابق، ص١٤، جريدة الشعب، عدد ٢، ٩ ابريل سنة ١٩٩١م.
(٦) كتاب التربية فى مصر، د. جوديث كوكران، ترجمة د. أحمد شفيق، القاهرة ١٩٨٩م.
(٧) المرجع السابق، ص١٧٣.

العربية بل الإسلامية. ومن المصريين الذين شهدوا بحجم التشويه للتعليم فى مصر كثيرون جدا، منهم: كوثر كوجك، فى تقرير لها عن المركز المشبوه خلال المدة من سبتمبر ١٩٨٩ إلى ابريل ١٩٩٠م، والذى رفع إلى وزير التربية فى ذاك الوقت، د. أحمد إسماعيل حجى فى كتابه: (المعونة الأمريكية للتعليم فى مصر)، د. السيد عبدالستار فى كتابه(الأستاذ الجامعى ص.٤٠) والمهندس إبراهيم شكرى وغيرهم[١].

٢ـ المنظمات الأمريكية ذات الصلة بالعملية التعليمية، ودورها فى تهويد عقل الأمة العربية والإسلامية، وهى متعددة، ومنتشرة فى بعض البلاد العربية والإسلامية، منها:

(أ) الجامعة الأمريكية فى القاهرة وأسيوط وبيروت، وشهادات وأقوال الخبراء والباحثين حول دورها فى حقل التعليم علمانيا والعمل على تهويد العقل العربى، كثيرة لا مجال لاستعراضها.

(ب) مراكز البحوث الأمريكية فى بعض العواصم العربية[٢].

(جـ) مشروع ترابط الجامعات المصرية الأمريكية[٣]، والجامعة المفتوحة فى نطاق ترابط الجامعات المصرية الأمريكية.

(د) بنوك المعلومات والبحوث، والرسائل العلمية ببعض الجامعات العربية لصالح أمريكا.

(هـ) منح السلام وفولبرانت ومؤسسة الفورد فونديشن، وغير ذلك كثير جدا جدا فى العالمين العربى والإسلامى.

٣ـ المنظمات العالمية ودورها المشبوه فى قضايا التعليم، وتدميرها للبنية الفكرية والعقيدة والأخلاق فى الأمة العربية والإسلامية، وتهويد العقل العربى[٤].

ومن هذه الموسسات والجامعات التبشيرية جامعة سانجور وأهدافها التغريبية، أو الجامعة الفرنسية الدولية للتنمية الأفريقية، ويقول المبشر «تكلى»: (إن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن، حينما درسوا الكتب التعليمية الغربية[٥]). والحديث عن أهداف التبشير ومؤامراته على التعليم والاستشراق ودوره فى تدمير البنية الفكرية والعقائدية والأخلاقية، كثير جدا، لا يتسع لذكره هذا المجال، ويتلخص فى الإفساد لكل شئ خاصة مناهج التعليم.

٤ـ الأمم المتحدة وبعض منظماتها فى مجال التعليم، ومنها:

(أ) أحيانا اليونسكو: قد يكون لها دور مشوه، تتعمد تشويه التاريخ الإسلامى وتتبنى الإلحاد والعلمانية وأحيانا أخرى الأليسكو Alesco المنظمة العربية للتعليم والثقافة[٦]، لذلك يجب التيقظ لمشاريع ومناهج التطوير ذات الصلة باليونسكو وغيرها.

(ب) منظمات أخرى غربية، كالفاتيكان والمؤسسة

---

(١) أ. على إسماعيل، الباحث بمركز التطوير (جريدة صوت الشعب ١٩٩١/١٢/٢٩)، أ. محمد طبل: الخبير لوزارة التربية والتعليم، أ. سماح رافع الخبير بمركز البحوث التربوية، د. محمد عبدالظاهر وكيل كلية التربية بطنطا، د. محمود عبدالحليم منسى رئيس قسم علم النفس بتربية إسكندرية، د. فرخندة حسن الأستاذة بالجامعة الأمريكية، د. رفعت سيد أحمد الباحث بالمركز القومى للبحوث، د. إبراهيم سليمان عيسى المؤلف فى كتابه: (نعم الإسلام هو الحل، ولكن كيف).

(٢) المختار الإسلامى، عدد رجب ١٤١٢هـ.

(٣) مجلة العلم والتنمية عدد فبراير ١٩٩١ التى يصدرها مشروع تضامن الجامعات المصرية الأمريكية ومقره المجلس الأعلى للجامعات.

(٤) تهويد عقل مصر، «عرفه عبده على» دارسينا للنشر، القاهرة ١٩٨٩ بتصرف التبشير والاستعمار، د. عمر فروخ وآخر.

(٥) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص ٢١٦ ، ٢١٧.

(٦) المؤامرة على التعليم، مرجع سابق، ص٨٢.

(٧) المصدر لهذه المعلومات :

(أ) مجلة The muslim world ٢١ يناير ١٩٧٨.

(ب) المؤامرة على التعليم والمعلم دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ١٩٩٣. ص ٨٢ ـ ٩٢ بتصرف.

الشبابية والخيرية بإيطاليا، والمؤسسة الدولية للإنسان والعلم بالولايات المتحدة.

٥ـ منظمة الإسلام والغرب مؤسسة إثمها أكبر من نفعها:

للأسف تبنت وتتبنى كل من اليونسكو Unisco والأليسكو Alesco ومؤسسات غربية أخرى كالفاتيكان والمؤسسة الشبابية الخيرية بإيطاليا والمؤسسة الدولية للإنسان والعلم بالولايات المتحدة، قيام منظمة عالمية وهى (الإسلام والغرب) وهى مؤسسة مخصصة فى الدس غير المباشر فى المناهج التعليمية لأعضائها من المسلمين.(٧)

٦ـ التغلغل الإسرائيلى واختراقه لعقل الأمة العربية واتفاقيات السلام مع اليهود وجنايتها على التعليم، خاصة فى الأراضى المحتلة وفى مصر. ويلاحظ على هذه الاتفاقيات من الناحية التعليمية مايلى(١):

(أ) المتأمل لهذه الاتفاقيات يجد أنها تهدف إلى إعادة صياغة العقل العربى.

(ب) صرح إسحاق نافون رئيس إسرائيل السابق فى ١٩٧٩/٥/٢٧ بجامعة تل أبيب بأن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية.

(جـ) ترى إسرائيل أن أى صياغة أدبية ودينية تخالف التصورات الإسرائيلية تعد مساسا بالسلام.

(د) نشرت صحيفة الرأى الأردنية فى ١٩٨١/٩/١٠ أن مسئولين إسرائيليين طالبوا بتغيير وتعديل مناهج التاريخ والدين.

(هـ) طالب المسئولون الإسرائيليون أخيرا، بتوحيد مناهج التربية والتعليم فى منطقة الشرق الأوسط، وغير ذلك كثير. وعلى العموم فاتفاقيات السلام بين العرب وإسرائيل يجب التيقظ لها بصفة دائمة، خاصة ما يتعلق منها بالنواحى التعليمية والثقافية.

ثانيا: من أبعاد الغزو الثقافى:

فى دراسة مستفيضة بلغت ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط للدكتور محمد الأنور حامد بعنوان: «من أبعاد الغزو الفكرى» ذكر منها ثلاثة أبعاد: البعد المذهبى والبعد اليهودى والبعد الاستشراقى، ونحن نتكلم عن التغلغل الإسرائيلى، كمصدر من مصادر الغزو الثقافى لمناهج التربية والتعليم، فى مختلف سياسات ونظم التعليم العربية الإسلامية، أثر اتفاقية السلام، يهمنا البعد اليهودى(٢) الذى جاء فى هذه الدراسة المستفيضة المشار اليها. وقد تحدث المؤلف تحت هذا العنوان فى عدة نقاط، تشمل موقف اليهود عقائديا من الألوهية ومن الأنبياء ومن أنفسهم ونظرتهم لما عداهم من الشعوب وقد ختم هذه النقاط بمواقف اليهود ضد الإسلام وكان المؤلف قد وقف أيضا عند بروتوكلات حكماء صهيون. والحديث عن البعد اليهودى كأهم أبعاد الغزو الفكرى، يحتاج إلى شرح وتفصيل ومساحة لا يتسع لها هذا البحث، وحتى مؤلف «من أبعاد الغزو الفكرى» بنفسه يختم مقدمة الدراسة بقوله: «والدراسة فى مجملها تهدف إلى تعريف المسلم ببعض أبعاد الغزو، فى صورة موجزة، مرجئا الكلام فى التفصيلات لبحث آخر. والدراسة وإن كانت متخصصة، إلا أن نقطة مواقف اليهود ضد الإسلام(٣) تعبر بوضوح عن مقدار الحقد على الإسلام، والضيق والضجر منه وقد عدد مؤلف الدراسة (من أبعاد الغزو الفكرى) هذه المواقف التالية ودلل عليها ووثق هذه الدراسة. وسوف أذكرها بإختصار شديد فيما يلى:

* مع بداية بعثته صلى الله عليه وسلم أنكر اليهود نبوته، وطالبوه فى تعنت وكراهية بأن يأتى لهم بقربان تأكله النار، متجاهلين كل معجزاته عليه

(١) المرجع السابق، ص٨٢ ، ٨٣.

(٢) من أبعاد الغزو الفكرى، محمد الأنور حامد عيسى، دار الطباعة المحمدية، ط١، القاهرة ١٩٨٩، البعد اليهودى ص٧١ ـ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق ص٩١.

صلاة والسلام حسية كانت أم عقلية.

* كما طالبوه عليه الصلاة والسلام أن يطلب لهم
ن ربه، أن يكلم اليهود ويعلمهم أن محمدا رسول من
نده، امتدادا لحيلتهم وطبيعتهم حينما طلبوا من
سى عليه السلام أن يريهم الله جهرة.

* ومع أن اليهود كانوا ينتظرون نبيا سوف يأتى،
ينما أتى النبى صلى الله عليه وسلم أنكروه - عنداً
براً وحقداً وتسلطاً - لأنه لم يبعث منهم، بل بعث من
ل إسماعيل عليه السلام.

* حاولوا التشكيك فى القرآن الكريم، وقالوا:
س هذا من عند الله، وإن الله لا يكلم البشر.

* انتهزوا فرصة تحول القبلة من بيت المقدس إلى
بيت الحرام، لإثارة الشبهة والتشكيك فى نبوة سيدنا
مد صلى الله عليه وسلم.

* تشكيك ضعفاء المسلمين فى عقيدتهم،
تظاهر أمام المسلمين برضائهم عن الإسلام، وهم
ضمرون الكيد والحقد على الإسلام.

* التشكيك فى دعوته صلى الله عليه وسلم
لبية، وبعضهم يذكر عموم رسالته[1] ويقولون: إنها
صة بالعرب.

ونحن نرى أن موقفهم ثابت لا يتغير من الحقد
ى الرسالم، وأنهم لا شك ينتهزون اتفاقات السلام
يل من الإسلام، وفى مقدمة الوسائل والطرق:
هج التعليم والثقافة، ولا ننسى دورهم الخطير فى
الإسرائيليات فى التفسير والحديث، ودورهم فى
ساد والترويج للتيارات الإلحادية، والاتجاهات
وضوية الإباحية، التى تفسد الضمائر، وتقتلع

الأخلاق الفاضلة وتنشر الفرقة والصراع والأحقاد بين الناس قاطبة.

ثالثا: المصادر الداخلية لغزو مناهج التعليم:

تتعدد هذه المصادر لتقف خلف سياسات التطوير، وغالبا ما تكون سياسات وخطط التطوير وراءها أصابع خلفية تهدف إلى طمس عقيدة الأمة بشكل تدريجى، وخاصة مناهج التاريخ الإسلامى.

* تضخيم المعلومات النظرية وصعوبتها وإهمال الجوانب العملية والتطبيقية.

* صدور سياسات التطوير أحيانا من جهات غامضة مريبة، بدلا من المتخصصين والتربويين، والعزوف عن برامج التطوير الحقيقى التى تنبع من حاجة الأمة.

* أيضا من مظاهر تخريب التعليم فى بعض البلاد العربية والإسلامية. - ولو بصورة غير مباشرة - :

(أ) التقتير على المعلم وتعريضه لمعاناة شديدة وخفض الميزانيات، ولاشك أن الجامعات والأستاذ الجامعى مكان تعليم ومعلم أيضا.

(ب) أحيانا يتم حرمان أهل الخبرة والكفاءات من تولى المناصب القيادية فى قطاعات التعليم.

(جـ) السياسة العشوائية فى الابتعاث إلى الخارج.

(د) مخططات اليهود لإفشال التعليم فى بعض البلاد العربية.

(هـ) لا يوجد ارتباط فى بعض الدول بين التعليم والتنمية وكلها أمور تستدعى الحذر واليقظة حفاظا على ديننا وعروبتنا وإسلامنا عند التقرير والتنظير والتنفيذ للسياسات التعليمية.

---

[1] جماعة منهم تسمى (بالعدوية) المرجع السابق ص١٠٣، وهم أتباع رجل يسمى أبو عيسى إسحاق بن يعقوب، ادعى النبوة فى عصر الدولة العباسية.

ماليزيا المسلمة
نمر من نمور جنوب شرق آسيا

إن مجلة منبر الإسلام فى ثوبها الجديد، وبتوجيهات الأستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحرص كل الحرص على أن تضع بين يديك ـ عزيزى القارئ ـ كل ما من شأنه التعريف بالأمة الإسلامية شعوباً وأقليات، وليعرف الداعية إلى الله أن نور الإسلام يسطع على كل بقاع الأرض، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هذا المنطلق كان اللقاء مع سعادة سفير ماليزيا بالقاهرة

السيد / حاجى عبدالرحمن رحيم.

ديسمبر ١٩٩٦
٢٩ الأحد
١٩ شعبان ١٤١٧هـ

ألقى سعادة السفير الضوء بصورة حية عن ماليزيا المسلمة عبر تاريخها الطويل قال : ـ تقع ماليزيا فى قلب جنوب شرق آسيا، وهى هلالية الشكل قريبة من خط الاستواء تحتل منطقتين بارزتين.

ربى من جزيرة بورنيو.

ويفصل هاتين المنطقتين بحر الصين الجنوبى بحوالى ٧٥كم، وتتصل شبه جزيرة ماليزيا من جهة الشمال تايلاند عبر حدود أرضية، ومن الجنوب بجمهورية غافورة عن طريق جسر يصل بينهما، كما تقع جزيرة سومطرة الأندونيسية غربا عبر مضايق ملقا، وتقع الفلبين شرق ولاية صباح الماليزية.

ويمتد ساحل ماليزيا بما يقرب من ٤٨٣٠ كم من يط الهندى إلى بحر الصين الجنوبى.

** واستطرد سعادة السفير يقول :

أما مناخ ماليزيا، فهى تتعرض إلى عوامل بحرية، رياح متداخلة، ومتبادلة تنشأ أصلا من المحيط ندى، وبحر الصين الجنوبى.

وتمتاز الولايات الماليزية بالمناخ الذى يسمح بنمو الزراعات دون توقف حيث تغطيها الغابات لاستوائية، والتى تنمو عن طريق مياه الأمطار زيرة، وتصل ارتفاع اشجارها إلى مايقرب من ٤٥

أما عن ولايات ماليزيا يقول سعادة السفير : ـ

تتكون دولة ماليزيا من اتحاد فدرالى يشمل ثلاثة عشر ولاية : ـ جوهور (دار التعظيم) قدح (دار الأمان) كلنتان (دار النعيم) ثم ملقا ونجرى سمبلان (دار الخصوص). وباهنج (دار المقمور) ثم براك (دار الرضوان) وبيرس وبلويناج وصباح وسرواك .. وكل ولاية من الولايات لها خصوصيتها وجاذبيتها.

وفى جميع الولايات عدا ولايتى بينانج وملقا يكون الحاكم هو رئيس الهيئة الإسلامية فى الولاية مع مجلس استشارى وطنى للشئون الدينية يقدم المشورة والنصح للحكومة، كما يقرر جميع المراسم والاحتفالات الدينية التى تجرى بالولاية، بينما يرأس الملك وهو الرئيس الأعلى للدولة كلها ولايتى بينانج وملقا.

وللدولة الماليزية برلمان عام يشتمل على مجلسين :

ـ ديوان راكيات (مجلس النواب) ويتكون من ١٨٠عضواً وديوان نيجارا (مجلس الشيوخ) ويتكون من ٦٥ عضواً أما الإدارة وتنفيذ سياسة الدولة فتقع على عاتق ومسئولية الوزراء والإدارات المختلفة ولكل ولاية من ولايات ماليزيا الثلاثة عشر دستورها الخاص وحكومتها التى ترعى مصالحها.

وكان لابد لنا أن نتعرف على اقتصاد ماليزيا التى أصبحت أحد نمور جنوب شرق آسيا..

قال سعادة السفير : .

يعتمد اقتصاد ماليزيا أساسا على الزراعة، فمنذ استقلالها وهى تتطور من مجرد دولة تعتمد على صادرات منتجاتها من المواد الخام إلى أمة نجحت فى أن تصبح من رواد المصدرين للسلع المصنعة.

وتعتبر ماليزيا أكبر دول العالم من ناحية انتاج وتصدير زيت النخيل والمطاط والقصدير وهى أيضا من أهم الدول التى تنتج الكاكاو والفلفل، كما أنها من أهم المصدرين للخشب بالاضافة إلى منتجاته.. ويتصدر كل من البترول الخام والغاز الطبيعى قائمة التصدير.

شكل رقم ٢

* ويعود بنا سعادة السفير إلى تاريخ ماليزيا فيقول :

تعددت الآراء ووجهات النظر حول الحقبة التاريخ
لبداية تاريخ ماليزيا القديم.

يعتقد أن شمال شبه جزيرة الملايو شهد
تكوينات للولايات السياسية الأولى حوالى عام .
للميلاد، كما يحتمل وقوع بعض هذه الولايات تح
نفوذ امبراطورية سرى فيمايان فى باليمبانج، و
نهاية القرن الثالث عشر الميلادى استطاع
امبراطورية ماجاباهيت والامبراطورية التايلاندية
انتزاع السلطة من سيطرة امبراطورية سرى فيماي
ومنذ بداية القرن الرابع عشر بدأت صورة تا
ماليزيا فى الوضوح .. وكان عهد امبراطورية ملقا
الحقبة التى شهدت العصر الذهبى للقوة السيا
لشعب الملايو، والى مدى بعيد تطابق ذلك مع
بداية انتشار الإسلام فى جنوب شرق آسيا، وك
ملقا نفسها أول ولاية تعتنق الإسلام خاصة عن ط
التجار المسلمين الذين وفدوا من الجزيرة العربية
جنوب شرق آسيا، وأصبح للإسلام نفوذه الق
وبدون شك كان له أثر فعال فى تكوين المب
الأساسية للمجتمع الملاوى كله.

وفى عام ١٩٩٣م بلغ تعداد سكان ماليزيا ح
١٩.١ مليون نسمة من أجناس مختلفة لكنه
النهاية يؤلفون اتحاداً شعبيا يوحد ما بين الملايو
والأجناس الأصلية الأخرى.

أما عن اللغة والدين يقول سعادة السف

«بهاسا ملايو» هى اللغة القديمة والرسمي
البلاد ولكن فى دولة متعددة الجنسيات مثل ما
تتواجد لغات آسيوية كثيرة، كما تتعدد اللهجات

وينص الدستور فى ماليزيا على أن الدين الر

للبلاد هو الإسلام وهو يكفل حرية العبادات الأخرى ، وجميع المؤسسات الدينية فى ماليزيا لها الحق فى امتلاك وإدارة منظماتها الخاصة بها.

وشعب ماليزيا المتعدد الجنسيات يمارس عباداته ودياناته الخاصة به تبعا لما درج عليه وتوارثه من الأجناس الأصلية فى البلاد.

وجميع الملايوويون وبعض من الهنود والصينيون يعتنقون الدين الإسلامى أما أبناء سرواك وصباح الأصليين فيعتنقون الدين المسيحى.

* وحرص سعادة السفير على أن يلقى الضوء على بعض الجوانب الخدمية والتى تتسم بالطابع الإسلامى.

* إدارة الحج و مجلس إدارة صندوقه.

وهى هيئة تقوم بإستلام وتجميع المدخرات المالية للمسلمين الراغبين فى اداء فريضة الحج، وذلك لاستثمارها، وتوظيف رؤوس الأموال، وفى الوقت نفسه حمايه ورعاية الشئون الخاصة بجميع الحجاج المسلمين، وقد تأسس صندوق الحج فى أغسطس من عام ١٩٦٩للميلاد.

* البنك الإسلامى بماليزيا.

فى أول يوليو من عام ١٩٨٣ للميلاد بدأت فى ماليزيا عملية إدماج المبادئ الإسلامية مع التكنولوجيا الحديثة، ولهذا فتح البنك الإسلامى أبوابه لجميع العملاء من كل الأجناس والديانات المختلفة هناك، وهو يقدم سلسلة من التسهيلات والخدمات البنكية من بينها عمليات التمويل والاستثمار والقروض، كما يقدم عملاء وشركاء للاستثمار فى نظام يتواءم مع المبادئ الإسلامية.

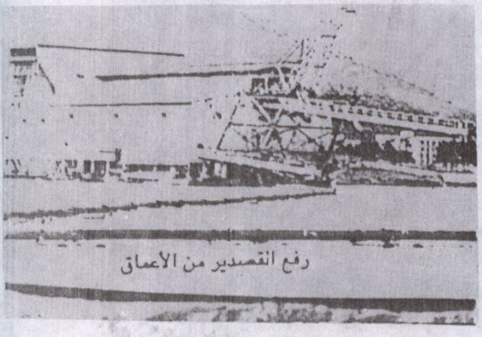

رفع القصدير من الأعماق

* وأما عن الاحتفالات والعطلات الرسمية خاصة الإسلامية منها يقول سعادة السفير :-

نظراً لتعدد الجنسيات والديانات فى ماليزيا ، فإن البلاد تحظى بالعديد من الاحتفالات والعطلات الرسمية، فهناك العيد القومى يوم ٣١ أغسطس من كل عام ميلادى، وكان يعرف مسبقا باسم مرديكا «أى عيد الاستقلال» ويحتفل به فى كل أنحاد البلاد بإقامة المهرجانات والاستعراضات، ويمنح الفقراء الهدايا والهبات النقدية بهدف إحياء الذكرى السنوية لاستقلال ماليزيا.

ويعتبر عيد ميلاد الملك وهو الرئيس الأعلى للبلاد عطلة رسمية يحتفل بها ، ويوافق أول يوم سبت من شهر يونيو من كل عام ميلادى، ولعل من ابرز الأمور فى ذلك اليوم هو تكرم صاحب الجلالة الملك بإعطاء الجوائز ومنح الألقاب لكل من يثبت تقدمه وقيامه

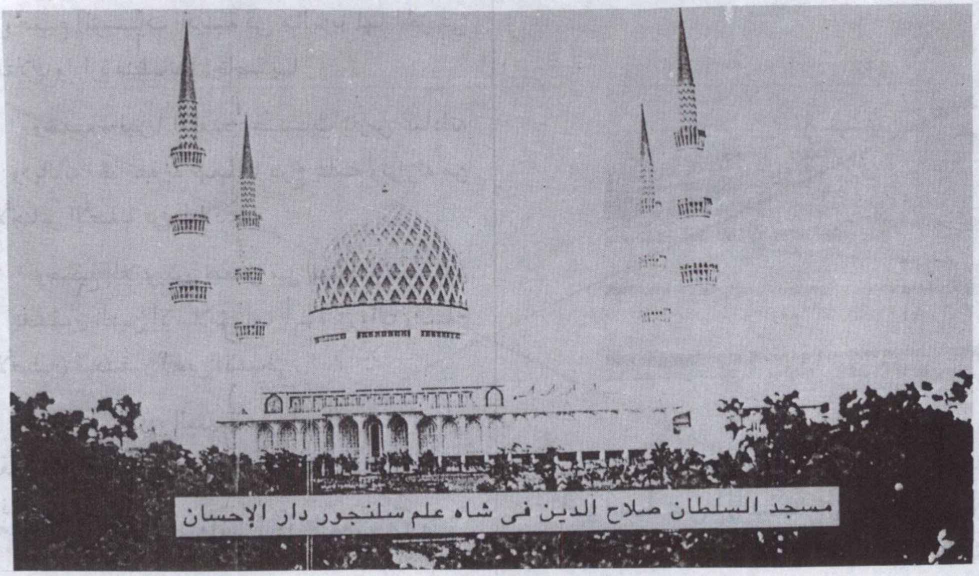

مسجد السلطان صلاح الدين فى شاه علم سلنجور دار الإحسان

بأعمال متميزة عادت بالنفع لصالح البلاد.

أما عيد الفطر فيعتبر من أعظم المناسبات التى يستقبلها الشعب الماليزى بالبشر والترحاب، ويشارك بها أخوانه المسلمين فى كل انحاء المعمورة وهو احتفال بانتهاء شهركامل من الصيام من شروق الشمس حتى غروبها، وفى الصباح الباكر من هذا اليوم وقبل الذهاب إلى أداء الصلاة جماعة : يسأل الصغار من أبويهم سماحهم والعفو عنهم حول ما اذا كانوا قد اخطأوا فى حقهم، ويطلبون رضاءهم عنهم وفى هذا اليوم تكون كل المنازل كاملة الزينة والبهجة ومستعدة بالوجبات الشهية لاستقبال الأحبة والأقارب، وهو مظهر إسلامى رفيع المستوى.

ويحتفل الماليزيون بعيد الأضحى المبارك فى اليوم العاشر من الشهر القمرى الثانى عشر من التقويم الإسلامى حين يتجه المسلمون لأداء آخر مناسك الحج فى مكة المكرمة حيث تذبح الذبائح وتوزع على الفقراء والمحتاجين، وتعم الفرحة كل انحاء ماليزيا.

ومن الاحتفالات الكبيرة التى يوليها الماليزيو اهتمامابالغاء ذكرى مولد رسول الإنسانية كلها محمد صلى الله عليه وسلم ويقع هذا الاحتفال فى اليو الثانى عشر من الشهر القمرى الثالث فى التقوي الإسلامى، وهو عطلة قومية يحتفل به رسمياً في المدن الكبرى بكل الولايات وذلك بتلاوة وإذاعة القرآ الكريم، وبهذه المناسبة الكريمة تقام سنويا المسابق الكبرى لحفظ القرآن الكريم بعاصمة الدولة الماليزي «كوالمبور» توزع فيها المكافآت المالية السخية عل أوائل المتسابقين من دول العالم العربى والإسلامى.

ومن المعالم الإسلامية التى تستحق الذكر، وحرص سعادة السفير على أن يحدثنا عنها المسجد القومي الذى يقع فى قلب العاصمة، وهو انجاز رائع للعمار الماليزية يرمز إلى وحدة الشعب والعقيدة وطموحا وآمال الأمة، تم تشييده وسط مساحة تقدر بخمس هكتارات من الخضرة، ومحاطا بأحواض ونافورا المياه حيث ترتفع المئذنه الرئيسية بمعالمها البارزه إل

و ٧٣ متراً وسط أحد الأحواض المائية، ويحتوى جد على صالة عرض ومكتبة وصالة لقراءة القرآن كريم. تم زخرفة قبابه الـ ٤٨ بالخطوط الإسلامية ى تشابه قبب المسجد الحرام بمكة المكرمة ويصل طر القبة الرئيسية إلى ٤٥ متراً وهى تأخذ شكل ة بها ١٨ طرفا مدبباً تمثل ولايات ماليزيا الثلاثة ر وأركان الإسلام الخمس.

بد من ذكر الجامعة الإسلامية بالعاصمة كوالمبور، ى تخدم الآلاف من طلاب العلم على مستوى دول نوب شرق آسيا كلها، تدرس المناهج الإسلامية، وم بتدريسها أساتذة من كل انحاء العالم العربى سلامى وخاصة من مصر.

وفى هذا الصدد يجدر الاشارة إلى أمرين هامين :

الأمر الأول : العدد الهائل من طلاب العلم يزين الذين يدرسون بكليات الجامعة الأزهرية على ه الخصوص، والذين يعودون إلى وطنهم بعد أتمام ستهم دعاة للإسلام ومبادئه السمحة القويمة ليأتى يرهم، وهكذا منذ فترة طويلة حتى أصبح هناك حديد من الشخصيات العامة والمؤثرة ممن تعلم فى روقة الأزهر الشريف والجامعات والمعاهد المصرية تلفة، ويوجد - حاليا - حوالى ٤٧٠٠ طالبا وطالبة.

الأمر الثانى : فهو عقد اتفاق ثقافى بين ماليزيا ومصر لفتح فرع للجامعة الأزهرية تبدأ راسة فيه العام الدراسى القادم بإذن الله.

أما عن العلاقات الخارجية يقول سعادة السفير : -

السلام هو محور السياسة الخارجية لماليزيا لذا ى تعطى اهتماما كبيرا للتعاون الأقليمى فى منطقة وب شرق آسيا. كما أنها تعضد التضامن الإسلامى وعدم الانحياز، وهى تسعى أيضا إلى إقامة علاقات صداقة مع أكبر عدد من الدول، كما أنها تقوم بتقوية الروابط التى تجمع بينها وبين الأمم ذات الاهتمامات المشتركة.

ومن أجل تعميق مبدأ الأقليمية فقد اشتركت ماليزيا فيما يعرف باتحاد أمم جنوب شرق آسيا الذى يضم بروناى - ماليزيا - الفلبين - سنغافورة وتايلاند - وهى تعمل الآن نحو جعل منطقة جنوب شرق آسيا منطقة للسلام والحرية والحياد الذى من خلاله سوف يتم ارساء دعائم السلام والاستقرار فى المنطقة.

وماليزيا من اشد الداعين إلى التضامن والوحدة بين الدول الإسلامية فهى تقوى علاقات الصداقة مع هذه الدول عن طريق تشجيع التعاون، ليس فقط فى الأمور الدينية بل فى المجالات الإقتصادية والاجتماعية والثقافة والتعليمية والعلمية والتكنولوجية وبالتحديد من خلال منظمة المؤتمر الإسلامى.

وتلعب ماليزيا دوراً فعالاً فى حركة عدم الانحياز حيث تقوم بتدعيم ومساندة مبادئ الحركة لتشجيع

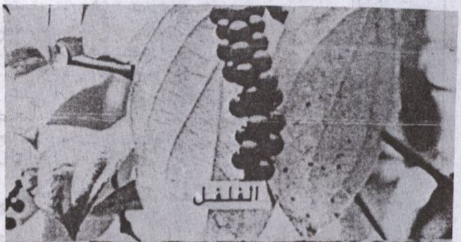
الفلفل

حقول الشاى

التعاون الدولى من أجل إقامة نظام اقتصادى دولى جديد يرتكز على مبدأ العدالة والمساواة، يتضح فى مشاركتها المباشرة فى النشاطات المختلفة للمنظمات العالمية مثل منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المختلفة إلى جانب المنظمات العالمية الأخرى.

وتوطيداً لأواصر صداقة زار ماليزيا مؤخرا الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء المصرى لتنشيط العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري بين البلدين مصر وماليزيا، وأيضا مشاركة باحتفالات مصر بإنتصارات أكتوبر المجيد أفتتح هذا العام أول خط للطيران الماليزى خدمة للتجارة والسياحة.

ولا أنس مجهودات ونشاطات جميعة الصداقة المصرية الماليزية فى استقبال الوفود، وتقديم كافة الخدمات الممكنة لزوار مصر من الشخصيات العامة ورجال الأعمال والاتصال الدائم بطلاب العلم الماليزيين بدور التعليم المصرية، وعلى كل المستويات، مع مشاركتهم فى كل المناسبات الوطنية الماليزية،

فالعلاقة بين مصر وماليزيا تعود إلى أوائل الخمسينيات، وهى علاقة متينة قائمة على الأخوة الإسلامية ولا تعوقها أية مشكلات، ينعكس هذا الوفاق على العديد من علاقات التعاون الثنائى فى شتى المجالات والتى تزداد دائما على مر السنين.

وفى نهاية اللقاء أكد سعادة السفير أن مصر بلد آمن، شعبها ودود، دافىء المشاعر يستطيع أى إنسان أن يجوب الطرقات فى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار بلا خوف.

والفرد المصرى مليئ بالحيوية والحب لوطنه، وروح المرح لاتفارقة أبداً وكل من يعيش بالقاهرة العاصمة يشعر أنها حاضرة المسلمين جميعاً بأزهرها المعمور، ومؤسساتها الدينية المختلفة، وآثارها الإسلامية القديمة التى تشعر المرء بعظمة الإسلام، وتؤكد المقولة الشهيرة «من يشرب من ماء النيل لابد من العودة إليه» ووجودى بمصر للمرة الثانية يعيد إلى ذهنى الكثير من الذكريات والأصدقاء والمناسبات المصرية المحببة إلى نفسى وأسرتى.

هذا شعورى الحقيقى تجاه مصر حكومة وشعبا والأخص للرئيس العظيم محمد حسنى مبارك وفقه الله لما فيه خير وطنه وعزة ورفعة الأمة الإسلامية، فى وقت يسود الغرب مفهوم خاطئ عن الإسلام والمسلمين، وتكتل أوروبى متعمد لتشويه صورة الإسلام وتعاليمه، وذلك للحد من الفهم الصحيح، والموضوعى له، خوفاً من أن يتسع أنتشاره ويعم بلادهم، وهذه هى التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين فى عالمنا اليوم.

ورغم هذه التحديات فسيظل الإسلام منارة تهدى الناس جميعاً للحق والمحبه والسلام.

وبعد عزيزى القارئ :-

لا أملك إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة سفير ماليزيا السيد/ حاجى عبدالرحمن رحيم على ما مدنا به من معلومات عن ماليزيا المسلمة، وعلى كلماته الرقيقة، ونرجو لسعادته إقامة طيبة بين أبناء أرض الكنانه مصر المحروسة .. وإلى لقاء جديد بإذن الله.

بيان مجمع البحوث الإسلامية حول:

مشروع الاستنساخ البشرى

استنساخ الإنسان يعرض البشرية للمخاطر والعبث ويجب إيقافه بكل الوسائل

الإسلام لا يعارض العلم النافع الذى يتفق مع منهج الله فى الخلق

تعريف الاستنساخ البشرى لغة : من مادة (نسخ) ومن معانيه الإزالة، يقال : نسخت الشمس الظل، أى أزالته، ومن معانيه : النقل. يقال : نسخ الكتاب، أى نقله وكتبه حرفا بحرف، واستنسخ الشئ : طلب نسخه ..

التعريف الطبى : عملية يقصد منها استحداث كائن حى مشابه للكائن الذى أخذت منه الخلية الحية، وهذا مضمون ما قاله الأطباء عن الاستنساخ.

وقد نجح الاستنساخ فى النبات، واستحدثت منه أنواع لها خصائص متميزة، ونجح كذلك فى الحيوان بمولد الشاة «دوللى» الإنجليزية والقردة الأمريكية.

ويسعى العلماء لاستنساخ إنسان، وهذا هو موضوع الدراسة.

كيف تم استنساخ الشاة «دوللى» ؟

تم استنساخ الشاة «دوللى» فى عشر خطوات هى:

١ - أخذ خلية جسدية من ضرع أو ثدى حيوان (شاة أو كبش).

٢ - تحتوى خلية الحيوان على نسخ من الجينات المطلوبة لعمل نسخة مطابقة للحيوان لكن جينات البروتينات للخلايا الثديية هى فقط النشطة.

٣ - يتم إخلاء الخلية من المغذيات لتدخل فى حالة كمون، ويتوقف الانقسام.

٤ - يتم الحصول على البويضة من نفس الحيوان أو من حيوان آخر.

٥ - تحفظ البويضة حية غير مخصبة فى طبق بالمعمل.

٦ - يتم إزالة النواة من البويضة.

٧ - يتم دمج نواة الخلية الثديية مع البويضة بواسطة الحث الكهربى، وتقوم الجزيئات فى البويضة عندئذ ببرمجة الجينات فى الخلية الثديية لإنتاج الخلية الأولية للجنين.

٨ - التجمع الخلوى للجنين ينمو.

٩ - تنقل الكتلة الخلوية الجنينية إلى رحم حيوان آخر.

١٠ - الجنين الذى يولد يكون نسخة طبق الأصل من الحيوان المانح للخلية الثديية، وهى عملية معقدة وباهظة التكاليف.

بداية التجارب :

كانت البداية القوية فى استخدام أسلوب الاستنساخ الخلوى فى الزراعة لتحسين إنتاجية

المحاصيل والحصول على سلالات جديدة حتى انتشر هذا الأسلوب وصار فرعا قائما بذاته ثم انتقلت التجربة إلى الحيوان لمحاولة تحسين السلالات الحيوانية والآن هناك حوالى عشرة الآف جنين مجمد فى سائل النيتروجين بالولايات المتحدة وكثير من دول العالم.

خطر بلا سيطرة :

يرى كثير من الأطباء أن الخطر الحقيقى يتمثل فى صعوبة السيطرة الحكومية بإصدار التشريعات،فإن فى إمكان أى معمل عادى أن يقوم بها، فلا معدات هائلة ولا إمكانيات غير عادية، والعملية كلها منشورة بتفاصيلها.

ولتصور أبعاد هذا الخطر ننقل ما قالته العالمة الأمريكية، قالت: (لم يعد هناك حاجة لدور ملح للرجل، فقد تبين علميا أن بإمكان أى امرأة أو حتى عذراء أن تنسخ طفلا منها على نحو تكنولوجيا النعجة «دوللى»).

ومن المخاطر الشديدة : أن العلماء الذين يطردون من أمريكا حسب القوانين يأتون إلى مصر بلا موانع، فقد طردت أمريكا العالم «جاك كوهين» بعد أن ثبت تلاعبه بإعطاء أجنة من سيدات إلى أخريات دون علمهن..

ولذلك يطالب الأطباء لمواجهة هذا الخطر بتشكيل لجنة مستقلة من وزارة الصحة ونقابة الأطباء وجمعية أمراض النساء لمتابعة ما يحدث فى مراكز الخصوبة وتسجيل كل بويضة تخرج من مبيض الأم حتى لانترك الفرصة لدى النفوس الضعيفة لإجراء التجارب.

ونتساءل : وهل تستطيع اللجنة المقترحة أن تقف فى وجه الطوفان؟!

مواجهة العالم لهذا الخطر :

وقد اتخذت دول العالم بعض المواقف لمواجهة هذا الخطر، فالرئيس الأمريكى بيل كلينتون، والرئيس الفرنسى جاك شيراك، والرئيس الألمانى كول، ورؤساء الدول القادرة على إجراء مثل هذه التجارب أصدروا قرارات لوقف التجارب التى يمكن أن تجرى لاستنساخ الإنسان.

الدراسة العلمية لاستنساخ الإنسان :

وقبل الحكم على استنساخ الإنسان لابد من تقديم دراسة علمية تتضمن العناصر الأساسية لخلق الله للإنسان، وفى هذا السبيل نقول :

أولاً : صور خلق الله للإنسان :

١ ـ خلق الله آدم من تراب ونفخ فيه من روحه من غير أب ولا أم.

٢ ـ خلق الله حواء من ضلع آدم. من غير أم.

٣ ـ خلق الله عيسى ابن مريم. من أم ومن غير أب.

٤ ـ خلق الله الناس جميعا من أب وأم.

هذه الصور الأربع لخلق الإنسان استوعبتها كلها قدرة الله الغالبة.

ثانيا : مراحل خلق الله للإنسان :

١ ـ الخلق من تراب : **«ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون»** سورة الروم ـ ٢٠.

٢ ـ الخلق من ماء: **(وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)** سورة الفرقان ـ ٥٤.

٣ ـ الخلق من طين : **(وهو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده)** سورة الأنعام ـ ٢.

٤ ـ الخلق من صلصال : **(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)** سورة الرحمن ـ١٤.

٥ ـ النفخ من روح الله : **(فإذا سويته ونفخت فيه من روحه)** سورة ص ـ٧٢.

٦ ـ الخلق صنعة الله : (قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) سورة ص ـ ٧٥.

هذه مراحل خلق آدم ـ عليه السلام ـ

ثم كانت مراحل خلق أبناء آدم :

١ ـ الخلق من ماء دافق : (فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب) سورة الطارق ٥ ـ ٧. صلب الرجل وترائب المرأة.

٢ ـ الماء الدافق هو المنى: (ألم يك نطفة من منى يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) سورة القيامة ٣٧ـ٣٩.

٣ ـ الماء الدافق مخلوق لله وحده : (أفرأيتم ما تمنون. أأنتم تخلقونه أن نحن الخالقون). سورة الواقعة ـ ٥٨، ٥٩ .

٤ ـ وصول هذا الماء إلى الرحم وبقاؤه فيه : (ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه فى قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون) سورة المرسلات ٢٠ ـ ٢٣.

٥ ـ وصول هذا الماء إلى الرحم: (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) سورة آل عمران ـ ٦.

(يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث) سورة الزمر ـ ٦.

٦ ـ مراحل الخلق فى الرحم : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) سورة المؤمنون ـ ١٢ ـ ١٤.

٧ ـ أحسن خلق وأحسن تقويم : (الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) سورة السجدة ٧-٩.

معنى كلمة الخلق :

والخلق : يستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء.

والخالق : اسم من أسماء الله تعالى . وهو المبدع الشئ المخترعه على غير مثال سبق، وليس الخلق ـ الذى هو الإبداع ـ إلا لله تعالى (١).

ويقول الله تعالى : (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون) سورة الطور ـ ٣٥-٣٦.

(أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليه قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) سورة الرعد ـ ١٦.

هل الاستنساخ خلق ؟

والاستنساخ ليس خلقا بالمعنى الذى ذكرناه، والذى يختص به الله تعالى دون سواه، وهو إيجاد الشىء وإنشاؤه من عدم على غير مثال . قال الله تعالى مخاطبا زكريا ـ عليه السلام ـ (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا). سورة مريم ـ ٩.

ولتوضيح أن الاستنساخ ليس خلقا وإيجادا لشئ لم يكن موجودا نقول : إن الاستنساخ يعتمد على : الخلية الجسدية الحية والنواة التى بداخلها بمالها من خصائص، والبويضة التى تؤخذ من الأنثى، والحث الكهربى،ورحم الأنثى الذى توضع فيه الكتلة الخلوية. وكل ذلك من صنع الله وخلقه وإنشائه وحده لاشريك له فى ذلك.

ثم بعد وضع الكتلة الخلوية فى الرحم يتوقف عمل العلماء وينتظرون ـ ويدهم على خدهم عاجزين ـ مايحدث داخل الرحم مما انفرد الله به خلقا من بعد

---

(١) الراغب الأصفهانى فى المفردات ص١٥٧ ـ المعجم الوسيط ج٢، ص ٢٥٢

خلق فى ظلمات ثلاث، دون أن يكون لهم تأثير فى ذلك، وقد لايتم الخلق وتفشل التجربة ويحبط الله أعمالهم، وقد يأتى الناتج المنسوخ ممسوخا مشوها على غير ما يتوقعون..وقد جاءت النعجة «دوللى» بعد ثلاثمائة تجربة فاشلة.

لا يمكن أن يقال : إن العلماء بالاستنساخ قد خلقوا شيئا، وإنما ركبوا مواد مصنوعة لله بطريقة خاصة استعملوا فيها مخلوقات الله فى كل خطوة من خطواتها، وقد تأتى النتائج لطريقتهم غير مضمونة.

والتحدى الذى تحدى الله به عباده قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها **(لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز)** سورة الحج : ٧٣. ٧٤.

الدين والعلم :

إذا تحدثنا عن علاقة الدين بالعلم فإنما نتحدث عن دين الإسلام الذى دعا إلى العلم وكرم العلماء وأعلى شأنهم، فأول آية فى القرآن الكريم نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق ـ الآية ١ ـ ٥.

أول آية فى تجميع كامل للعقيدة وكمال الخالق، وواجبات المخلوق ومادة الخلق وربوبية الخالق لكل الخلق، وقيمة العلم، وبيان وسائله، وربط العلم بالإيمان بالله، وانفراد الله بالخلق، وانفراده بالتعليم، وشمول تعليمه ،واستمراره لكل ما لم يعلمه الإنسان، فالله مصدر كل علم، وغير ذلك من الدلالات والإشارات التى لا نكاد نحيط بها. إنها آية معجزة حقا وهو الشأن فى كل آيات الله..

وموقف الإسلام من العلم وتمجيده له وتكريم العلماء تشهد به آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالله تعالى يقول: **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء)** سورة فاطر ـ ٢٧، ٢٨.

ويقول تعالى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** سورة المجادلة ـ ١١.

ويقول : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون. إنما يتذكر أولوا الألباب)** سورة الزمر ـ ٩.

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: **«وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر».**

يقول: **«فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»** رواه أبوداود والترمذى.

ويقول : **«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»** رواه مسلم.

ولذلك فإن الإسلام لايقلل من جهود العلماء فى مجال الاستنساخ والعلم النافع المفيد ولا يبخسهم حقهم حين أدت بحوثهم إلى معرفة جزء من مكنونات الله فى خلقه، ويحمد لهم أنهم استطاعوا أن يقرأوا أسطرا فى كتاب الله المنظور، وعرفوا منه ما يتصل بالجينات وخصائصها وشفراتها الوراثية، والنواة والصفات الوراثية المسجلة عليها مع دقتها المتناهية، وكل ذلك وأكثر منه وأعظم موجود فى كون الله منذ خلق الله الحياة، ولو أنهم سألوا أنفسهم كيف وجد كل هذا بهذه الدقة وبهذا الإعجاز لقالوا : سبحان الله.

جارب الاستنساخ :

لا أحد يعترض على الاجتهاد فى معرفة ما فى لكون من آيات الله ومكنونات خلقه، بل إن الإنسان دعو شرعا إلى هذا الاجتهاد والنظر والبحث اكتساب العلوم والمعارف، والله تعالى يقول : **(قل نظروا ماذا فى السموات والأرض)** سورة يونس : ١٠١.

ويقول : **(وفى انفسكم أفلا تبصرون)** سورة الذاريات : ٢١.

والإسلام - وهو يمجد العلم ويكرم العلماء - يدعو لناس إلى أن يشتغلوا بالعلم الذى ينفعهم ويعود عليهم بالخير فى حياتهم، أو يدفع عنهم الضرر يكشف عنهم السوء، فمن القواعد الإسلامية **«الأمور قاصدها»** فالعلم الذى ينتج للناس خيرا مقبول مستحسن، والعلم الذى يلحق الضرر بهم ويحدث لفساد فى الأرض مرفوض ومذموم.

ولذا يجب على علماء المسلمين أن يكون موقفهم ن مستحدثات العلوم والاكتشافات محكوما بهذه لقاعدة الإسلامية، فما كان فيه الخير للناس أباحوه رحبوا به، وما كان فيه الشر والضرر منعوه وحذروا نه.

وقضية الاستنساخ ناقشتها مصادر علمية كثيرة، كان منها من يعارض الاستنساخ، ومنها من يؤيد ستخدامه بضوابط تمنع التطبيقات الضارة، وتبيح لتطبيقات ذات الفائدة. ولكل من الفريقين رأيه حججه.

رأى المؤيدين وحجتهم :

يقول المؤيدون لتطبيقات الاستنساخ ما يلى :

١ - يمكن أن تلعب علوم الوراثة الدور الرئيسى استعمالات تطبيقية فى الطب والصيدلة والهندسة لوراثية، وصناعة الدواء، واستنباط السلالات النباتية والحيوانية ذات الخصائص الجيدة، وفى توفير السلع والخدمات مثل المنتجات الزراعية والسمكية والمستحضرات الطبية.

٢ - يمكن استنساخ أحد العباقرة أو القادة العظام فيكون لدينا نسخة من عالم مثل أينشتين، أو فنان مثل بتهوفن، أو قائد مثل نابليون .. وهكذا.

رأى المعارضين وحججهم :

أما المعارضون فلديهم أكثر من حجة علمية غاية فى القوة ومنها : -

١ - أن التكتيك الذى استخدم لاستنساخ «دوللى» بعيد عن الاكتمال والإتقان، فلم تنجح سوى تجربة واحدة من ثلاثمائة، ولايمكن أن يطبق على البشر تجربة نسبة نجاحها بهذا القدر الضئيل.

٢ - الخلية المستنسخة تؤخذ من حيوان بالغ بلغ شوطا من عمره، وتعرضت أجيال الخلايا فيه لتغيرات تقادم قد تؤثر فى سلامتها، ولا أحد يعرف بعد ماذا سيكون عمر النسخ الحديثة، هل ستصل إلى نفس متوسط العمر المعتاد؟ أم أنها سوف تشيخ بسرعة أكثر من المعدل الطبيعى؟ وهكذا فإن الفرد النسخة قد يشيخ فى سن العشرين وتظهر عليه أمراض الشيخوخة.

٣ - إن التزاوج الطبيعى بين الذكر والأنثى، والتلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة والتكاثر الجنسى عن هذا الطريق - خاصة بين الأقارب - يزيد التنوع، فيعطى الفرصة لظهور كائنات أقوى أو ذات تكيف أفضل، وتقاوم الأمراض والمخاطر أكثر من غيرها، ولذلك تحفل الحياة بتعددية رائعة الأشكال والأنساق وتصبح الحياة متحفا بديعا لاتتكرر فيه الصورة الواحدة، وتصبح الحياة ولادة تلغى بالجديد فى كل لحظة، وهى صورة من الغنى والثراء تناسب قدرة بلا حدود لدى خالق عظيم مبدع مقتدر - والاستنساخ

يعطى صورا مكررة لا إبداع فيها ولاتنوع.

٤ ـ الاستنساخ عملية معقدة، والتزاوج الطبيعى الذى أراده الله وجعله طريقا لبقاء النسل وتكاثره فيه اللذة والمتعة وراحة النفس والتكامل بين الذكر والأنثى، قال تعالى:

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الروم : ٢١.

٥ ـ الاستنساخ يجرد الإنسان من خاصية الإنسانية التى تتمثل فى العواطف الطيبة والدوافع النبيلة لتحمل مسئولياته فى الحياة، وينتكس به إلى الحيوانية بل أدنى.

٦ ـ النسخة البشرية المنتجة بأسلوب الاستنساخ: إذا أخذنا الخلية الجسدية من أنثى، والبويضة من أنثى ثانية، وزرعناها بعد التلقيح فى رحم أنثى ثالثة، ثم جاءت النسخة المطلوبة فمن تكون أمها؟ صاحبة الخلية؟ أم صاحبة البويضة؟ أم صاحبة الرحم التى ولدت وأخرجت النسخة البشرية إلى الحياة؟.

٧ ـ طريقة إنتاج نسخة بشرية بالاستنساخ لها انعكاسات سيئة نفسية واجتماعية وصحية، فهذا المنتج مقطوع الجذور عن مجتمعه فهو غريب فيه، وليس له نسب فى هذا المجتمع، مما يصيبه نفسيا بالاغتراب عن كل ما حوله ، ولا يجدى معه علاج لإزالة هذه الانعكاسات وما يترتب عليها من تصرفات شاذة وضارة.

٨ ـ إن ما يقدمه المؤيدون للاستنساخ من حجة إمكان استنساخ العباقرة فى العلوم أو الفنون أو غير ذلك مردود عليه بأن النسخ عملية تخص الشكل والملامح والصفات المادية.

والعبقرية شىء آخر لاعلاقة له بالشكل والملامح الجسدية، إذ العبقرية من أسرار النفوس وكوامنها، وهى أسرار غير قابلة للنسخ ولا وجود لها فى الجينات، والإنسان ليس نتاج تركيبه الوراثى وحده وإنما هو نتاج التفاعل بين الموروثات «الجينات» م البيئة والمؤثرات المحيطة به، فحجة استنساخ العباقر فيها خلط ومغالطة.

٩ ـ إذا أجريت تجارب الاستنساخ فى الإنسا وفشل عدد منها ـ كما حدث فى استنساخ النعج «دوللى» وأنتجت التجارب الفاشلة أعدادا م الإنسان المشوه الممسوخ فكيف يتصرف العلماء م هذه الأعداد؟ أيقتلونها ليتخلصوا من عار فشله فيكونون قتلة أنفس بغير حق ويكون جزاؤه القصاص منهم؟ أم يقطعون أعضاءهم ويبيعونها لماف الأعضاء فتكون الجريمة أنكى وأشد؟ أم ينشئون له حديقة كحدائق الحيوان ليشاهد الناس ما أنتجه العب من مآس وأحزان؟!.

حكم الدين فى الاستنساخ البشرى.

ذكرنا أن الإسلام لايعارض العلم النافع بل يشجع ويحث عليه ويكرم أهله، أما العلم الضار الذى لانف فيه أو الذى يغلب ضرره على نفعه فإن الإسلام يحرم ليحمى البشر من أضراره، والقاعدة الفقهية ف الإسلام أن (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة)..

وبناء على هذا فإنه يجب التفريق بين استخد الهندسة الوراثية فى النبات والحيوان لإنتاج سلالا قوية ونافعة، وكذلك فى علاج الأمراض ومحاص توارث المرض والارتقاء بالطب ومعالجة الإنسان، ف ذلك نافع ومفيد طالما ليس فيه مخالفة للمنهج الذ اختاره الله للخلق، ولا مانع من مزاولته بإجرا التجارب فيه للوصول إلى نتائج إيجابية نافعة.

أما استنساخ الإنسان الذى تحيط به المخاطر م كل جانب ـ فإنه يعرض الإنسان ـ الذى كرمه الله ـ لأ يكون مجالا للعبث والتجربة وإيجاد أشكال مشو وممسوخة، فذلك حرام ويجب التصدى له ومنعه بكل الوسائل

الدعـوة والدعـاة

- الدعـوة بين فـورة الشـبـاب وحكمـة الشـيـوخ
- مـكـانـة الشـهـداء عـنـد الـلـه
- دور المسجد فى بنـاء الأمـة
- الـديـن منـهـج والتـزام
- التـحـدى السيـاسى فى العـالم الإسـلامى

الدعـــوة

بين فورة الشباب وحكمة الشيوخ

د. محمود محمد عمار

شكا بعض أهل الأنصار والياً إلى المأمون.. فكذّبهم وقال: قد صح عندى عدله فيكم وإحسانه إليكم. فاستحيوا أن يردوا عليه، فقام شيخ منهم وقال:

يا أمير المؤمنين: قد عدل فينا خمسة أعوام فاجعله فى مصر غير مصرنا حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن!

فضحك المأمون واستحيا منهم. ثم صرف الوالى عنهم.

من أسباب سعادة الأمة أن يكون فيها دعا... ينصحون.. ثم حكام يحبون الناصحين..

فإذا استجمعت الأمة هذين العنصرين فقد... استجمعت فى نفس الوقت عناصر قوتها وازدهارها... ثم استمرارها..

فإذا وُجد الداعية الواعى الذى يرسل موعظته م... عمق التعْرف ثم إلى حسن التصرف التعرف عل... اتجاهات المدعو وظروفه ووضعه فى الأمة ثم حس... التعامل معه على أساس من هذه المعرفة إذا وجد هذ... الداعية.. فإن نعمة الله تتم كمالاً وجمالاً بهذا الحاك... الذى يفتح صدره للنقد بل قد يجعل من النقد الهادف... هدية من قبل داعية ينقذه بالنقد من ألسنة أعدائ... بقدر ما يتصدى للمديح والإطراء وما يصنعه م... غشاوات تحجب العيون فلا ترى الحق..

وذلك هو الحاكم الذى ارتضع من الإيمان لب... خالصا: فعرف قدر نفسه.

ولم يفتنه المنصب ولم يستخفه المديح.

ومثاله: عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

فقد دخل عليه «جرير» بقصيدة يهنئه فيه... بالخلافة قال له: اتق الله يا جرير. ولاتقل إلا حقا...

حرية الفكر يجب أن تكون فى إطار الحق والعدل والموضوعية

سألوه هل يرضيك أنك سالم

ولك النبى فدى من الإتلاف

فأجاب كلا لا سلمت من الردى

ويصاب أنف محمد برعاف

فالإنسان لا يجبر على عقيدة معينة: «**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.. لست عليهم بمسيطر.. لا إكراه فى الدين**».

حرية الفكر

كما شرع الإسلام حرية الفكر لأن الإنسان من حقه أن يعبر عن رأيه وأن يكتب ما يريد مادام مقتنعا به، فليس من حق أحد أن يكمم الأفواه، أو يمنع الناس من الكلام، فحرية الكلام مكفولة لكل إنسان، ويجب أن يعلم المتكلم أنه مسؤول عما يقوله، ومن حق الغير أن يكتب وأن يرد وعلى أنا أن أرد عليه بالحوار البناء الذى يجرى بدون تطاول من جانب إلى الآخر، فالمناقشة الهادفة والحوار البناء سمة من سمات المؤمنين، وقد فتح الله عز وجل بابه لإبليس، ولنقرأ سورة الأعراف وص، والحجر نجد محاورة ـ إذ يأمر الله عز وجل إبليس إلى السجود لآدم، فيقول إبليس «**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**».

فحرية الفكر يجب أن تكون فى إطار الحق والعدل والأدب والموضوعية، وعندما نجد أن الحوار انقلب إلى المهاترات والكذب بعيدا عن الصدق فهو لا يرتقى إلى حرية الفكر، بل يعتبر حرية خارجة عن الأدب.

ولكن عندما نجد إنسانا يريد مصادرة حرية الآخرين فيتكلم ويريد ألا يتكلم الآخرون، ونسى أن حرية التعبير حق للجميع.

نحن فى مجمع البحوث لا نصادر كتبا وإنما هو اختصاص الهيئات القضائية، وكل مافى الأمر ان بعض الكتب تأتى إلى مجمع البحوث الإسلامية من جهات رسمية تطلب رأى المجمع الذى يخرج فى اطار الشرعية، وهذا ما يقوم به علماء المجمع إذ يعدون التقارير حول ما يرد إليهم من كتب ومطبوعات، ثم ترفع إلى الجهة التى أرسلت هذه المطبوعات وهى مخيرة فى المصادرة. ونحن نحترم أحكام القضاء.

وإن لكل إنسان اجتهاده ولكل إنسان أن يقول رأيه والكلمة الفاصلة تكون للهيئات المختصة.

حق المساواة

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن حق المساواة فى القيمة الإنسانية من أهم الحقوق التى أرستها شريعة الإسلام. يقول الحق تبارك وتعالى: «**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**». فالتفاضل يكون بالإيمان والعمل الصالح.

فالمساواة حق جعلته شريعة الإسلام للإنسان ونحن نقرأ القرآن الكريم نرى أن شريعة الإسلام أعطت كل ذى حق حقه حتى ولو كان هذا الشخص غير مسلم. ففى الآيات الكريمة فى سورة النساء ذكر المفسرون سبب نزولها أن رجلا من الذين يظهرون الإسلام سرق درعا من رجل مؤمن ووضعه عند رجل يهودى، المسلم أخذ يبحث عن الدرع ووجده عند اليهودى، قال له هذه درعى هل أنت سرقتها؟ قال لا. أنا لم أسرقها بل أحضرها لى فلان وأنا لا علم لى بها. هذا الرجل ذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال يا رسول الله: سرقت درعى ووجدتها عند زيد بن الثمين اليهودى، الرسول أحضر اليهودى، سأله هل

الأزهر لا يصادر فكرا أو رأيا وأى انحراف الحكم عليه من اختصاص القضاء

فلا يصح أن يصادر المال بأية وسيلة من الوسائل فلا يصح للحاكم ذلك، وإنما يحال الأمر إلى الهيئات القضائية التى تدرس وتحقق وتدقق لتتخذ القرار المناسب. لأن شريعة الإسلام التى أقرت حق التملك للإنسان حافظت على الأموال.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأموال المصادرة لا تضيع بالتقادم ـ بمرور الوقت ـ لأن الباطل مهما طال أمده فلا يثبت، وما بنى على الباطل فهو باطل. وقد أشرت إلى ذلك فى مقال نشر لى فى جريدة الوفد وقد كنت مفتيا للجمهورية. فالأحكام الشرعية لا يمكن إنكارها.

الحرية حق مقدس

وانتقل حديث فضيلة الإمام الأكبر إلى حق الحرية ووصفه بأنه حق مقدس وأكد أن الإنسان من حقه أن يعيش حرا كريما لا يقبل الذل ولا الهوان ولا العدوان **«ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير حق»**.

فمن حق الإنسان أن يعيش حرا لا يطأطئ رأسه إلا لخالقه عز وجل، لأن الله هو المعطى والمانح، **«ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم»**.

لقد عودنا الله سبحانه وتعالى بأنه إذا ما استقام الإنسان على أمره وراقب الله عز وجل وأدى ما يجب عليه لن يضيعه الله وإن ضيعه الناس **«ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا»**.

إن الحرية الدينية والفكرية صانها الإسلام للإنسان ويكفى قول الحق تبارك وتعالى: «لا إكراه فى الدين»، فالعقائد لا تباع ولا تشترى، والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين، وإنما يأتى بأناس منافقين فالعقائد تسرى فى دماء الإنسان ومشاعره ووجدانه وكل كيانه، فكل شىء يهون فى سبيل العقيدة.

ونحن نقرأ القرآن الكريم وسيرة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نتعرف على نماذج لأناس ضحوا بكل شىء فى سبيل العقيدة، وإعلاء كلمة الحق وإحقاق الحق وإخفاق الباطل.

سيدنا زيد بن الدسنة ـ رضى الله عنه ـ أسر فى أعقاب غزوة بدر أراد أحد المشركين أن يقتله لأن أحد أبنائه قتل فى هذه الغزوة وفى اليوم المحدد لقتل سيدنا زيد جاءه أبو سفيان وكان مازال على دين قومه وقال له يازيد: أنت بعد قليل ستقتل، وأنا أريد منك كلمة فقط ـ أتحب أن يؤتى بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقتل مكانك؟ ـ ووقتها كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة المنورة، وعملية قتل سيدنا زيد فى مكة وقيل له نريد منك كلمة تقول فيها: أنه لا مانع لدى أن يؤتى بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقتل بدلى (هذا ما معناه). وإذا به يقول: والله لا أرضى أن أكون بين أهلى سالما ويصاب أنف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ برعافة.

ويتلقف أحد الشعراء هذه الكلمة ويقول شعرا رقيقا:

أسرت قريش مسلما فى غزوة

فمضى بلا وجل إلى السياف

الإسلام صان الحرية الدينية والفكرية وحرّم الإكراه على العقائد

إذاً حق التملك من حقوق الإنسان لكن شريعة الإسلام هذبت هذا الحق، وفصلته، وأحكمته، وبينت متى يكون التملك حراماً ومتى يكون حلالا وحضت على التملك عن طريق ما أحله الله. نعم المال الصالح للرجل الصالح. وإننا نتمنى أن تملك أمتنا الإسلامية الكثير من خيرات الله عز وجل، وأن تكون يدها هي العليا، وأن تمتلك كل الوسائل التى أحلها الله، والتى من شأنها أن ترقى بها فى صناعاتها وتجاراتها وزراعاتها وفى كل شأن من شئون حياتها.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - فى حديثه الشريف قسم الناس فى الحياة إلى أربعة أقسام يقول فى حديثه الشريف: «**إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم أن لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير حق لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم أن لله فيه حقا فهذا بأتعس أو بأقبح المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو طيب النية فيقول لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، - أما القسم الرابع - وعبد لم يرزقه الله لا مالا ولا علما فهو سيىء النية يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان - أى المفسد - المبذر الذى لم يستعمل نعم الله فيما خلقت له**».

تلك هى أقسام الناس الأربعة التى بينها لنا سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قسمان فائزان وقسمان خائبان، الفائزان أولهما إنسان رزقه الله العلم والمال، والقسم الثانى رجل رزقه الله العلم ولم يرزقه المال لكنه عنده العفاف والشرف والتطلع إلى رضا الله، أما القسمان الخائبان إنسان رزقه الله المال ولم يرزقه العلم مثل قارون الذى قال إنما أوتيته على علم عندى - سيدنا سليمان ممن رزقه الله العلم والمال: «**قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب**» إلى آخر الآيات الكريمة.

إذا حق التملك شرعته شريعة الإسلام للإنسان، ليتملك ما يشاء وليبحث عن المال بالطرق المشروعة التى أحلها الله سبحانه وتعالى بكل الوسائل، وهذا بشرطين أولهما أن تجمع المال من حلال، والثانى أن تؤدى حق الله فى هذا المال. وهنا ينطبق قول النبى - صلى الله عليه وسلم - «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**».

لقد تكرر الحديث عن اليتامى فى الربع الأول من سورة النساء خمس مرات فى آيات شبه متوالية «**وآتوا اليتامى أموالهم.. وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى.. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**»..

ومن بين حديث القرآن عن صيانة المال وحب التملك «**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما**».

الحكمة من حق التملك

إن السؤال لون من الذل ولون من الهوان وإذا ما سأل الإنسان غيره فإن هذا السؤال قد يؤدى به إلى أمور لا تليق بكرامة الإنسان لذلك شرع الإسلام التملك وأصبح من حق كل إنسان أن يتملك، وجاءت أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأيدته، ولصيانة هذا المال الذى هو حق من حقوق الإنسان حرمت شريعة الإسلام تحريما قاطعا مصادرة الأموال من أصحابها إلا عن طريق الهيئات القضائية المختصة.

أمتنا الإسلامية تمتلك كافة الخيرات والوسائل التى تجعلها فى مقدمة الأمم

والأنساب: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم».

ونجد صيانة الأعراض بين الزوجين، وصيانة الأعراض فيما يتعلق بالكلمة وبغير ذلك من مظاهر صيانة الأعراض.

المال والبنون

صانت شريعة الإسلام مال الإنسان. يقول الحق تبارك وتعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا». هذا المال الذى يجمعه الإنسان بالطريقة التى شرعها الله سبحانه وتعالى، صانته شريعة الإسلام وأمرت صاحبه الذى جمعه بعرقه وجهده وبالطريقة التى أحلها الله أن يدافع عن ماله.

يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - «من قتل دون ماله فهو شهيد». وعندما جاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال له: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ فقال له لا تعطه مالك فقال الرجل أرأيت يا رسول الله إن قاتلنى قال قاتله، فقال الرجل أرأيت يا رسول الله إن قتلنى؟ قال: فأنت شهيد، فقال الرجل أرأيت يا رسول الله إن قتلته قال: هو فى النار».

إن شريعة الإسلام صانت مال الإنسان وعرضه وجسده، وأيضا عقل الإنسان فحرمت المسكرات والمخدرات والأطعمة والأشربة التى تضر بصحة الإنسان من أجل المحافظة عليه فهو خليفة الله سبحانه وتعالى فى أرضه.

العقوبات حماية للإنسان

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الله شرع العقوبات لحماية الإنسان فيقول: «ولكم فى القصاص حياة» هذه العقوبات لم تشرع عبثا وإنما لحماية بدن الإنسان وعرضه يقول الحق تبارك وتعالى: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين».

ويقول الحق تبارك وتعالى: «أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

هذه العقوبات شرعها الله لحماية الناس جميعا ولصيانة الكرامة الإنسانية ومن أجل المحافظة على عرض الإنسان وماله وأمنه وصحته وعقله ومن أجل أن تنتشر الفضائل، ومن أجل أن تزول الرذائل.

فطرة الإنسان وحق التملك

ومن الحقوق التى جاءت بها شريعة الإسلام للإنسان الذى كرمه الله سبحانه وتعالى تكريما عظيما: «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا».

حق التملك لأن حب التملك موجود لدى الإنسان بالفطرة، منذ ولادته فنجد الطفل يمد يده نحو الأشياء التى يراها، وكلما اشتد به السن كلما اشتد طلبه لحاجياته، وقد بين القرآن الكريم أن هذه حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها: «وإنه لحب الخير لشديد»، فهذه طبيعة الإنسان فهو يحب المال، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون له ثالث ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

شريعة الإسلام حرمت مصادرة الأموال وجعلته من اختصاص القضاء

الخلافة والأمانة

إن الإنسان هو خليفة الله عز وجل فى أرضه: «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة».

فيبين لنا القرآن الكريم أن هذا الكون الذى أوجده الله سبحانه وتعالى قد سخر الكثير منه لخدمة الإنسان ويبين لنا القرآن الكريم ذلك فى سورة إبراهيم فى قوله عز وجل: «الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين. وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. إن الإنسان لظلوم كفار».

الإسلام حرم الغيبة والنميمة ورمى المحصنات

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى استعد للرسالة العظمى: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان».

ويرى المحققون من المفكرين أن المقصود بالأمانة هنا التكاليف الشرعية التى كلف الله سبحانه وتعالى بها عباده.

والقرآن الكريم ينادى الإنسان بهذا اللفظ: «يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم».

«يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه»، هذا الإنسان الذى كرمه الله سبحانه وتعالى تكريما عظيما وحمله الأمانة، وهذا الإنسان الذى رضى طائعا مختارا أن يحمل الأمانة جعلت له شريعة الإسلام حقوقا متعددة، كما جعلت عليه أيضا واجبات متعددة، لأن كل حق لابد أن يقابله واجب.

الكرامة الإنسانية

فعلى رأس حقوق الإنسان فى الإسلام احترام كرامته الإنسانية.

صانت شريعة الإسلام نفس الإنسان وعرضه وعقله ونسبه وعقيدته وكل ما يتعلق به وصانت ذاته، وقد بين لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لا يصح للمسلم أن يشير بالسلاح إلى أخيه المسلم.

فشريعة الإسلام لم تحرم القتل فقط، وإنما نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل واحد منا أن يشير إلى أخيه بالسلاح ولو على سبيل الممازحة.

يقول صلوات الله وسلامه عليه: «لا تشر على أخيك بالسلاح فإن الشيطان على رأس هذا السلاح».

حماية الإسلام للأعراض والأنساب

إن صيانة الإسلام للإنسان لا يوجد لها مثيل فيبين لنا القرآن الكريم أن جسد الإنسان نعمة من الله ويجب أن نحافظ عليه، يقول الحق تبارك وتعالى: «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم». ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله».

لقد صان الإسلام عرض الإنسان فحرم الغيبة والنميمة والكذب وكل قول يؤذى الإنسان، نجد آيات كريمة فى سورة النور تتحدث عن حماية الأعراض

الإمام الأكبر شيخ الأزهر:

فى أولى محاضرات الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

شريعة الإسلام صانت حقوق الإنسان وجعلت العقوبات لنشر العدل والفضائل

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن الإسلام كرم الإنسان تكريما عظيما. وكلفه بحمل الأمانة ليكون خليفة الله فى أرضه، وتحدث فضيلته فى أولى محاضرات الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية حول حقوق الإنسان فى الإسلام.. وقال: إن شريعة الإسلام صانت حقوق الإنسان فى النفس والدين والعرض والمال والعقل وأوضح أن العقوبات فى الإسلام جاءت لحماية الإنسان ونشر الفضائل ومن أجل أن تزول الرذائل.

شهد الندوة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والدكتور محمد عبدالغنى شامة الأستاذ بجامعة الأزهر والدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق ورئيس مجلس إدارة مسجد النور والسادة وكلاء وزارة الأوقاف.

فى البداية أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن هذه اللقاءات التى استنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية هى لقاءات طيبة مباركة لأنها تعقد من أجل خدمة الإسلام وإعلاء كلمة الله، ومن أجل نصرة الحق وإعلاء الفضائل، من أجل التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. لذا نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه، «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه».

حديث القرآن عن الإنسان

وعندما رجعت إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وجدت أن لفظ الإنسان قد تكرر فى القرآن الكريم فى خمسة وستين موضعاً، وتحدث القرآن الكريم عن الإنسان حديثاً مستفيضاً.

لقد كرم الإسلام الإنسان فى أول ما نزل من القرآن الكريم على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله تعالى: «**اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم**».

ويبين لنا القرآن الكريم أن علاقة الإنسان بربه هى علاقة لا وساطة فيها، وإنما يرفع الإنسان أكف الضراعة لله عز وجل، ويلتمس الرحمة والمغفرة والخير والبر، يقول الحق تبارك وتعالى: «**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**».

تقـديم

للأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق

آيات

القرآن الكريم كلها إما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنســان، والإنســان هو هذا الكائن الذى أهبطه الله إلى الأرض ليعمرها فكان خليفة لله فى الأرض، أعطاه الكرامة وميزه بحقوق ، سواء كان هذا الحق يتصل بالحرية وما يتفرع عنها ، أو المساواة أو حق التملك أو صيانة العرض والكرامة وكل هذه الأمور التى ميز الله سبحانه وتعالى بها الإنسان والتى اشتملت عليها شريعة الإسلام التى كانت ومازال تقصد إلى خمسة أمور حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العرض، وحفظ المال، وحفظ العقل.

ونحن عندما نتحدث عن حقوق الإنسان فى الإسلام، نطرح سؤالاً: هل فى الدنيا كلها حقوق وصلت بالإنسان لهذا المستوى؟

إن الأمر هو أمر اقتناع، وحسن عرض فلدينا فى الإسلام كنوز غالية هى فى حاجة إلى من يحسن عرضها. يعرضها لنا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر:

ندوة الشهر

حقوق الإنسان فى الإسلام

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور

محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

عقدت هذه الندوة بمسجد النور بالعباسية يوم الأربعاء السادس من جمادى الآخرة ١٤١٨هـ ـ العاشر من أكتوبر ١٩٩٧م فى إطار محاضرات الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تابع الندوة : منير بيومى

وللأستاذ مالك سبق ظافر فى تأصيل هذه الحقيقة وتأكيدها، فحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة لا تدل على اطلاع وثقافة تمهدان لما فى الكتاب الكريم من أحكام، بل إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - شخصيا قد فوجئ بأول آية نزلت من الكتاب حين سمع من جبريل قول الله تعالى: «**اقرأ**» واعتراه ما اعتراه من الخوف والوجل حتى ذهب إلى زوجته فحاولت أن تطمئنه بما يزيل تخوفه.

وعلو القرآن ينم عن نسبته السامية إلى من هو أرقى من البشر، ووظيفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينئذ هى وظيفة المتلقى عن الوسيط، وفيما تلقاه من آيات الكتاب ما ينبئ عن ذلك مثل: «**إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**».(٢) «**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**»(٣).

«**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**»(٤).

«**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**»(٥) وهى نصوص لا يعقل أن ينطق بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أغفل الأستاذ نصوصا أخرى ذات أهمية فى هذا المجال هى نصوص الاعتراض المهدد، كقول الله تعالى: «**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**»(٦). ومثل: «**وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى، كلا إنها تذكرة**»(٧).

كما اتجه المؤلف إلى إيضاح الفرق الأسلوبى بين تعبير القرآن وتعبير الرسول فى أحاديثه، وهو ما ينقطع معه كل خلاف وإلى هنا يكون الأستاذ قد كسب القضية التى يترافع فيها، ولكنه استرسل فى بيان ما جاء به القرآن من معارف غريبة عن المجتمع الجاهلى، وما أتى به من صور لا يمكن أن تأتى على ذهن بشر فى عصر الجاهلية قبل أن تنكشف المعارف الحديثة، ومن هذه الصور قول الله عز وجل: «**أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج. من فوقه سحاب. ظلمات بعضها فوق بعض. إذا أخرج يده لم يكد يراها. ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور**»(٨).

فتراكب الأمواج فى المحيطات الزاخرة، والبحار الهادرة، ووجود الظلمات المتكاثفة فى هذا التراكم مما لا يخطر على بال إنسان نشأ فى مكة وأقام بالمدينة غير عارف ما يكنه المحيط الزاخر من أهوال، وقد بلغ الأستاذ مرتبة الإبداع حين قارن بين قصة يوسف عليه السلام فى الكتاب المقدس، وقصته فى القرآن الكريم منتهيا إلى أن القصة القرآنية منزلة فى رحاب دينى شامل وشخصياتها لا تتجه إلى الأغراض المادية قدر ما تتجه إلى المعانى الروحية التى أغفلها الكتاب المقدس، وقد أطلت بعض الشىء فى الحديث عن كتاب «الظاهرة القرآنية» لأنه كان أول كتاب لفت قراء العربية إلى آثار هذا المفكر الكبير، ثم تتابعت بعده سلسلة بحوثه الناضجات.

الهوامش

١ - «الظاهرة القرآنية» ص ٧٩.

٢ - سورة المزمل : آية ٤.

٣ - سورة القصص: آية ٨٦.

٤ - سورة طه : آية ١١٤.

٥ - سورة العنكبوت: آية ٤٨.

٦ - سورة الإسراء: آية ٧٤ - ٧٥.

٧ - سورة عبس : آيات ٨ و٩ و١٠ و١١.

٨ - سورة النور : آية ٤٠.

ن الانقطاع عن الثقافة العربية أدى إلى الالتحام
الغرب لتلمس المصادر عن المستشرقين، وهذا كلام
مفهوم لدى من تثقفوا بثقافة الغرب ولم يقرأوا التراث
الإسلامى، أما أبناء الثقافة الإسلامية من تلاميذ
الأزهر والقرويين والزيتونة والنجف الأشرف ومن حذا
حذوهم من عشاق التراث الإسلامى فلم تنقطع ثقافتهم
عن التراث، بل كانوا حفظته ومنهم من واجه افتراءات
الغرب بسلاح لا يفل، والأستاذ مالك صادق النظرة
حين قرر أن الاستشراق يقدم محاولات غير بريئة إذ
ينكر الشعر الجاهلى كما فعل مرجليوت وتابعه
الدكتور طه حسين فى وهمه، لأن إنكار الشعر
الجاهلى يستدعى إنكار الإعجاز القرآنى لقيام الموازنة
بينه وبين أسلوب الجاهلين، وإيضاح الفرق الشاسع
بين اتجاه واتجاه، والمؤلف يرى أن عهد العكوف على
خصائص البيان القرآنى المتداولة فى شرح وجوه
الإعجاز - كما ارتآها السابقون، وأظهرهم عبدالقاهر
الجرجانى فى دلائل الإعجاز - يرى أن هذا النمط من
التفكير قد انتهى وقته، وآن أن يحل محله تفكير آخر
فى مناحى الإعجاز، تفكير يتجه إلى انجذاب العقل
المسلم المعاصر إليه مستثمرا علوم الزمن المستحدثة
كعلوم الاجتماع والنفس، ومن هنا كان منهج التحليل
النفسى والاجتماعى هو المنهج الوحيد الكفيل بإيضاح
الإعجاز للفكر المعاصر، وأرى أن منهج التحليل
النفسى والاجتماعى قوى أكبر القوة، فى إيضاح دلائل
الإعجاز، ولكنه لن يكون المنهج الوحيد، فمن الواجب
أن يضم إلى مناهج أخرى رآها الدارسون، ومن بينها
ما اتجه إليه بعض المفسرين من شرح مناحى الإعجاز
النفسى والاجتماعى قبل أن يؤلف الأستاذ كتابه،
والفرق بينهم وبينه أنهم جعلوا هذا الإعجاز بعض
الأدلة الهامة على أصالة القرآن وتنزُّله من لدن حكيم
عليم، أما الأستاذ مالك فقد جعل هذا المنحى وحده
دليل الإعجاز! وقد قال : إن هذا الاتجاه يقتضى أن
نعدل عن منهج التفسير القرآنى المتداول فى كتب
التراث لأنها فى أكثرها لا تخدم الوجه الذى ارتضاه،
وقد رد الأستاذ محمود شاكر فى مقدمة الكتاب على
هذا الاتجاه، مؤكدا أن الإعجاز لا صلة له بكتب
التفسير لأنها ليست معجزة ولكنها شارحة فحسب،
كما أن هذه التفاسير لا تمانع فى استخدام كل جديد
يشرح بعض القضايا القرآنية، كما اتجهت إلى التفسير
العلمى المؤكد فى إيضاح بعض الآيات الكونية، وهذا
من المسلمات.

أما «الظاهرة القرآنية» كما عناها الأستاذ، فتتجه أولا إلى تقرير المبدأ (الغيبى) الذى يتضاد مع المذهب المادى، وهو اتجاه دعمه الأستاذ بأقوى الأسانيد، لأن التيار المادى الذى ينكر عالم الغيب لم يقم على أساس علمى، ولكنه اعتمد على افتراضات تفتقر إلى الدليل التجريبى الملموس، أما المذهب الغيبى فإنه يفترض مبدأ متميزا عن المادة يتمثل فى التسليم بوجود إله يكون سببا أول يصدر عنه كل موجود، وقد فشل المذهب المادى فى بناء تفسير مقنع للظواهر المختلفة، على حين يسعفنا المذهب الغيبى فى بناء نسق متكامل ينظم الموجودات والظواهر فى كيان منطقى يمتد بها إلى موجدها المتعالى، مركز الكمال والمطلق. (١)

وإذا آمن الإنسان بالغيب فإنه مؤمن بالتوحيد لا محالة، لأن التوحيد يقتضى وجود إله واحد، ينظم الكون ويرعاه بعد أن برأه وسواه، هذا الإله قد أرسل الأنبياء وهم بشر منفصلون عن حقيقته كل الانفصال، ومعهم أدلة رسالتهم، والقرآن الكريم أقوى أدلة الرسالة المحمدية، فهو متصل بالله وحده، ومنفصل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أتم الانفصال، فليس لأحد من المستشرقين أن يقول: إنه حديث مفترى كما كان أعداء الدعوة فى مطلعها الأول يقولون.

من أبناء وطنه، وأن يرى مكائد الاستعمار فى إصدار القوانين المتعسفة خاصة بالجزائريين وحدهم دون الفرنسيين، وأكبر حظ ناله فى هذه الحقبة هو اتصاله بجماعة العلماء الجزائريين الذين ألهبوا المشاعر الوطنية بغضا للاحتلال، وتمسكا بشريعة الإسلام ولغته، ودعوا إلى حفظ كتاب الله ليكون سدا منيعا أمام التغريب الفرنسى، هذا الاتصال المباشر بالجماعة جعله يرتشف من ينابيع الثقافة الإسلامية، ويقول مؤرخوه: إنه لم يحاول التلمذة على رئيس الجماعة الشيخ عبدالحميد بن باديس، بل آثر الاتصال بتلاميذه وحوارييه، ثم بدا له بعد أن تضلع بالثقافة الإسلامية على وجهها الصحيح أن يرحل ثانية إلى فرنسا ليلتحق بالمعهد الخاص بالدراسات الشرقية، ولكن القوم هناك كانوا لا يلحقون طالبا جزائريا بالمعهد إلا بعد ان يستوثقوا من اتجاهه الفكرى، وقد بحثوا عن مالك فوجدوه ذا ميول إسلامية، ثم هو أحد تلاميذ جماعة العلماء الجزائريين، بل صدر عنه من المقالات ما ينبئ عن استقلاله الجاد عن كل فكر فرنسى، فرفضوا التحاقه بالمعهد، ولكن الباحث الجاد لم ير أن يحرم من الثقافة العملية فالتحق بمدرسة اللاسلكى، وخرج منها مهندسا كهربائيا، وكانت إرادة الله فى ذلك واضحة، حيث ألمّ بمعجزات العلم الحديث فى الطبيعة والكيمياء، وعرف اتجاهات الثقافة الفرنسية التى تحرص على النبوغ العلمى فى مواده الأصيلة، كما تحرص على النبوغ الأدبى فى فنونه المتشعبة، وهداه اتجاهه الإسلامى إلى أن يتصل بأفذاذ المبعوثين من البلاد الإسلامية إلى باريس ليجد عندهم من أنواع الثقافة الإسلامية ما يرضيه، وفى طليعة هؤلاء الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر فيما بعد، وصاحب الدراسات العلمية الرصينة الكاشفة لبوارق الزيف العلمى فى مسائل علم الاجتماع والتربية التى تبعد فى كثير منها

عن منهج القرآن، وقد تشرب الأستاذ مالك بن نب
روح الدكتور دراز فعكف على كتب الإسلام دارسا ف
مغتربه، وهداه زميل جزائرى هو الأستاذ محمد ب
الساعى إلى فكر أبى حامد الغزالى فاستوعبه وكا
ذلك مددا روحيا وعقليا لمثله، فأخذ يفكر فى المصد
الأساسى للإسلام وهو القرآن الكريم تفكيرا مستق
عن المنحى التقليدى الذى ينتحيه من كتبوا عن إعجا
البيانى فى كتب التراث، إذ كانت عقليته الهندس
ذات تحديد وتركيز، فهدف إلى الأصول الأولى
المنهج القرآنى محاولا أن يبحث عن سر إعجازه بح
معاصرا، لم يتجه إليه كاتب من قبل، وهنا فتح ال
عليه بكتاب (الظاهرة القرآنية) كتبه باللغة الفرنس
وأشرف الأستاذ الدكتور دراز على فصوله، إشرا
الصديق المسامر، لا إشراف الأستاذ الموجه، وكتب
بالفرنسية مقدمة ضافية تحدث عنها الأستاذ مالك
كتابه (مذكرات شاهد قرن) بارتياح، ومالك به
الكتاب قد عرف رسالته الأصيلة فى الحياة، وعلم
الأقدار قد هيأته للدفاع عن مُثل الإسلام وتعاليم
دفاعا مخلصا يؤيده العقل البصير، لا الهياج العاط
الذى يسترسل فى الأدلة الخطابية ليسر قراء المسلم
فقط، لا ليرضى كل قارئ من أى دين، وقد توال
بعد كتاب «الظاهرة القرآنية» كتب مالك التوجيه
ذات الإشعاع الأخاذ، لأنه صدر عن ينبوع ثر دافق
يغيض معينه، ورأى نفسه كالبحر الزاخر يجي
بالموج، ويضم فى أعماقه كنوز اللآلئ ونفائس الدر
فكانت نفسه مصدرا أول لهذا النتاج الحفيل.

وأعترف قبل الحديث عن هذا الكتاب الق
(الظاهرة القرآنية) أنى عانيت بعض الصعوبات
تحصيله، والوقوف على دقائقه، لأن الكتاب شد
الإيجاز، ولو وُجد فى عصر (المتون) لرأى من شر
الحواشى من كتب عليه عدة شروح ـ كما كتب
متن التلخيص للقزوينى ـ وقد قال فى أسباب تأليف

الغادر، فقد ضبطت حكومة الجزائر العربية جماعة من الشباب يعملون لحساب إسرائيل ويسمون أنفسهم جماعة (يهوه) وانتقل إلى مآسى العالم الإسلامى فى هذا القرن الحزين، فقال فى نبرة آسية بعد أن ألم ببعض هذه المآسى: «كان للإسلام ثلاثة مراكز إشعاعية قوية، تتمثل فى الهند وتركيا والقاهرة، وقد ضاع على التوالى مركزان منها - فى تركيا والهند - فى مدى نصف قرن، وبقيت القاهرة، وأرى أن قوى العدوان تتربص بمركزها الثالث، ولا تفتأ تحاربه محاولة أن تهزه بما تثير من العواصف» ثم غادر المنبر بعد هذه الإشارة المؤلمة، فترك فى النفوس صدى متقد اللهيب.

دوى حديث الأستاذ بنفسى أكبر دوى، فتذكرت حديثا له شبيها به منذ عامين، حين جاء إلى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٩٦٨م، وكانت مأساة الهزيمة الفادحة فى ١٩٦٧، لاتزال ترين على النفوس بسوادها الحالك، فاستمع الأستاذ إلى كل ما قيل، ثم جاء دور التعقيب فنهض ليقول: ليست مشكلة فلسطين وحدها هى المأساة، إذ أنه فى كل شبر من أرض الإسلام مكايد تدبر، ومؤامرات تحاك، ومشكلة فلسطين ليست سوى فصل من هذه المأساة، وهى - على هولها الفادح - يجب ألا تنسينا غيرها من المآسى، وذلك يحتم عقد مؤتمرات متوالية كهذا المؤتمر تبحث فى مآسى الأقليات المسلمة فى الشرق والغرب ودراسة أوضاع المسلمين دراسة جامعة، وقد تقدمت ماليزيا باقتراح خاص بإنشاء (اتحاد إسلامى) فأشاد الأستاذ مالك بالاقتراح وقال: إنه يقضى على (القومية) التى تنحصر فى نطاقها، والتى بعثت التخاذل بين أعضاء الجسد الواحد، هذا بعض ما عقب به الأستاذ، وهو واضح الدلالة على تفكيره الشامل المستنير.

هذا الفكر الساطع المتوهج، أوجدته فى نفس الأستاذ عوامل من طبيعته الذاتية، ومن نشأته التعليمية، فقد خلق ذا مزاج حاد ينفعل بأقل المؤثرات، ويخضع لسيطرة عقل لاقط متوثب، يهيم بالدرس ويرى الوجود الإنسانى لغزا يجب أن يكون مفتاحه فى يده، أما نشأته الاجتماعية والتعليمية، فقد رأى الوجود حين ولد بقسطينة سنة ١٩٠٥م بالجزائر، ثم أتيح له أن يلتحق بتيارين مختلفين فى تعليمه الأول، إذ كان المعهود لدى التلاميذ الجزائريين حينئذ أن يلتحق الواحد منهم إما بالمدارس القرآنية أو بالتعليم المدنى، ولكن الناشئ التحق بالمدرستين معا، التحق صباحا بالمدرسة الفرنسية فحذق لغة المستعمر، وألم على صغره ببعض ما يراه ضارا بوطنه ودينه ولغته، والتحق مساء بالمدرسة القرآنية ودرس الإسلام فى آثاره الأولى من قرآن وحديث وتاريخ إسلامى، ولم يتمكن من التضلع فى اللغة العربية، إذ كان اتجاهه الفطرى إلى استيعاب المعانى أولا صارفا له عن إجادة الأسلوب البيانى، وكان أستاذه بالمدرسة الفرنسية «مارتن» يراه ذا استعداد فاهتم به ليكون فى رأيه مخلصا للتيار الاستعمارى ولم يصح رأيه فيه، كما صح رأى أستاذه بالمدرسة القرآنية - الشيخ عبدالمجيد - حيث غرس فى نفسه حب الوطن والدين، وكراهة الاستعمار والمحتلين، وقد رأى أفواج المتخرجين من المدرسة الفرنسية ينزحون إلى باريس وسائر المدن الفرنسية بتشجيع المحتل، ليهيموا شغفا بالتمدن الأوروبى، وليرجعوا دعاة للاستعمار، فنزح مالك بن نبى سنة ١٩٢٥ إلى مرسيليا وليون وباريس باحثا عن عمل يرتزق به، ولكن طبيعته الفكرية نأت عن الارتزاق اليدوى كآلة فى مصنع، وعاد ثانية بعد عامين ليعين مساعدا لكاتب فى أحد المكاتب، وهى وظيفة إن كانت ضئيلة الراتب والمنزلة فقد كانت كبيرة التأثير حيث أتاحت له أن يلتحم بطوائف المقهورين

مالك بن نبى المفكر الجزائرى

الدكتور محمد رجب البيومى

كنا فى أواخر الخمسينيات وما بعدها نسمع عن مفكر جزائرى ذى قدرة على التحليل العلمى، والنظر الموضوعى لكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية والمجتمع العربى والثقافة الإسلامية، وأن الكثيرين من أعلام الفكر فى مصر مثل الأستاذ محمود محمد شاكر، والأستاذ عبدالمنعم خلاف، والأستاذ محمد سعيد العريان، يباركون إنتاجه، ويعملون على ترجمة آثاره إلى العربية من الفرنسية، ويساهمون فى طبعها وتوزيعها.

وأنا أعلم أن هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم، لا ينخدعون فى أحد، ولهم حمية دافقة نحو الإسلام وتعاليمه، والأستاذ محمود شاكر بالذات ذو وجهة عالية النظر، بعيدة المرمى، فإذا اختص المفكر الجزائرى اللامع الأستاذ مالك بن نبى بتعضيده، وإذا دعا وزير الأوقاف الأستاذ أحمد حسن الباقورى إلى شراء الآلاف من كتبه المطبوعة بالعربية وتوزيعها على مكتبات المساجد الخاضعة لوزارة الأوقاف، وإذا استجاب الأستاذ الباقورى لذلك فى حماسة وإعجاب، فإن ذلك كله مما يزكى الأستاذ «مالك بن نبى» أكبر تزكية، هذا ما تأثرت به قبل أن أقرأ كتب الأستاذ،. وقد تمنيت أن أسعد بلقائه فى ندوة الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر العامرة برجالها وبحوثها وأسمارها العلمية، ولكنى تهيبت لقاء الأستاذ شاكر بعد أن هاجمنى بمجلة الرسالة حين عارضت بعض آرائه هجوما شعرت إزاءه أن الرجل الكبير يرانى أهون من أن أعارضه فى رأى، فطويت هذه الرغبة الحادة، ولكن الزمن لم يضن علىّ برؤية الأستاذ مالك بن نبى بعد عدة أعوام، حين جاء ممثلا للجزائر فى مؤتمر مجمع البحوث العلمية بالأزهر الشريف، إذ حضر أكثر من مرة إلى القاهرة ولم يلق بحوثا علمية مع من قاموا بإعداد كلماتهم التوجيهية، ولكنه كان يعقب على بعض الآراء بما يدل على سعة أفق، وعمق تفكير! لقد كانت أكثر بحوث المؤتمر المنعقد فى سنة ١٩٧٠م متجهة إلى مأساة فلسطين، وقيام البطش التعسفى من إسرائيل، وكان الحديث فى أكثره يدور حول فلسطين وحدها وارتكاب الفظائع اليهودية فى مدنها وقراها، وهذا مشاهد ملموس لم يكن فى حاجة إلى إطالة وإسهاب، فقام الأستاذ مالك بن نبى ليعلن أن اليهود فى شتى بقاع العالم يكيدون للإسلام وللعرب. ولا يقتصر كيدهم على الفلسطينيين، بل إن الدول العربية نفسها تضم بعض من يعاونون اليهود فى كيدهم

شخصيات إسلامية

● مـالك بن نبى المفكر الجـزائرى

بعض العرب الذين عاش معهم فى الصحراء عدة سنوات.

ويقول «بودلى»: كان محمد ﷺ بشراً، فكان يقدر ضعف الآخرين، ويفهم عواطفهم، إن للبساطة أثرا أفضل من التعقيد والإلتواء، وإن بعثات التيسير الإسلامية تختلف كل الاختلاف فى الدعوة للإسلام عن كل إرساليات التبشير للأجناس الأخرى، فإن المسلمين لا يخرجون مجهزين لهذا الغرض بالذات، فليس هناك «أوامر مقدسة» فى الإسلام، فالواعظ كالتاجر والإدارى، ثم هناك الحلم، والشفقة، واحترام عادات الوطنيين، والتسامح فى بعض المعتقدات التى لا ضرر منها.. وليس هناك أى عائق لونى للمسلم، فلا يهم أكان المؤمن أبيض أو أسود، أو أصفر، فالجميع يعاملون بالمساواة. وقضى الرسول محمد ﷺ على قرون الطبقات واللون والأجناس.

الحج وديمقراطية الإسلام

والحج أعظم شاهد على ديمقراطية الإسلام، فهناك يجتمع المسلمون الأوروبيون والآسيويون والافريقيون، والصعاليك والأمراء، والتجار والمقاتلون.. فى نفس الإزار البسيط الذى كان محمد ﷺ وأتباعه يرتدونه فى حجة الوداع عام ٦٣٢، إنهم جميعا يتناولون نفس الطعام، ويتقاسمون نفس الخيام، ويعاملون دون تمييز سواء أجاءوا من مراقى سيراليون أم من قصر (نظام حيدر أباد) إنهم جميعا مسلمون. إن هذا لهى الميزة الكافية، ولهم فى مؤسس هذا الدين أسْوة، فقد حكم جزيرة العرب، ولكن ما كان يجد ما يضيره فى تناوله الطعام مع عبد من العبيد، وفى مشاركته ابن السبيل تمرة من التمرات.

ويتساءل «بودلى» قائلا: أكان فى مقدور رجل، ما لم يكن ملهما، أن يأتى إلى هذا الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية؟.. ألا تنعكس سخرية أعداء الإسلام عليهم!!. وكيف يترك داعية غير صادق عقيدة ازدهرت وتمت بعد موته؟.. إن عدد معتنقى الإسلام ليزيد اليوم بمقدار ربع مليون فى كل عام!!! وهذا دون ضغط أو إرهاب لنشر رسالة الإسلام.

وكان محمد ﷺ يقول: «اللهم اغفر لنا خطايانا، وكفِّر عنَّا سيئاتنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين». كان الله ملاذه الوحيد من الخطايا، ولم يتسامح أبدا فى النفاق، فإنه لما كان الرجال يأتون إليه ويقولون فى تفاخر:

- أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا،
- وأنا أصوم الدهر ولا أفطر،
- وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا..

فقال لهم ﷺ أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى.

وأجاب فى صراحة من سأله عما يحب من الدنيا: إنما حبب إلىّ من الدنيا النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة.

ولندع ذلك الرجل الأمين، الذى كان يحافظ على روح المرح على الرغم مما يعانيه، مستريحا حتى ذلك اليوم الذى يعرف فيه قدر كل إنسان. قال تعالى **﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**. سورة الزلزلة آيات - ٦، ٧، ٨.

وقال تعالى: **﴿ولله ملك السموات والأرض وهو على كل شىء قدير﴾** سورة آل عمران آية: ٨٩.

.. إن كتاب «الرسول .. حياة محمد» للمفكر الإنجليزى ر. ف. بودلى R. V. BADLY .. من الكتب الهامة، من وجهة النظر الغربية، والتى تناولت سيرة الرسول الكريم ﷺ بحب، وإيمان بهذا الإنسان الذى جعل من قوم يعبدون الأصنام، قوما يعبدون الله سبحانه وتعالى، ويكونون أعظم امبراطورية فى العالم، لهداية البشر إلى الإسلام.. وإلى الله العلى القدير □

- يارسول الله.. إن النفر الستة من أصحابك الذين بعثتهم من رهط «عُضُل» و «القارة» ليعلموهم شرائع الإسلام، قد غدر بهم القوم.. وقتلوا منهم من قتلوا.. وأسلموا الباقين لقريش فقتلوهم!

يقول محمد ﷺ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يقول أبو بكر: وإن نفرا من «اليهود» يطوفون بالقبائل يحزّبون علينا الأحزاب.. ولقد ذهبوا إلى «مكة» يدعون قريشا إلى حربك قائلين لهم فيما بلغنى:

«إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله».

وإن قريشا قالت لهم: يا معشر «يهود» إنكم أهل الكتاب والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و «محمد» أفديننا خير أم دينه؟

فقالوا لهم: بل دينكم خير من دينه!!

ويتلوا الرسول الكريم ﷺ هذه الآية:

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا، هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله.. ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ سورة النساء — ٥٢.

يقول أبو بكر: قد لعنهم الله!

يقول عمر: أوَ نشطوا للحرب؟

يقول أبو بكر: واستعدوا له، واجتمعوا من كل القبائل، وخرجوا فى جيش لم تر العرب مثله.

يقول عمر: وهل لنا قِبَل بحرب العرب مجتمعة؟

يقول محمد ﷺ: نعم!.. إن العرب ترمينا الآن عن قوس واحدة!

يقول عمر: وما الرأى؟

يقول محمد ﷺ: أيها الناس.. أشيروا علىّ!

سلمان الفارسى: يا رسول الله.. إن عندى رأياً.

يقول محمد ﷺ: قل ياسلمان.. قل ياسلمان.

سلمان، نجعل حول المدينة خندقاً!

ويقول عمر: خندقا؟!!.

سلمان.. إنّا معشر الفارسيين.. كنا إذا وهمنا عدو، خندقنا على أنفسنا!

يقول محمد ﷺ: نِعْم الرأى!.. اضربوا الخندق على المدينة!

وينهض الرسول الكريم ﷺ.. وينهض معه المسلمون.

يقول عمر: الآن يا رسول الله؟!!

يقول محمد ﷺ: الآن.. وإنى أعمل فيه معكم!!.

ويقول «بودلى».. ولم يستعمل محمد ﷺ وأتباعه عبارة «محمدى» أو «المحمدية». فعلى الرغم من توقيرهم لزعيمهم، كان محمد ﷺ المخلص، يعرض عن هذه التسمية دواما، وإن التعريف الوحيد الذى ينطبق على من يدين بالدين الذى أسسه محمد ﷺ بمثله هو: «المسلم من يسلم نفسه لمشيئة الله».

إن كتاب «الرسول.. حياة محمد» للمفكر الإنجليزى ر. ف. بودلى، والذى ترجمه محمد محمد فرج، وعبد الحميد جودة السحار، من الكتب الهامة، والقيمة، فقد تناول سيرة الرسول ﷺ.. فى شكل قصص، من خلال أربعة وعشرين فصلا، بدءاً بمكة، ثم الطفولة، وأيام الصبا، والوحى، والاضطهاد، والعقيدة.. ثم الهجرة، والمدينة، واليهود، والغزوات، وحصار المدينة، وحديث الإفك. والقرآن والمعاهدة، والسفارات، وإخفاق سفارة أبى سفيان، وحجة الوداع، وموت الرسول ﷺ.

ويمتاز «بودلى» فى كتابه «الرسول.. حياة محمد ﷺ» بأسلوبه القصصى، وتحليلاته للمواقف، والأحداث، بعد أن اطلع على كثير من الكتب العربية، وعلى كتب المستشرقين، وعلى أحاديثه التى أجراها مع

فى الصحراء.. رجل له رغبات بسيطة، ولكن له شخصية عظيمة، يحب قومه من كل قلبه، رجل يوحى إليه، ولكنه كان يفكر فى كل ما يفعل تفكيرا منطقيا، رجل يصفح عن ضعف الرجال والنساء، لأنه كان فى نفسه متواضع غالبا، وما كان إلها أبدا.

ويرى الباحث والمفكر الإنجليزى فى كتابه «الرسول.. حياة محمد ﷺ»، أن الرسول الكريم ﷺ.. كان رجل دين ودنيا، فقد أحب. كما أحب الناس، وكان له أولاد، وكان فارسا لا يشق له غبار، وكان يستطيع أن يخصف نعله، ويرقع ثيابه، وكانت فيه دعابة حسنة. وكان يعرف فى نفسه أنه قائد، ولكنه ما كان محبا للمظاهر، ولم يحاول أبدا أن يؤسس شيئا يشابه البلاط، ولم يسمح لأحد أن يعتقد أن له صفات إلهية أو خارقة للطبيعة.

ففى الطريق إلى مكة لقى الرسول ﷺ أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية، وهما ابنى عمه، وابن عمته. وكانا من أشد الناس إيذاء له بمكة، فأعرض عنهما، فأشار على بن أبى طالب على ابنى عمه قائلا:

- إئته من قبل وجهه، وقل له ما قال إخوة يوسف: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين﴾ (يوسف ٩١) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابا.

ففعل ذلك أبو سفيان. فقال له رسول الله ﷺ:

- ﴿لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.. (يوسف ٩٢).

فانظر ذلك الذى لا يرضى أن يسبقه أحد فى موقف من مواقف مكارم الأخلاق. إن أخلاق الرسول ﷺ هى ميزة شخصيته الكبرى.

حتى انه ليحدد مهمة رسالته بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والواقع أنك لا تستطيع أن تأخذ صورة كاملة عن أخلاق الرسول ﷺ إلا إذا فهمت القرآن الكريم، والسنَّة. وكل ما له علاقة بسيرة الرسول ﷺ. إذ أن أخلاقه كما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها هى القرآن: «كان خلقه القرآن».

ويقول «بودلى» فى مقدمة كتابه.. ربما كان الكتّاب الذين سبقونى يمتازون عنى بالأسلوب، وسعة الإطلاع، وبالسرد الغنى للسيرة، ولكنهم كان ينقصهم جميعا ما أملك، لأنهم سواء أكانوا شرقيين أم غربيين، لم يعش منهم نفس الحياة التى عاشها محمد ﷺ وأتباعه فى بلاد العرب. وذلك فى أوائل القرن السابع، والتى عشتها أنا فى خلال النصف الأول من القرن العشرين. فلا الآسيويون، ولا الأدبيون، ولا الأوربيون، ولا الأمريكيون الذين كتبوا عن الرسول محمد ﷺ، قد تغلغوا أبدا فى تلك البقاع المنعزلة من صحراء العرب، حيث جاء الرسول محمد ﷺ بالإسلام إلى الوجود.

لم يقم الغربيون بالتجربة، ونختار من أخلاق الرسول ﷺ، أخلاق الصبر، والرحمة، والحلم، والكرم، والتواضع، فهذه من أمهات الأخلاق التى تحمد إذا كانت فى محلها.

فرسول الله ﷺ هو الميزان الذى توزن بتصرفاته أخلاق البشر، ويتحدد بهذه التصرفات حدود كل خلق. فلا يطغى خلق على خلق، وهناك صور كثيرة من صبره ﷺ على الاضطهاد والتعذيب، والإيذاء والتجويع والسخرية، وقد تحمل الرسول الكريم ﷺ بصبر فى فترة استغرقت ثلاثة عشر عاما.

ولعل أبرز مواقف الرسول الكريم ﷺ الصابرة فى الحرب، والتى تتحطم فيها أقوى الأعصاب، موقفه يوم أحد ويوم الخندق. يوم الهزيمة الذى بقى فيه ثابتا، ويوم الحصار الذى أخذ بالأنفاس.

وفى المدينة جلس الرسول الكريم ﷺ أمام المسجد وحوله أبو بكر، وعمر، وسلمان الفارسى، وبعض الصحابة، وقال أبو بكر:

مختارات من المحمديات

الرسول.. حياة محمد

للمفكر الإنجليزى ر.ف.بودلى

«فتحى الإبيارى»

.. رحلتنا مع كتاب «الرسول .. حياة محمد» للمفكر الإنجليزى «ر. ف. بودلى R. V. Bodly». إن مؤلف هذا الكتاب مسيحى لم يكن قد اعتنق الإسلام بعد، ولكنه تتبع حياة رسول الله محمد ﷺ خطوة خطوة، وحاول جهده أن يكون عادلا منصفا، فى إصدار أحكامه على أخلاقه وتصرفاته فى المواقف التى عرضت له.

ولا ننتظر من المؤلف غير المسلم أن يؤمن بكل ما يؤمن به المسلمون. فقد جانبه التوفيق فى بعض الأحيان. ولكن ما هى رؤية هذا الكاتب فى سيرة سيد الخلق والأنام، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان، سيدنا محمد ﷺ، ويجيب «بودلى» عن سؤال.. ما هى الدوافع والأسباب التى جعلته يؤلف هذا الكتاب عن الرسول الكريم ﷺ.

فيقول: لقد عرفت قدر الرسول محمد أول مرة بين جبال كشمير الشامخة قبل الحرب العالمية الأولى، وكان تابعى الكشميرى، يترك ما كان يفعله، ليستقبل مكة، ويصلى صلاته. وقد مرَّ أكثر من عشر سنين بعد ذلك دون أن أكوّن فكرة واحدة عن المسلمين والإسلام. ثم ذهبت لأعيش بين عرب الصحراء، عندما كنت ضجرا من التعقيدات التافهة التى جاءت عقب الحرب الأولى، وبقيت معهم سبع سنين.

وقد أصبحت الخيمة المصنوعة من وبر الجمل دارى، والبدو أصدقائى، والصحراء المترامية بلادى، وان ما أعطانى الكشميرى عنه لمحة، أصبح الآن أمامى تفصيلا، سمعت القرآن الكريم باللغة العربية المكية العظيمة، وأحسست دون أن أصبح مسلما روعة هذا الدين الذى يخلّى بين العبد وخالقه فى الصحراء، وسمعت عن الرسول محمد ﷺ، الرجل الذى وحّد حفنة من القبائل المتنافرة، وجعلهم دعامة امبراطورية من أعظم امبراطوريات العالم قوة.

ويجيب «بودلى» عن سؤال.. هل كان هذا باعثا له على كتابة كتابه «الرسول.. حياة محمد ﷺ» قائلا: سمعت عن الرسول محمد ﷺ.. انه الرجل ذو القلب الحار، الذى حوّل الوثنيين وعبدة الأصنام إلى مؤمنين صادقين، ويؤمنون بإله واحد، وباليقين بالموت والبعث فى الحياة الأخرى. لقد رأيت أناساً - تسعين فى المائة منهم - يقومون بشعائر دينهم، لإيمانهم به، وكان ذلك باعثاً لى على كتابه «الرسول .. حياة محمد ﷺ». وقد ثبتت الفكرة الأولى بين قمم كشمير المغطاة بالجليد، والأوقات الذهبية التى أمضيتها فى الصحراء بين بدو الصحراء.

أما رؤيته فى سيرة الرسول محمد ﷺ، فيقول: إن محاولتى هى عرض حياة الرسول محمد ﷺ.. كما كانت.. أعرابى مثل كثير من الأعراب الذين عرفتهم

وبالجب وبالسجن، واللوم والتعيير. فكيف تطمع باللحوق إلى منزل الكرامة الباقية دون امتحان رسول الله؟ بقى فى السجن بقوله: ﴿اذكرنى عند ربك﴾ (يوسف ١٢/٤٢) سبع سنين، فكيف حال من عصى مولاه سبعين سنة؟ فإن لم تمتحن نفسك بطاعة مولاك، فلا بد لك أن تخرج من سجن الدنيا إلى ظلمة القبر وهول المحشر، وتطاير الصحف والحساب، والميزان والجواز على الصراط على متن النار، وعليه كلاليب مثل شوك السعدان، وكل مارّ عليه يذهل عن الأهل والإخوان. وكيف لا؟! والأنبياء يقولون: اللهم سلم سلم. اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين».

وقوله (٢/٥٤٥): «فتأمل يا محمدىّ عناية الله فيك فى أزله. فلا تجزع من البلايا والرزايا، فإنما هى تطهيرات. ومقاساة البلية مقسومة على حسب الكرامات، فكما أعدّ لك من النعيم المقيم ما لا عين رأت، ابتلاك على حسب ما أعد لك».

٧ - والسيوطى يجوّز قراءة القرآن بالألحان بشرط عدم الإفراط فى التطريب؛ فيقول (٢/١٢٥): «وأما القراءة بالألحان المطربة - بحيث ألا يفرط فى المدّ وفى إشباع الحركات، حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، ويدغم فى غير موضع الإدغام - فلا بأس. وإن انتهى إلى هذا الحد فحرام، يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم».

٨ - ويؤكد السيوطى فى كتابه فساد رأى الأنثى، ويحكى فى ذلك قصة أسطورية يختمها بحديث للنبى ﷺ، فيقول (٢/٩): «وروى أن طائرين ذكرا وأنثى، كانا فى الجبل، فلما سمعا طلب موسى الرؤية، قال لها الذكر: نفر من هذا الجبل؛ لأنا لا نقدر على رؤية الحق. فقالت له: نقرّ فيه لنفوز بحظ الرؤية، فيكون لنا فخرٌ على سائر الطيور. فقال لها الذكر: إذن فيكون ذلك لك. فلما تجلى الحق للجبل تفتت حتى صار غبارا، وساخ فى الأرض، وأفضى إلى البحر؛ ولهذا كان رأى الأنثى فاسداً؛ لقوله ﷺ: شاوروهن وخالفوهن».

غير أن السيوطى يشك أحيانا فى بعض الأخبار التى تروى، ولا يراها صحيحة، كقوله مثلا (٢/٦٤٣): «وروى أن ذا القرنين لما وصل إلى جبل قاف صعد عليه، حتى ربط خيله بجانب السماء. وهذا يحتاج لنقل صحيح»!

٩ - ولا ينسى السيوطى أن يفيد من علم الفلك فى عصره، فى تفسير بعض الظواهر الفلكية، التى تحدث عنها القرآن الكريم؛ فيقول مثلا (٢/٣٠٣) فى قوله تعالى ﴿مدّ الأرض﴾ (الرعد ١٣/٣) «إن هذا المد يقتضى أنها بسيطة لا كرة، وهو ظاهر الشريعة. وقد يُرتّب لفظ المد والبسط مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها. وإنما التكوير لجملة الأرض».

يقول السيوطى هذا قبل اكتشاف كروية الأرض، وإقامة الأدلة على ذلك فى العصر الحديث بزمان طويل.

١٠ - وقع فى الكتاب بعض الأخطاء التى نعرفها من كتب لحن العامة. ومن أمثلة ذلك:

(أ) عبارة: «يقرئك السلام». صوابها: يقرأ عليك السلام (٢/٣٨٦).

(ب) عبارة: «منسأته يعنى: عصاته». صوابها: عصاه. وهذا أول لحن سمع بالعراق قديما (٢/٥٤٨).

(جـ) عبارة: «ما يدّعونه أهل البطالة من الاطلاع على الغيب» هذه على لغة أكلونى البراغيث. وأولى منها أن يقال: «ما يدعيه أهل...» (٢/٥٤٩).

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

بلغات الأمم المجاورة جعلهم فى أصول الكلمات المعربة بعيدين عن الصواب فى أحكامهم؛ فمثلا يقول السيوطى (٣٠٢/٢)؛ فى تسمية القرآن المكتوب: «مصحفا»: «لما جمع أبو بكر القرآن، قال: سموه، فقال بعضهم: سمُوه إنجيلا، فكرهوه. وقال بعضهم: سمُوه السفر، فكرهوه... فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف، **فسمَّوه بذلك**».

والذى نعرفه فى الحبشية أن كلمة: (mashaf مَصْحَف) تطلق على كل كتاب. والفعل منه: (sahafa صَحَفَ) بمعنى: كَتَبَ، فى هذه اللغة.

٣ - يلاحظ المرء بسهولة أن السيوطى قد يحتال أحيانا، فيجمع فى الحرف الواحد معظم الآيات التى تدور حول موضوع واحد؛ فمثلا (٢/٣٤٥ - ٣٤٦) يذكر: مريم، ومكانا قصيا، ومخاض، وما كان أبوك امرأ سوء، ومهد، ومباركا. وفى موضوع موسى عليه السلام (٢/٣٤٨ - ٣٥٣): يذكر السيوطى: مآرب أخرى، وما تلك بيمينك يا موسى، ومحبة منى، ومن يكفله، ومعنا بنى إسرائيل، وما بال القرون الأولى، وموعدا لا نخلفه، ومكانا سويا، وما غشيهم، وما أعجلك عن قومك يا موسى، وما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألاّ تتبعن.

٤ - والسيوطى يربط بين آيات القرآن ربطا دقيقا بتأمل يبعث على الإعجاب، كقوله مثلا (٢/٣٧٦ - ٣٧٧): «كان لموسى سبعة أسفار، وجد فيها سبعة أشياء: سَفَر الخوف **﴿فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم﴾** (القصص ٧/٢٨) فوجد المحبة **﴿وألقيت عليك محبة منى﴾** (طه ٣٩/٢٠). وسفر الهروب فوجد الأنس **﴿ولما ورد ماء مدين﴾** (القصص ٢٣/٢٨). وسفر الطلب، لما سار بأهله، فوجد الرسالة **﴿يا موسى إنى أنا الله﴾** (النمل ٩/٢٧). والسفر ببنى إسرائيل فوجد فيه النجاة **﴿وأنجينا موسى﴾** الشعراء ٦٥/٢٦).

وسفر النصب **﴿لقد لَقِينا من سفرنا هذا نَصَباً﴾** (الكهف ٦٢/١٨) فوجد الخضر. وسفر المقاتلة **﴿اذهب أنت وربك فقاتلا﴾** (المائدة ٢٤/٥) فوجد الحَجَر **﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾** (الأعراف ١٦/٧) وسَفَر الطور {ولما جاء موسى لميقاتنا} (الأعراف ١٤٣/٧) فوجد فيه الكلام **﴿وكلمه ربه﴾** (الأعراف ١٤٣/٧)».

٥ - من الظواهر المعروفة فى العربية ظاهرة «القلب المعنوى»؛ كما فى قولهم: «أدخلت الخاتم فى إصبعى» وأنت تدخل الإصبع فى الخاتم، ومثله قولهم: «يا خيل الله اركبى» وإنما الخيل هى التى تركب. ومثله قول القطامى:

فلما أن جَرَى سِمَنٌ عليها كما بطنت بالفَدَن السِّياعا

والذى يبطن هو الفَدَن (القصر) بالسياع (الطين). ومثله قول النابغة الجعدى:

كانت فريضةَ ما تقول كما كان الزناءُ فريضةَ الرجم

أراد: كما كان الرجم فريضة الزناء.

وقد ذكر السيوطى من هذه الظاهرة قوله (٢٣/٢) فى تفسير الآية: **﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾**: «قوله تنوء: معناه تثقل. يقال: ناء بى الحِمْل إذا أثقله. وقيل: معنى تنوء: تنهض بتحمل وتكلف. والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتح، لكنه قلب، كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا. ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول».

٦ - ويُكثر السيوطى فى كتابه من التنبيهات التى ضمنها الكثير من الوعظ والإرشاد، بمناسبة بعض الآيات القرآنية، كما فى قوله (٢٩١/٢) بعد الآية الكريمة: **﴿وكذلك مكّنا ليوسف فى الأرض﴾** (يوسف ٥٦/١٢): «على قدر النعمة تكون النقمة؛ لم يصل يوسف عليه السلام إلى هذا حتى امتحن بفراق أبويه،

الكاف مثلا (٢/١٨٥ ـ ١٩٦) يذكر معانى هذا الحرف، كما يتحدث عن استعمالات: كاد وكان وكأنّ وكأيّن وكذا وكل وكلا وكلتا وكلاّ وكم وكى وكيف فى اللغة القرآنية.

ومثل ذلك ما فعله فى آخر باب اللام (٢/٢٣٩ ـ ٢٥٩)، فبعد أن ذكر معانى هذا الحرف عاملا ومهملا، تعرض للحديث عن: لا ولات ولاجرم ولكن (مثقلة ومخففة) ولعل ولم ولما ولن ولو ولولا ولوما وليت وليس.

وقد تعرض السيوطى فى حديث عن (لن) لرأى الزمخشرى فى إفادتها للتأبيد، وردّ عليه؛ فقال (٢/٢٥١ ـ ٢٥٢): «وادعى الزمخشرى أيضا أنها لتأبيد النفى، كقوله تعالى ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ (الحج ٢٢/٧٣) و ﴿لن تفعلوا﴾ (البقرة ٢/٢٤). قال ابن مالك: وحمله على ذلك اعتقاده فى ﴿لن ترانى﴾ (الأعراف ٧/١٤٣) أن الله لا يُرَى.

«ورده غيره بأنها لو كانت للتأبيد، لم يقيد منفيها باليوم فى ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ (مريم ١٩/٢٦). ولم يصح التوقيت فى ﴿لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى﴾ (يوسف ١٢/٨٠) و ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ (طه ٢٠/٩١). ولكان ذكر الأبد فى: ﴿لن يتمنوه أبداً﴾ (البقرة ٢/٩٥) تكراراً. والأصل عدمه».

٢ ـ ولم يفت السيوطى أن يذكر المعرّب من الكلمات القرآنية التى تقابله. وقد دخلت هذه الألفاظ من لغات الأمم المجاورة إلى اللغة العربية، وطال الأمد على كثير من هذه الألفاظ فى الجاهلية، وألف الناس استعمالها، وصارت جزءا من لغتهم، وربما نسوا أصلها فى كثير من الأحيان، وجاء القرآن الكريم، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية، التى أصبح بعض هذا المعرّب من مقوماتها، فجاء فيه شىء من تلك الألفاظ، التى عربها القوم من لغات الأمم المجاورة(١).

وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يدركون ذلك تماما؛ فقد «روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، فى أحرف كثيرة من القرآن، أنه من غير لسان العرب؛ مثل: سِجِّيل، والمشكاة، واليم، والطور، وأباريق، وإستبرق، وغير ذلك»(٢).

ولكن قول الله سبحانه وتعالى، فى القرآن الكريم ﴿إنا جَعَلناه قرآناً عربياً﴾ (الزخرف ٤٣/٣) وقوله تعالى: ﴿بلسانٍ عربىٍّ مبين﴾ (الشعراء ٢٦/١٩٥)، جعل طائفة من مفكرى الإسلام تذهب إلى إنكار وقوع المعرب فى كتاب الله؛ فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى، يقول: «من زعم أن فى القرآن لسانا سوى العربية، فقد أعظم على الله القول»(٣).

وقد وازن أبو عبيد القاسم بن سلام، بين رأى شيخه أبى عبيدة، ورأى السلف الصالح، وانتهى إلى القول بعربية هذه الألفاظ، بعد أن عربتها العرب؛ فقال: «فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبى عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره. وكلاهما مصيب إن شاء الله؛ وذلك أن هذه الحروف، بغير لسان العرب فى الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعربته، فصار عربيا بتعريبها إياه، فهى عربية فى هذه الحال، أعجمية الأصل»(٤).

ويذكر السيوطى فى كتابه كلمات كثيرة أخذها العرب من الفارسية والعبرانية والسريانية والحبشية. غير أن الذى يلاحظ أن عدم إلمام اللغويين العرب

(١) انظر: فصول فى فقه العربية، الدكتور رمضان عبد التواب ٢٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) المعرب للجواليقى ٥ وانظر: المزهر للسيوطى ١/٢٦٨.

(٣) المعرب للجواليقى ٤ والمزهر ١/٢٦٦ والصاحبى ٥٩.

(٤) المعرب للجواليقى ٥ وانظر: المزهر ١/٢٦٩ والصاحبى ٦١.

ونلاحظ أن السيوطى لا يعتبر أصول الكلمات، وإنما يعدّ الحروف الزائدة، وحروف المعانى، من بنية الكلمات والجمل التى يوردها فى كتابه؛ فيذكر فى حرف الكاف مثلا: كالمهل وتكون الجبال كالعهن (١٨١/٢) كعصف مأكول (١٧٥/٢) كمشكاة فيها مصباح (١٧٣/٢).

وفى حرف اللام: لَقُضِىَ الأمر ثم لا يُنْظَرون (١٩٧/٢) لَعَمرك إنهم لفى سَكرتهم يعمهون (١٩٩/٢) لَيستفزونك (١٩٩/٢). وفى حرف الميم: مَثَابة (٢٦٤/٢) موعظة (٢٦٥/٢) معروشات (٢٧٢/٢).

وقد غلط السيوطى ذات مرة، فوضع كلمة: الحسنى فى حرف الميم (٤٧٥/٢).

وفى كثير من الأحيان يذكر السيوطى معنى واحدا للَفظة فى كتابه، فلا تكون الكلمة بذلك من كلمات المشترك اللفظى؛ مثل: رحبت: ضاقت على كثرة اتساعها (١١٧/٢) رَوْع: فزع (١١٧/٢) رَبَتْ: ارتفعت (١١٨/٢) رميم: بالية متفتتة (١٢٠/٢) رفاتا: بلى حتى صار غبارا (١٣٤/٢) ظهير: معين (١٥٦/٢) ظمأ: عطش (١٥٧/٢).

وبعض الأمثلة يسير فيها السيوطى على ذكر المعانى المتعددة للكلمة الواحدة. وهذا هو المشترك اللفظى الحقيقى فى القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك قوله: «الروح؛ ورد على أوجه: الأمر {ورُوحٌ منه} (النساء ١٧١/٤). والوحى ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ (النحل ٢/١٦). والقرآن ﴿أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى ٥٢/٤٢). والرحمة ﴿وأيدهم بروح منه﴾ (المجادلة ٢٢/٥٨). وجبريل ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ (مريم ١٧/١٩). وملك عظيم {يوم يقوم الروح} (النبأ ٣٨/٧٨). وجنس من الملائكة ﴿تنزّلُ الملائكة والروح فيها﴾ (القدر ٤/٩٧). وروح البدن ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾ (الإسراء ٨٥/١٧)(٢).

ومن ذلك أيضا ذكره ثلاثة معان لكلمة (المنّ) فى ثلاث آيات مختلفة (٢٦٣/٢)؛ فالمنُّ هو: «شبه العسل» فى قوله تعالى: ﴿المنّ والسلوى﴾ (الأعراف ١٦٠/٧). والمن أيضا ذكر الإنعام والعطية. ومنه: ﴿ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ (البقرة ٢٦٤/٢). والمنّ أيضا القطع، ومنه ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ (فصلت ٨/٤١).

ولا يقصد السيوطى فى كتابه دائما ذكر الكلمة فى موضع معين من القرآن بمعنى، وفى موضع آخر بمعنى مختلف - كما هو الشأن فى كتب الوجوه والنظائر - ولكنه كان يقصد أحيانا اختلاف تفسير الكلمة فى الموضع الواحد؛ كقوله مثلا (١٣١/٢): «راقٍ: صاحب رُقْية. يعنى: قال أهل المريض: من يرقيه حتى يشفيه الله. وقيل: إن الملائكة تقول: من يرقى بروحه، حتى يصعد بها إلى السماء. فالأول من الرقية وهو أشهر. والثانى من الرقىّ إلى العلو».

وقوله كذلك (١٣/٢): «رحيق: خالص من الشراب. وقيل: العتيق منه».

وقوله أيضا (١٧٤/٢): «كَنُود: كفور للنعمة. وقيل: الكنود العاصى. وقال بعض الصوفية: الكنود: الذى يعبد الله على عوَض».

وللسيوطى فى كتاب «معترك الأقران» وقفات أمام بعض الظواهر اللغوية والاجتماعية، نلخص أهمها فيما يلى:

١ - يذكر السيوطى فى آخر كل حرف، بعض الحروف والكلمات النحوية، التى تبدأ بهذا الحرف، ويعرض معانيها فى القرآن الكريم؛ ففى آخر باب

---

(٢) معترك الأقران ١٣٢/٢ - ١٣٣.

٧ - قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم، لابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ): نشر بتحقيق محمد السيد الصفطاوى والدكتور فؤاد عبد المنعم، بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م. ثم نشر بعنوان: «نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر»، بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضى - فى بيروت سنة ١٩٨٧ م.

٨ - بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادى (المتوفى سنة ٨١٧ هـ): نشر فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بتحقيق محمد على النجار وعبد العليم الطحاوى، بالقاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٣ م.

٩ - كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد (المتوفى سنة ٨٨٧ هـ): نشر بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم والدكتور محمد سليمان داود بالاسكندرية سنة ١٩٧٧ م.

١٠ - معترك الأقران فى إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطى (المتوف سنة ٩١١ هـ): وقد نشر بعناية على محمد البجاوى، بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م. ويسميه السيوطى نفسه فى كتابه: «الإتقان فى علوم القرآن»، باسم: «معترك الأقران فى مشترك القرآن»؛ فيقول: «فالوجوه للفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان، كلفظ الأمة. وقد أفردت فى هذا الفن كتابا سميته: «معترك الأقران فى مشترك القرآن»(١).

وبعض ما صنف فى موضوع «المشترك اللفظى» فى القرآن الكريم، يحمل - كما يظهر فى هذه القائمة - عنوان: «الوجوه والنظائر». ومعنى هذه العبارة: أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت فى مواضع متفرقة من القرآن الكريم، على لفظ واحد وحركة واحدة، ولكن يراد بها فى كل مكان ذكرت فيه معنى يخالف معناها فى المكان الآخر؛ فكل كلمة ذكرت فى موضع وذكر نظيرها فى موضع آخر، هو ما يسمى بالنظائر. أما تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة، فهو ما يعرف باسم الوجوه. وعلى ذلك تكون النظائر فى اللفظ والوجوه فى المعانى(٢).

واشتراط أن تكون الكلمة «على لفظ واحد وحركة واحدة» فى العبارة السابقة، يعنى: الاتفاق التام فى اللفظ، فلو اختلف اللفظ أو اختلفت حركاته، فإننا لا نعد الكلمة فى هذه الحالة من كلمات الوجوه والنظائر.

وقد وقع فى هذا المحظور بعض المؤلفين فى الوجوه والنظائر، كالدامغانى حين عدّ من نظائر كلمة: (الأب) بتخفيف الباء، كلمة: (الأبّ) بالتشديد فى قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأبّاً﴾ (عبس ٨٠/ ٣١). وهو يرى أن هذه الكلمة هنا تعنى: الكلأ والمرعى(٣). وهى فى الحقيقة كلمة سريانية، وهى: «(ذُ) ebbá» بمعنى: الثمر(٤).

وكتاب السيوطى: «معترك الأقران»، ليس كله مخصصا لعلاج المشترك اللفظى؛ فمعظم الجزء الأول منه فى قضايا إعجاز القرآن، وكذلك بعض الجزء الثالث فى قضايا مماثلة لذلك. وما عدا ذلك يعالج السيوطى كلمات المشترك اللفظى فى القرآن الكريم.

وقد رتب السيوطى هذه الكلمات على الحروف الهجائية، حسب أوائلها، على النظام المغربى(٥) لترتيب الحروف: الهمزة ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز / ط ظ / ك ل م ن / ص ض / ع غ ف ق / س ش / هـ و ى.

---

(١) الإتقان للسيوطى ٢/ ١٢١.

(٢) انظر البرهان للزركشى ١/ ١٠٢ والإتقان للسيوطى ٢/ ١٢١.

(٣) الوجوه والنظائر للدمغانى ١/ ٤٠.

(٤) انظر: فى قواعد الساميات، للدكتور رمضان عبد التواب، ص ٢٥٦.

(٥) انظر: H. Jensen, Die Schrift in Vergangen heit und Gegenwrt, Berlin 1958, S.308

واحدا فى الضلال. كما تعنى: الحين أو المدة، فى مثل قوله تعالى: ﴿وقال الذى نجَا منهما وادكرَ بعد أُمَّة﴾ (يوسف ١٢/٤٥) أى بعد حين. وتطلق «الأمة» فى القرآن الكريم كذلك على: الإمام والربَّانىّ؛ كقوله تعالى: ﴿إنّ إبراهيم كان أمَّة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين﴾ (النحل ١٦/ ١٢٠) أى إماما يقتدى به الناس. ومنه يقال: فلانٌ أمةٌ وَحْدَه» أى هو يقوم مقام أمة(١).

ومن ذلك أيضا كلمة: «الأهل» التى تعنى: السكان، فى مثل قوله تعالى: ﴿أفأمن أهلُ القُرىَ﴾ (الأعراف ٧/ ٩٧) وقوله عز وجل: ﴿ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النِّفاق﴾ (التوبة ٩/ ١٠١). وتعنى: قراء التوراة والإنجيل؛ فى مثل قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تَغلُوا فى دينكم﴾ (النساء ٤/ ١٧١). وتعنى: الأصحاب؛ فى مثل قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء ٤/ ٥٨)، أى إلى أصحابها. وتعنى كذلك: الزوجة والأولاد؛ فى مثل قوله عز وجل: ﴿فلما قَضَى موسى الأجَلَ وسار بأهله﴾ (القصص ٢٨/ ٢٩) أى بزوجته وولدها. وتعنى أيضا: القوم والعشيرة، فى مثل قوله تعالى: ﴿فابعثوا حَكَماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ (النساء ٤/ ٣٥) أى: حكما من قومه وعشيرته وحكماً من قومها وعشيرتها. وتعنى كذلك: قوم النبى؛ فى مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ (مريم ١٩/ ٥٥) يعنى: قومه. كما تعنى أيضا: المستحقّ، كما فى قوله عز وجل: ﴿وما يذْكُرون إلا أن يشاءَ اللهُ هو أهلُ التَّقوى وأهلُ المغفِرة﴾ (المدثر ٧٤/ ٥٦)، أى المستحقّ لأن يُتَّقَى ويسألَ منه الغفران!(٢)

وقد ألف علماء العربية مصنفات شتى، فى هذا الميدان المهم من ميادين الدلالة فى الألفاظ القرآنية، ومن بينها كتاب السيوطى. وقد بقى لنا مما ألفوه عبر العصور، الكتب التالية:

١ ـ الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البَلْخِىّ (المتوفى سنة ١٥٠ هـ): وقد نشر بتحقيق الدكتور عبد الله شحاتة، بالقاهرة سنة ١٩٧٥م.

٢ ـ الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم، لهارون بن موسى القارئ (المتوفى فى أواخر القرن الثانى الهجرى): وقد نشر بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ببغداد سنة ١٩٨٨ م.

٣ ـ التصاريف: فى تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ): وقد نشر بتحقيق هند شلبى فى تونس سنة ١٩٨٠ م.

٤ ـ تحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذى (المتوفى بعد سنة ٣١٨ هـ): وقد نشر بتحقيق حسنى نصر زيدان، بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م.

٥ ـ الأشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنية التى ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها، لأبى منصور الثعالبى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ): وقد نشر بتحقيق محمد المصرى فى بيروت سنة ١٩٨٤ م.

٦ ـ الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى (المتوفى سنة ٤٧٨ هـ): نشر أولاً فى بيروت سنة ١٩٧٧م بعنوان: «قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم» بعناية عبد العزيز سيد الأهل. ثم نشر باسمه الحقيقى فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مجلدين، بالقاهرة ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥ م، بتحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيتى.

(١) انظر الوجوه والنظائر للدامغانى ١/ ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٢) انظر الوجوه والنظائر للدامغانى ١/ ٢٨ ـ ٢٩.

كتاب «معترك الأقران في إعجاز القرآن» للإمام السيوطي

بقلم :
الدكتور رمضان عبد التواب

ظاهرة «المشترك اللفظى» من الظواهر اللغوية، التى تشيع فى كثير من ألفاظ اللغة. ويكفى أن نذكر مثالا على ذلك كلمة: «قَصَّ»، التى تعنى فى قولنا مثلا: «قَصَّ الخياطَ الثوب» شيئا يختلف عما نعنيه فى مثل: «قَصَّ فلان علينا قِصَّة»، أو فى مثل: «قَصَّ البَدَوِىُّ الأثر» بمعنى: تتبعه.

وكذلك مثل كلمة : «العين» التى تعنى فى سياقات مختلفة : العين المبصرة، وعين الماء ، وعين الشمس، وفلان عين من الأعيان ، وهو عين علينا (أى : جاسوس) والعين من المال (أى : الحاضر)، وأصابت فلانا عينٌ (أى : حسد)، وغير ذلك.

وهذه الظاهرة هى القسيم لظاهرتى : «الترادف» و «التضاد» من ظواهر الدلالة اللفظية لكلمات اللغة. وظاهرة «الترادف» تعنى دلالة ألفاظ كثيرة على مدلول واحد ؛ كدلالة : الأسد ، والليث ، والغَضَنْفَر ، والضِّرْغام ، والهِزَبْر ، والقَسْوَرَة ، على الحيوان المفترس المعروف. وكدلالة : السيف ، والحُسام ، والصَّقِيل ، والعَضْب ، والمهنَّد ، والمَشْرفِىّ على شىء واحد .

أما ظاهرة «التضاد» ، فهى نوع من أنواع «المشترك اللفظى» بالتضاد بين معنيين لكلمة واحدة ؛ كدلالة كلمة : «السليم» على الصحيح واللديغ ، وكلمة : «الطَّرَب» على الحزن والفرح ، وكلمة : «الناهل» على العطشان والريَّان ، وكلمة : «الجَوْن» على الأبيض والأسود ، وغير ذلك.

وظاهرة «المشترك اللفظى» من الظواهر اللغوية ، التى وقعت بكثرة فى القرآن الكريم ، وفاضت بها كلماته ؛ وذلك مثل كلمة : «أُمَّة» التى تعنى : الصنف والجماعة من الناس ، فى مثل قوله تعالى :

﴿كان الناسُ أُمَّةً واحدةً ، فبعث الله النبيِّين مُبَشِّرين ومُنْذِرين﴾ (البقرة ٢/٢١٣) أى كانوا صنفا

المكتبـــة الإســلامــيــة

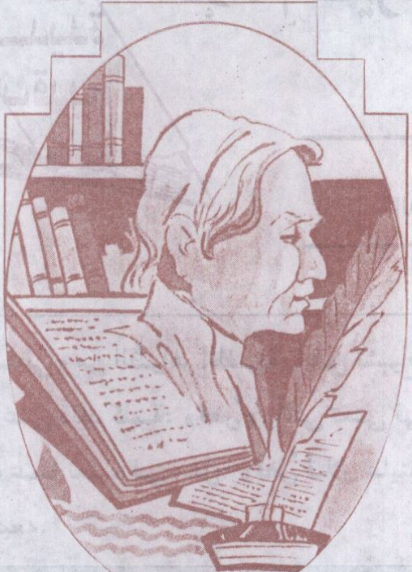

- كتاب معترك الأقران فى إعجاز القرآن
- الرســول .. حـيــاة مــحــمــد

الإسلامية من تعانق الأصول الشرعية للواقع الحياتى للمسلمين، فلا يقبل فصم العلاقة بين المثال والواقع، ولايبغى بديلا عن ضرورة إعمال ما ورد به الخطاب الإسلامى فى دنيا الناس حول الاتحاد والترابط بين الأجزاء والبقاع المختلفة للأمة الإسلامية وتوجيهه فى ذلك، يستند إلى أدلة معتبرة وشواهد دالة على أهمية الوحدة للإبقاء على كيان الأمة وحضارتها .

والعمدة فى ذلك هو أن الإسلام دين للكافة، ونظام شامل يستوعب الحياة، ويتأسس على الأصول العقائدية والتشريعية والأخلاقية التى هى جماع لرسالة المرسلين، وفحوى الديانات السماوية جميعا، التى جاء بها القرآن الكريم، وبلغها الرسول - صلوات الله عليه - إلى الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الأقاليم الإسلامية يجب أن تتوحد فى وطن واحد هو الدولة الإسلامية، وأن المؤمنين جميعا هم رعايا هذه الدولة، ومحور هذه الأحادية العقيدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، التى تمنح الجنسية الإسلامية لكل رعايا الوطن الإسلامى، دون اعتبار للتفرقة بسبب العنصر أو الجنس أو القومية أو الإقليم، والشرعية الإسلامية التى تمثل قانون الدولة .

ومن الشواهد الناطقة بضرورة الوحدة الإسلامية هى التجربة التى كانت عليها الدولة الإسلامية، إبان عصر الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية والعباسية، فقد ظلت الدولة الإسلامية تحت حكم مركزى واحد، تمثل فى الخليفة أو أمير المؤمنين، الذى كان حاكما عاماً لكل المسلمين فى جميع الأقاليم، وكان يمثله فى كل ولاية أو إقليم وال أو عامل الخليفة، فهذا وال على مصر، وآخر على الشام وهكذا. وفى ظل هذا النظام عاشت الدولة الإسلامية أزهى عصورها، دينا ودنيا على اختلاف فى الدرجة، وشملت القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا وبلغت حضارتها شأوا عظيما يزهو بها التاريخ .

وإذن فإن وحدة الأمة هى السبيل الذى يجسد النصوص الشرعية، ويحقق المصلحة الإسلامية، والمقاصد العامة، وقد أطلقوا على الحكومة الإسلامية الخلافة والإمامة، وقد جرت عباراتهم على هذا، فيقول الكمال ابن الهمام . الأصل السابع فى الإمامة وهى استحقاق تصرف عام على المسلمين. ويشدد أنصار هذا الرأى على ذلك إلى الحد الذى نعتوا به الرأى المخالف، بأنه مناقض لما عليه السلف والخلف، وظواهر إطلاق الحديث، وأن الإجماع قد صح على بطلان ذلك الرأى.

ويعضد إمام الحرمين هذا الرأى بقوله : الإمامة رياسة تامة وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة. ويعدد من مهامها : حفظ الحوزة والناحية، ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الجنف (الانحراف)، والحيف (الظلم) والانتصاف للمظلومين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين.

وبذلك النظر يكون أمر الوحدة من الثوابت الإسلامية، وقضية باتت لا مجال للمساومة حولها أو التشكيك فى صحتها، بمقولة إن نفعها حاصل بالواقع والمشاهدة، واستقصاء مزاياها شأن أكدته أحوال المسلمين فى ظلها فى العصور الثلاثة للراشدين والأمويين والعباسيين.

على أن هذا الرأى، ليس هو الوحيد فى القضية، فهناك رأى آخر، يذهب إلى جواز تعدد الإمامة، الأمر الذى يعنى تعدد الدول الإسلامية، لكن ذلك فى ظروف خاصة، ولاعتبارات معينة. فيجوز التعدد عند البعض لأسباب، منها اتساع الخطة وانسحاب الإسلام على أقطار متباينة وجزائر فى لجج متقاذفة... وينقطع بسبب ذلك نظر الإمام عن الذين وراءه من المسلمين... فعندئذ ذهبوا إلى تجويز نصب إمام فى القطر الذى لايبلغه أثر ذلك الإمام .

وتقتضى ذلك أن جواز تعدد الدول الإسلامية، مناطه حالة الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، ولايتوسع فيها، لأنها استثناء على الأصل العام، وهو التوحد فى دولة واحدة. ويوصم هذا الرأى لدى أنصار الوحدة بالشذوذ .

وأيا كان الأمر، فإن أنصار التعدد يؤيدون مذهبهم بقول الأنصار يوم السقيفة للمهاجرين، منا أمير ومنكم أمير، وبأمر على والحسن مع معاوية .

محسنا للتعامل معها بكياسة المؤمن وحصافة رجل الدولة، وذكاء السياسى، والخبير بالعلاقات الدولية .

ولن يبلغ الحاكم المسلم مراده فى إقامة الدولة الإسلامية إلا إذا ألزم نفسه بجوهر النظام السياسى فى الإسلام، وهو الشورى، والغاية منها إيجاد بناء قوى، مؤسس على الشورى الرشيدة، الملتزمة بالإسلام صيغة ومنهجا وغاية، فهى جماع كل خير، ونطاقها أمور المسلمين جميعا، كما أرسى ذلك نص قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» [الشورى: ٣٨]. ولايتيسر ذلك بمجرد إيراد النصوص، نظراً ولعمق الآثار السلبية التى نجمت عن غيابها أو تغييبها، وما حل بالأمة من ويلات وتسلط واستبداد وهو ما انعكس أثره على الأمة على مستوى فئاتها المختلفة، فى الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الخاصة منها والعامة، وفى مناحى الحياة المتنوعة .

ولن يتسنى ترشيد الحكم، لبلوغ الأهداف بغير هيئة منتخبه انتخاباً حراً نزيها تمثل كل إقليم إسلامى، ومجالس منتخبة كذلك على مستوى كل إقليم، على وعى بأحكام الإسلام، وطبيعة العصر الذى تعيش فيه، بحيث تفرز أفضل العناصر المسلمة لتكون لسان صدق عن قومها وأمتها . وقد انبرى جمال الدين الأفغانى - للدفاع عن هذا المطلب بالدعوة إلى إنشاء مجلس نيابى يكون خير ترجمان عن الأمة، وقد حذر فى حينه من عاقبة الانحراف عن تجاوز حق الأمة فى ذلك عندما قال: ومقدمات مجلس نيابى تحدثه قوة خارجة عن محيط الأمة نتيجتها... أنه مجلس لا قيمة له، وكما أنه لايعيش طويلا، كذلك لايغنى عن الأمة فتيلا . وإنما كان هذا حال أمثال مجلس نيابى من هذا النوع، لأنه مجلس يقوم على تزييف إرادة الأمة، وتغييب وعيها، ومصادرة حقها فى التعبير عن الحق والعدل والمصلحة .

وإذا كان للحكام الدور الفاعل، فإن للعلماء والفقهاء الدور المؤثر، وهم أصحاب التنظير والتوجيه لما فيه نفع الدين والدنيا، وهم الحارسون والأمناء على تقديم الخطاب الإسلامى الصحيح للحكام لإعماله وتطبيقه، وهم فى قيامهم برسالتهم كالأطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء لأمراض المجتمع وآفاته، ورائدهم فى ذلك التماس رضا الله وصالح الأمة، دون التأثر بممالأة حاكم أو طلب مغنم .

وينبغى أن تعلم أن دور الفقيه أو العالم فى توجيه النظام، وضبطه على طريق الشرعية الإسلامية هو دور لازم وأساسى، وليس منفصلا عن دور الحاكم وليس ذلك من قبيل الترف أو الكماليات، وإنما هو من قبيل الضروريات، لأنه - كمال قال ابن القيم - لما كان قيام الإسلام بطائفتى العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعاً، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، ومن ثم يكون دور العلماء موجود غير مفقود، مذكور غير منكور .

وتبقى مهمة تنظيم أداء هذا الدور المحورى لكى يحقق أغراضه مسألة شائكة فى ضوء حجب دور الفقهاء عن الحياة السياسية المعاصرة وتهميش العلم الفقهى والرأى الشرعى فى الأنظمة السياسية المعاصرة السائدة فى الأقطار الإسلامية ومع ذلك فإن مشاركة العلماء والفقهاء الرأى فى أمور الدولة العليا، تبقى حرية بالاعتبار والتقدير . ويتطلب ذلك إعادة النظر فى البنية السياسية الحالية، ليكون دور الإسلام أقوى وأجدى وأنفع، وذلك بتمكين رموزه المخلصين من الإسهام الجاد فى حل معضلات الأمة، وتقديم الحلول الإسلامية، على ضوء تطورات العصر .

وأداء هذا الدور المؤثر مرهون بوضع العالم أو الفقيه اللائق بدوره فى ظل ضوابط موضوعية يأمن فيها الفقهاء على أنفسهم وذويهم من غضب الحكام ماداموا ملتزمين بالمشروعية الإسلامية، فإنه متى تم ذلك انتفت الخصومة وسوء الظن بين الفقهاء والحكام، وهى من بين الآفات التى ألقت بظلالها على النظام السياسى الإسلامى كله .

آفاق الوحدة فى النظر الفقهى :

إن قضية إيجاد صيغة جامعة، تجمع الأمة لإظهار هويتها والتعبير عن مصالحها المشتركة تحتاج إلى دراية ومعرفة، ينطلق النظر الفقهى فيها تجاه قضية الوحدة

فيه، وعنوانا على صحة القصد وتمامه فى الاعتصام بحبل الإسلام منهجاً وغاية .

ومالم يبادر كل فرد فى الأمة، وعلى رأسها العلماء والأمراء، بالنهوض بتبعاته، فلن تقوم للأمة قائمة كما كان العهد بها من قبل، لأمرين أولهما : أن هذا المسلك جار على مقتضى السنن الإلهية والنواميس الكونية، فإنها سنة الله دوما طوال المسيرة الإنسانية، أن التغيير يلزمه إرادة وقوة وعمل ومنهج، وليس لأمة كائنة ما كانت أن تستثنى نفسها من هذا الناموس : « **إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » [الرعد : ١١]. وهذا حاصل منذ الأزل ولايزال إعماله ضرورة، وقانونا لايتخلف : « **سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » . [الأحزاب : ٦٢] ثانيهما : أن الأمة نسيج متماسك، لايقوم بناؤها بغير إحكام لبناتها، وتراص بنيانها، وذلك بأن يقف الأفراد معا فى بنيان مرصوص .

ويظل إفراد العلماء والأمراء بالذكر لأنهما على ما أشرنا رأسى الأمة وقلبها، الذى يدفع القاطرة فى الإتجاه الصحيح نحو الهدف المرجو، بالوسيلة وفى التوقيت الملائم، لأنهما رمز العلم والحكم، وهما أسس النظام والدولة والحضارة، ألا ترى أن الشواهد القرآنية فى غير موضع، قد نبهت إلى اقتران العلم والحكم فيمن أرسلهم الله للتمكين لمنهجه فى الأرض من الأنبياء، فقال عن موسى عليه السلام : « **ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما** » [القصص : ١٤]. وقال عن يوسف عليه السلام « **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما** » [يوسف : ٢٢]. وقال عن داود وسليمان : « **وكلا آتينا حكما وعلما** » [الأنبياء : ٧٩]. وقال عن خاتم الرسل محمد ﷺ « **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم** » [النساء : ١١٣]. وقد أعطاه الله الحكم المؤسس على هدى الكتاب، وهو القرآن بقوله تعالى : « **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، لتحكم بين الناس بما أراك الله** » [النساء : ١٠٥].

وقد أثبتت هذه الحقيقة وقائع التاريخ، والشواهد الماثلة لكل ذى عين وبصيرة فى الأمم الماضية والحاضرة، التى بنت نهضتها وحضارتها على ركيزتى العلم والسلطة، وبقدر ما حصلت وأبدعت فيهما، بقدر ما كان لها من المجد والسيادة .

غير أن نصيب الحكام فى هذا المسعى كان أكبر ناصرا لتحقيق الوحدة المنشودة، حيث إن بيدهم مقاليد الأمور، وبحوزتهم الوسائل المؤدية إليها. وآرائهم مرعية بحكم الشرع والعقل، لأنهم المكلفون بتحقيق المصلحة وتحرى الأصوب والأمثل للأمة، بجانب أنهم واجبو الطاعة، فقد أمرت الأمة بطاعتهم فيما هو حق وعدل، ولن تجد أحق وأعدل من جمع شمل الأمة لتتبوأ مكانها الصحيح، إذ هو عز الإسلام ومشروعه الحضارى الذى به ترتقى الأمة والبشرية جمعاء .

ومناط هذا الدور الفاعل للحكام يعضده النظر والواقع، فإن الحاكم المسلم ذو بصيرة ومعرفة بحقائق الاجتماع، وهو مسئول عن الحفاظ على الدين، وسياسة الأمة أو بتعبير الماوردى: حراسة الدين وسياسة الدنيا. يعاونه جمع من المستشارين الناصحين لتحقيق هذه المهمة، وهذا يجعل منه يقينا أقدر على النهوض بالمهمة، ولايقوم أحد مقامه فى ذلك، كما لايبلغ إنسان منزلته فى هذا الخصوص، فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن. كما قال عثمان بن عفان، وهو الذى يخرج المبدأ والفكرة إلى حيز التجربة، لكونه صاحب السلطة والتنفيذ .

لقد أصبح إدراك غاية الوحدة بالطريقة المناسبة لمقتضيات العصر وفق المنظور الإسلامى أمرا صعب المنال، تقف دونه العقبات والمحاضرات، والوصول إليه يحتاج إلى طراز فريد من القادة والحكام ذوى العزيمة والتجرد عن نوازع الهوى وبريق السلطة، وهذا النمط المطلوب هو نمط الحاكم الإسلامى، الذى اتخذ من الإسلام ونظامه منهجا وعملاً، يؤمن بأنه لا انفصال بين القول والفعل بأن يعتنق المقررات الإسلامية فى شأن الوحدة والحق والعدل، ويعلم أنه مسوق إلى الهدف بدافع من دينه ومصلحة أمته، ويكون فى ذات الوقت على دراية بمعطيات العصر، والتوجهات السياسية فيه،

التحدى السياسى فى العالم الإسلامى

نحو منهج لمجابهة المعضلة السياسية

الدكتور الشحات محمد الجندى

يؤكد هذا الوضع المزرى تحدياً أعظم، أمام الأمة كل الأمة، ينبغى تجابهه بكل قواها الفكرية والسياسية، والمراد به استنفار العلماء، والحكام، فهما ضمير ومصير الأمة، وبصلاحهما يصلح الشعب المسلم. وبفسادهما يفسد، فإنهم أولو الأمر الذين يوكل إليهم حل المعضلات، والخروج من الأزمات، فهلا اتفقوا على كلمة حق، وخطة رشد، لجمع الشمل، وهلا اجتمعوا سوياً على مائدة التصالح، ونبذ الخصام والانفصال بينهما منذ أمد بعيد، وهو ما أحدث أثره فى اغتيال الأمة، بسبب تعطيل عقلها، وذهاب سلطانها، وهو ما جعل بأسها بينها فانحدرت إلى مجاهل النسيان .

وهذا المصير طبيعى، كافراز لهذا الموقف، الذى كرسته مجرى الأحداث مع تعاقب السنون، لم يقم فيها أى من الفريقين بواجبه نحو دينه وأمته، والسبيل لاستنهاض الأمة وبعثها من السبات الذى استمر لأمد طويل، هو اطلاع كل منهما بمسئوليته، وهى مسئوليات جسام تتطلب التعاون والتناصح وانكار الذات، فهو الطريق للحكم والغلبة والاستيلاء، وهى كما يقول أبو الأعلى المودودى نوعان : أحدهما الغلبة المعنوية والخلقية، والآخر المادية والسياسية، فأما الغلبة من النوع الأول فهى أن تتقدم أمة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدما يجعل سائر الأمم تؤمن بأفكارها ... وأما الغلبة من النوع الآخر، فهى أن تصبح أمة من شدة الصولة والبأس باعتبار القوى المادية، بحيث تعود الأمم الأخرى لاتستطيع أن تحتفظ باستقلالها السياسى إزاءها ... وكذلك الهزيمة والخنوع نوعان : أحدهما : الهزيمة الفكرية، والآخر السياسية. وهما أسوأ أنواع الهزيمة وأشدهما خطراً على حياة الأمم والشعوب .

ونقطة البدء فى هذا الشأن، هو بذل الإخلاص والصدق فى المسعى نحو بلوغ الهدف المرجو، ألا وهو تحقيق الوحدة الضائعة بالوسائل الفعالة والمناسبة وتلمس المصلحة العامة للأمة، ويكون ذلك بالتكاشف فيما بينهم بالأخطار المحدقة بالأمة، وتحديد السبل لمواجهتها والتغلب عليها، بجانب توقع ما قد تتعرض له من المكائد والأخطار، والتأهب لتلافيها ودرء محاذيرها، كما يتم ذلك بتوعية أفراد المجتمع بضرورة وحدة الصف، وتماسك البنيان، وإغرائهم بالمشاركة فى هذه الجهود المخلصة لخير الأمة، واستعادة مجدها التليد، عن طريق خطط منهجية، وأساليب علمية، جنباً إلى جنب مع استثارة الوازع الدينى والعاطفة الإسلامية .

ويبدو أن هذا المنحى لإدراك ما ينشده الضمير الإسلامى الذى يهيب بكافة قوى المجتمع المسلم، أن توثق العرى بين أفرادها على اختلاف مشاربهم وتنائى ديارهم، وأن ينهض كل فرد بمسئولياته لإحداث التغيير المرجو، محكوما بقانون الشريعة، ضبطا لتصحيح المسيرة وحمايتها من الزلل والشطط، ويضحى هذا التعاضد والتضامن بين الجميع أمرا ملحاً لايقبل التفريط

الأطماع الشخصية، أو تنفيذ خطط أجنبية، مقابل مكاسب مادية، أو التلويح بالمساعدة للتمكن من حكم البلاد!

وليس ببعيد عن أذهاننا ما جرى - ومازال يجرى - فى الصومال: فئات مسلحة تتناحر، وقتال فى كل مكان من أرض الصومال بين المسلم وأخيه فى العقيدة والدين، ولا أحد يدرى ما هدف كل أولئك إلا الصراع على السلطة، ومحاولة فرض الهيمنة. والتسلط على الآخرين، ضاربين بمبادئ الإسلام عرض الحائط، ألم يقرأوا قول الله تعالى: **«وأن هذه أمتكم أمة واحدة»**.

لاشك أنهم قرأوها، وخالفوا ما تدعو إليه. ألم يسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه. وماله»**.

ربما.. ولكن حب الدنيا أنساهم تعاليم دينهم ومبادئ شريعتهم وما يجرى فى الجزائر من ترويع المسلم لأخيه المسلم، وإراقة دماء المسلمين على يد إخوانهم لا تقره شريعة على أى وجه من وجوه الاختلاف في تفسير مبادئها، ولا يسوغه أى نص من نصوص القرآن الكريم.. حتى فى أكثر الآراء مغالاة فى تأويله والالتواء بمعناه إلى دروب ملتوية، بغية تأييد المتعنتين وأصحاب الهوى.

انتشر الصراع والاقتتال بين المسلمين فى أرجاء العالم الإسلامى، ففى المغرب: بين البوليساريو والحكومة، وكذلك فى تونس ومصر وباكستان وتركيا.. وغيرها من الدول الإسلامية.. حتى فى البوسنة التى يواجه فيها المسلمون جحافل الصرب المؤيدة من قوى عظمى فى العالم، انشقت جماعة فرفعت السلاح فى وجه إخوانهم المسلمين، غير مبالين بالخطر الداهم، الذى سوف يأكلهم أيضا، لو انهارت جبهة المسلمين أمام القوات الصربية، ويومها سوف ينطبق عليهم المثل القائل: «أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض».

إن ما نراه اليوم على الساحة الإسلامية: من تشحن وبغضاء، وقتال المسلمين بعضهم بعضا، وإراقة دم المسلم على يد أخيه المسلم، ليدل دلالة واضحة على أن مبادئ الإسلام التى تدعو إلى الإخاء والوحدة، وتحث المسلم على التعاون فى مجال البر والتقوى، وتحذره من الانغماس فى الإثم والعدوان، قد اختفت من المجتمع الإسلامى اختفاء يكاد يكون كليا، وحل محلها التظاهر بالتقوى والورع، والتباهى بأداء العبادات بطريقة «أتوماتيكية» لا أثر لها، فى خلق، ولا معلم لها فى سلوك، فأصبحت طقوسا احتفالية:

- يرفع الأذان كل يوم خمس مرات وسط ضجيج من الأصوات التى تخادع وتناور لنيل مكاسب مادية ودنيوية، بطرق غير مشروعة.

- تقام الصلوات بينما ينهش المسلمون لحوم إخوانهم ويشربون دماءهم.

- ويحتفل كل عام بأداء الصيام فى شهر رمضان، دون أن نتوقف لحظة، أمام هذه الظواهر التى انتشرت بين صفوفنا:

● حقد على الناجحين ومحاولة إزاحتهم بكل ما يمكن من طرق الخداع والدسيسة، حتى لو أدى الأمر إلى القتل ماديا أو معنويا.

● أكل أموال الناس بالباطل بحيل قانونية والتزوير فى أوراق رسمية.

● الغش فى التعامل للحصول على أكبر مكسب مادى.

● عدم الإتقان فى العمل.

● الفوضى والتسيب فى كل المجالات: فى العمل، فى البيت، فى الشارع، حتى صار من يحاول الالتزام منبوذا، وينظر إليه على أنه ساذج.

وغير ذلك كثير.. ثم يتوجه المسلمون بالدعاء إلى الله - وخاصة عقب خطبة الجمعة - بأن يرفع عنهم الغمة، وينصرهم على أعدائهم.. الخ.

كيف يستجيب الله دعاء من يظلم أخاه، ويعتدى على حقوق الآخرين، ولا يلتزم بمبادئ الإسلام فى عمله وسلوكه مع الآخرين؟

كيف يستجيب الله دعاء من يسكت عن الحق، فلا يجير مظلوما، ولا يتصدى لظالم؟

إن الله لن يستجيب دعاءنا إلا إذا حرصنا على تعاليمه، والتزمنا بالمبادئ التى أنزلها على رسله.

«وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان. فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون». البقرة آية - ١٨٦.

الدين: منهج والتزام

بقلم : د/ محمد شامة

الاختلاف فى الرأى، والتباين فى رؤى الأفراد للمنهج الذى ينبغى أن يلتزم به المجتمع فى مسيرة حياته، والصراع بين الأفكار فى محاولة لتثبيت كل صاحب رأى لتصوره عند الجماهير وتدافع أصحاب الأفكار فى ساحة المجتمع للحصول على أكبر قدر ممكن من التأييد.. الخ. كل هذه ظواهر اجتماعية يسلم بها ويحترمها كل من يحب وطنه، ويسعى حثيثا فى ساحة العمل الفكرى، وميدان الإنتاج والخدمات للوصول بمجتمعه إلى وضع يمكنه من إثبات ذاته، وتأكيد هويته، وبناء مكان له بين المجتمعات الدولية.. حتى يصبح له حضور يحترمه الأصدقاء، ويسعى للاقتراب منه كل كيان اجتماعى على سطح الأرض، ويخطب وده كل التنظيمات السياسية - سواء على المستوى الرسمى أو الشعبى - حرصا على صداقته، ويخشاه كل من تسول له نفسه المساس به ويخافه الأعداء تجنبا للمخاطر الذى قد تصيبهم من جراء التطاول عليه، فضلا عن الاعتداء على حرماته.

ولا يحدث ذلك إلا إذا كان مصدر الاختلاف فى الرأى، والتباين فى الرؤى والمنهج هو مصلحة المجتمع لا غير، فلا أطماع شخصية تحركها، ولا نزعات فردية توجهها، ولا مكاسب طائفية تقودها، لأن الصراع الطائفى يفتت الأمة، والنزعات الفردية تقطع أوصالها، والأطماع الشخصية تورث الحقد والبغض بين الأفراد، فتتمزق الصلات الإنسانية، فلا رباط يربط بين الأفراد، بل تحفز وانقضاض على الفريسة متى كان ذلك متاحا. وفى ذلك إنهيار للمجتمع، وضياع لوجوده على سطح الأرض، وصدق الله إذ يقول: **«ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».**

فتعدد الآراء ظاهرة إيجابية فى المجتمع، عندما تكون هناك «استراتيجية» تلتقى عندها الاتجاهات الفكرية، وتصبح بناءة إذا تمحورت اجتهادات المفكرين حول هدف واحد، ألا وهو صالح المجتمع، ولا شىء غيره فليس لدى من يقدم المصالح الأجنبية على حساب وطنه ما يفيد الأمة، حتى ولو علا صوته، وتذرع بحجج شتى: كالظروف الدولية، أو الوضع الاقتصادى، أو تشابك القوى المؤثرة فى القرارات الدولية.. أو... أو..... إلخ، لأن من يفرط فى مصالح أمته - مهما كانت اعتباراته وتفسيراته - تسقط حجته، وتسرب الضعف والهزال بين أفرادها، وخلال مؤسساتها، فلا تلبث أن تنحدر فى مهاوى الهلاك، فتتبدد قواها، وتضيع معالمها من على خريطة القوى المؤثرة فى الأحداث الدولية.

طافت هذه الخواطر بذهنى عندما تأملت ما يجرى فى العالم العربى والإسلامى - فى العصر الحديث، فتراءت أمامى صورة قائمة لا تمت إلى الإسلام بصلة، إذ بينما يحث الإسلام على الوحدة والتآلف والتآخى، نجد نزاعا وشقاقا بلغ حد التناحر والاقتتال بشتى أنواع الأسلحة الحديثة، فهاهم المسلمون فى أفغانستان يتقاتلون قتال أعنف مما كان بينهم وبين السوفييت، عندما كانوا يحتلون البلاد، وأعداد القتلى بين إخوانهم المسلمين فاقت الأعداد التى سقطت بين أعدائهم فى معركة التحرير.

فهل يتفق هذا الذى يجرى على أرض أفغانستان مع مبادئ الإسلام؟

أمن المعقول أن يكون هدف هؤلاء المتصارعين خدمة بلادهم أو مصالح قومهم؟

لا يمكن أن يفهم عاقل من هذا النزاع شيئا غير

وسهيل ابنى عمرو، وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجدا.

أمر عليه الصلاة والسلام ببناء مسجده الشريف فى هذا الموضع، وكذلك مساكنه فى المدينة المنورة، وعمل فى بنائه بيده الكريمة ترغيبا للمسلمين فى العمل، فشاركه المهاجرون والأنصار، وقائلهم يقول:

لئن قعدنا والنبى يعمل

لذاك منا العمل المضلل

وكانوا يرتجزون:

لا عيش إلا عيش الآخرة

اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

ـ ٣ ـ

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقيم فى بيت أبى أيوب الأنصارى حتى تم بناء مسجده الشريف ومساكنه، ثم انتقل من بيت أبى أيوب إلى مسكنه بعد تمام البناء، وفى ذلك يقول أبو أيوب:

«لما نزل علىَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بيتى، نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له: يانبى الله، بأبى أنت وأمى، إنى لأكره أن أكون فوقك وتكون تحتى، فأظهر أنت وكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل، فقال: يا أبا أيوب، أن ارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت».

قال: فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفله، وكنا فوقه فى المسكن، فقد انكسر جب لنا فيه ماء (الجب: الجرة العظيمة) فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة مالنا لحاف غيرها ننظف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه شىء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العشاء، ثم نبعث إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه، نبتغى بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه، وقد جعلنا له بصلا أو ثوما، فرده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم أر ليده فيه أثرا، قال: فجئته فزعا، فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغى بذلك البركة، قال: إنى وجدت فيه رائحة هذه الشجرة، وأنا رجل أناجى، فأما أنتم فكلوه فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد».

سيرة ابن هشام حـ٢ ص٦٢ ـ ط ـ دار التوفيقية للطباعة بالأزهر.

ـ ٤ ـ

وقد أدرك أعداء الإسلام من المنافقين فى المدينة أهمية المسجد فى نشر الدعوة الإسلامية، وبناء الدولة الحديثة، وجمع شمل المسلمين فى كل وقت على مدار يومهم وليلهم، وتدبير شئونهم دينيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا، فأرادوا أن يتخذوا من المسجد وسيلة للقضاء على هذه القيم الرفيعة، وتشتيت وحدة المسلمين، وضرب وحدتهم وتضامنهم فلجأوا إلى ركوب الموجة لتنفيذ أغراضهم الدنيئة، وأنشأوا مسجدا إلى جوار مسجد قباء ليكون وسيلة لصرف المسلمين عن أول مسجد أسس للناس من جهة، وليتخذوه وكرا لمؤامرتهم وكيدهم للدعوة وصاحبها من جهة أخرى ولكن الله كشف أمرهم، وفضح كيدهم، وسمى مسجدهم مسجد ضرار الذى أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهدمه وجعل مكانه مزبلة.. وهو موضوع يحتاج إلى بحث مستقل، نأمل أن نوفق إليه إن شاء الله.

مترية، فإذا كانت صلدة فتلزم إزالته، تطهيرا وتشريفا وإجلالا لبيوت الله، ويؤكد هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : **«إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله تعالى، ولقراءة القرآن»**.

وقد وضع الإسلام ضوابط محكمة لصيانة المساجد عن اللغو والخلط والتشويش الذى يتنافى مع رسالتها، ويحقق لها البهاء والمهابة والجلال الذى يليق بها، ومن ذلك النهى عن البيع أو الشراء فيها، وكذلك الإعلان عن الضالة بها، يقول - صلى الله عليه وسلم - : **«إذا رأيتم من يبيع فى المسجد فقولوا له: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيها ضالته فقولوا له: لا ردها الله عليك، إن هذه المساجد لم تبن لذلك»**.

ومن ذلك إنشاد الشعر فيها فيما عدا الشعر الهادف الذى يقصد به الوعظ والإرشاد ويحث على مكارم الأخلاق وتقوى الله عز وجل وتعظيم شعائر الله، يقول تعالى: **«ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»** الحج - ٣٢.

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على استخدام الروائح الطيبة عند دخول المساجد، وتجنب الروائح الكريهة المنفرة، فقال - عليه الصلاة والسلام - : **«من أكل من هذه الشجرة - يعنى شجرة الثوم - فلا يقربن مسجدنا»**. وقال: **«من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**. لأن أكل هذه الثمار يتجشأ فتنتشر منه رائحة كريهة.

- ٢ -

ولأهمية المسجد فى الإسلام حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - إثر وصوله إلى المدينة المنورة مهاجرا على إقامة المسجد، فكان أول عمل قام به عليه الصلاة والسلام تأسيس مسجد «قباء» ليكون قاعدة قوية للمجتمع المثالى الذى ينشده - صلى الله عليه وسلم - وملتقى المسلمين فى أداء فرائضهم، ومجلسا للشورى تدار فيه شئونهم، وتهيأ فيه الجيوش لملاقاة عدوهم، فكان - بحق - بمثابة جامعة إسلامية شاملة تلقى فيها المسلمون شئون دينهم ودنياهم، وبعد تأسيس مسجد «قباء» شرع - صلى الله عليه وسلم - فى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث ضرب الأنصار أروع الأمثلة فى البذل والإيثار، واستحقوا ثناء الله تعالى عليهم بقوله: **«والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»** الحشر - ٩، فكان اهتمامه - صلى الله عليه وسلم - بإقامة المسجد مقدما على المؤاخاة على عظم قدرها، وجليل منزلتها.

وبعد إقامة مسجد «قباء» توجه موكبه الشريف نحو المدينة، وقد اعترضته القبائل، كل تريد نزوله عندها جاهدة فى الأخذ بزمام ناقته - صلى الله عليه وسلم - فكان يقول لهم: **خلوا سبيلها فإنها مأمورة،** إلى أن أتت دار بنى مالك بن النجار فبركت على باب مسجده الشريف - صلى الله عليه وسلم - وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار (المربد: هو المكان الذى يجفف فيه التمر). وهما سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا فى حجر معاذ بن عفراء، فلما بركت ظل - صلى الله عليه وسلم - ثابتا عليها ولم ينزل، فسارت غير بعيد ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها ورجعت إلى المكان الذى بركت فيه أول مرة فبركت فيه ثانية، فنزل عليه الصلاة والسلام وهو يقول: **ها هنا المنزل إن شاء الله**، وسأل عن صاحب المربد، فقال معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل

دور المسجد فى بناء الأمة

الدكتور مسعد محمد الديب

المساجد بيوت الله فى الأرض، تؤدى فيها فرائضه، وتقام فيها صلواته وتلتزم فيها عبادته، وتدرس فيها شئون المسلمين من خلال اجتماعهم فيها، فتسهم فى تقوية أواصر المحبة بينهم، وتدعم روابط أخوتهم ومحبتهم، فيتعاونون على مناقشة قضاياهم، وحل مشاكلهم بروح إسلامية سامية، وفي رحابها يتزودون بعلوم الدين والشريعة من خلال دروس الوعظ والارشاد، وتلقى علوم القرآن الكريم وحفظه وفهمه واستيعابه، ويتواصون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويتعاهدون على الدعوة إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وبذل الغالى والنفيس فى نشر دين الله لهداية الإنسانية إلى طريق الحق والسلام.

ـ ١ ـ

قال تعالى: «**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**» الجن ـ ١٨، فهى مواطن لذكر الله تعالى، وشرح كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، التى هى وحى من المولى تبارك وتعالى لنبيه المعصوم الذى قال فيه «**وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديد القوى**» النجم ـ ٣ ـ ٥.

وواجب كل مسلم المحافظة على طهارتها، وتنزيهها عن الأقذار، وتجنبيها وسائل اللهو والعبث، وعدم اتخاذها أماكن للبيع والشراء، والتزام الأدب الرفيع فى دخولها والمكوث فيها قولا وعملا، حتى تكون منزهة عن كل عبث أو فساد، ويكفيها شرفا نسبتها إلى الله تعالى فى قوله: «**وأن المساجد لله**»، وقد أكد القرآن الكريم على شرفها ورفعتها وجلالها، وأثنى على كل من يرتادها فى جميع الأوقات، وأشار إلى رفعة منزلتهم وحسن جزائهم فى قوله تعالى: «**فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**» النور ٣٦ ـ ٣٨.

وقد حث الإسلام على إقامة المساجد وعمارتها، وأجزل الثواب لبانيها، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من بنى لله مسجدا بنى الله له قصرا فى الجنة**». وحث على تطهيرها، وتوعد من يهمل طهارتها بالعقاب الشديد، وأعطاه الفرصة ليتدارك خطأه، لتظل فى منأى عن الإهمال والقذارة، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**البصاق فى المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**»، ويتأتى دفن البصاق إذا كانت أرض المسجد

أخوها صخر فى الجاهلية فملأت الدنيا عليه شعراً فيه رثاء وبكاء حتى فقدت بصرها - فقد استشهد أبناؤها الأربعة فى وقت واحد فى معركة القادسية، فلما بلغها نبأ استشهادهم قالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقلتهم، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته».

رعاية أسر الشهداء:

● ويوجه الإسلام إلى رعاية أسر الشهداء وفاءً لهم وتحقيقاً للتكافل معهم، فبالنسبة لزوجات الشهداء فقد جعل لمن يتولاها أجراً عظيماً حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل**». (رواه البخارى ومسلم).

«**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أننى أرى امرأة تبادرنى، فأقول لها: مالك، ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام**». (رواه البخارى ومسلم).

● وبالنسبة لأبناء الشهداء فقد قال الله سبحانه: **«ويسالونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم إن الله عزيز حكيم»**. (البقرة ٢٢٠)..

«ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده» (الانعام ١٥٢)..

«فاما اليتيم فلا تقهر».. (الضحى ٩).

وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية اليتيم فقال:

- «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا**، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما (ليدل على أنهما قرينان أو صنوان)» (رواه البخارى).

- «**خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُساءَ إليه**». (رواه الطبرانى)

- وشكا رجلٌ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قسوةَ قلبه، فقال له: «**امسح رأس اليتيم واطعم المسكين**». (رواه أحمد).

وبعد معركة مؤته ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت جعفر بن أبى طالب الذى استشهد فى المعركة، وطلب أن يرى بنى جعفر، فلما أتوا بهم إليه تَشَمَّمَهُم وذرفت عيناه، ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى أهله فقال: «**لا تغفلوا آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم**». (رواه أحمد وابن ماجة).

● وقد قال الإمام محمد عبده رحمه الله فى تفسير قوله تعالى لرسوله بعد أن ذكره بفضله عليه حال يُتمه **«فاما اليتيم فلا تقهر»**: «لو علم الناس ما فى إهمال تربية الأيتام من الفساد فى الأمة، لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم فى إصلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا، ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه، وأنه هدف لبناله، لا يدرى متى يأخذه عن ولده، فيتركه إما غنياً يأكل ماله الأوصياء، أو فقيراً يَستَذله الأدنياء، لتسابقوا إلى تقويم أمر اليتيم».

عن تراب الوطن يستحق أن نبذل فى سبيله «الروح والمال والولد»، وذلك حقاً من الخصائص الأصيلة لشعبنا العريق.

مكانة الشهداء:

قيل فى تعليل تسمية من يقتل فى سبيل الله شهيداً بأنه شهد المعركة ولم يتخلف عنها، وقيل سمى شهيداً لأنه يشهد فى حال الاحتضار ما أُعِدَّ له من نعيم الجنة، وقيل لأن الملائكة تحضره وتشهد وفاته وتبشره..

ومكانة الشهداء عند الله كريمة عظيمة كما يفهم من قوله تعالى: «... **والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم**». (محمد ٤ - ٦)..

«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرن بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الأ خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين». (آل عمران ١٦٩ - ١٧١).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**». (رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه) - «**ما أحدٌ يدخل الجنة، يُحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شئ إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**».

(رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه).

والشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا بغيره حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**كل كَلْمٍ (جرح) يُكْلَمُه المسلم فى سبيل الله يكون يوم القيامة كَهَيْئَتِها إذ طُعِنَتْ تَفَجَّر دَماً، واللونُ لونُ الدم، والعَرْفُ (الريح) عرف المِسْك**». (رواه البخارى ومسلم).

والحكمة فى مجئ الشهيد يوم القيامة على هيئته أن معه شاهد فضيلته وبذل نفسه فى سبيل الله.

هذه المكانة العظيمة للشهداء التى تلوح من كلام الله ورسوله، كانت تلهب المقاتلين شوقاً إليها، وتغريهم ببذل المهج والأرواح فى سبيل الله، حتى لقد كان بعضهم يشم ريح الجنة وهو يخوض الأهوال، ويقول منتشياً بالسعادة:

يا حبذا الجنة واقترابها

طَيِّبَةً وباردا شرابُها

وكذلك كانت تلك المكانة العظيمة تبعث «روح الصبر» فى قلوب أمهات الشهداء وأهليهم، ومن ذلك أن حارثة بن سراقة استشهد فى غزوة بدر، فأتت أُمُه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ فإن كان فى الجنة صبرتُ، وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء.. فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفِرْدَوسَ الأعلى». (رواه البخارى).

● بل لقد كانت الأم المؤمنة تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به، كما فعلت الخنساء - وهى التى مات

مكانة الشهداء عند الله

للواء أ.ح.م/ محمد جمال الدين محفوظ

● بعد انتهاء معركة أحد عام ٣هـ، لم يعد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم إلى داره - رغم ما كان به من جراح - قبل أن يمر على دور المجاهدين الذين استشهدوا لمواساة أهليهم، ومن ذلك أنه مر على دور بنى الأشهل فأقبلت أم سعد بن معاذ - وسعدٌ آخذ بعنان جواد رسول الله - ودنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأملته وقالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد أشْوَتْ (هانت) المصيبة، فعزَّاها عليه الصلاة والسلام بعمرو بن معاذ ابنها ثم قال: يا أم سعد، أبشرى وبَشِّرى أهليهم، إن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعاً - وكانوا اثنى عشر رجلا - وقد شفعوا فى أهليهم، فقالت الأم المؤمنة الصابرة: رضينا برسول الله، ومن يبكى عليهم بعد هذا؟.. ثم ذكرت من وراءها من قومها من أمهات وأخوات وزوجات الشهداء، فقالت للرسول صلى الله عليه وسلم: أدع يارسول الله لمن خُلِّفوا، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم أذهب حزن قلوبهم، وأجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا».. ومضى سعد بن معاذ مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاء بيته، فما نزل عن فرسه إلا حَمْلا!

● وفى خلال حرب الاستنزاف قام مندوب من إدارة التوجيه المعنوى بزيارة أسر الشهداء فى قراهم، وخلال الحوار الذى دار بينه وبين إحدى تلك الأسر - وكان الحديث حول تصميم قواتنا المسلحة والشعب بأسره على استرداد الأرض المغتصبة مهما كانت التضحيات - قالت أم الشهيد فى تلقائية شديدة: «**يا بنى... دى الأرض زَىّ الضَّنا.. غالية**»!

كانت تلك صورة من صور التعبير عن حب الوطن وترابه، وهى فى بساطتها آية من آيات البلاغة والحكمة فى أرفع صور الحب الإنسانى، فهل هناك ما هو أقوى وأسمى فى التعبير عن حب الوطن من تشبيهه «بحب الأم لولدها»؟ ثم إن هذا التعبير التلقائى حين يصدر عن أم «استشهد ولدها» فى معركة الوطن، ينطوى على معنى عظيم، هو أن الدفاع

بروح الإسلام.. بدا الإسلام للناس طلق المحيا.. فائض البشر.. فازداد المؤمنون إيمانا.. ودخل الناس فى دين الله أفواجا.

الديمقراطية لاتتجزأ

وصحيح أن الحاكم فتح لهم أبوابه.. ثم أعارهم سمعه فأنصت إلى شكواهم.. وتلك حسنة نشكر الله تعالى الذى أجراها على يديه.. لكن الديمقراطية كل لايتجزأ.. وكان عليه أن يمضى على سنيها إلى نهاية الشوط. فيحقق فيما ذكروا من وقائع قد يكون بعضها صحيحا.. والعقل الرشيد قاض بالتضحية أحيانا بمسئول متهم أحيانا.. على الأقل.. كسبا لرضاء الملايين الذين قد يُسكتهم الحياء أحيانا.. ولكن القلوب لها حساب آخر.. فلا يرضيها إلا الحلول العملية.. وليس القول المعسول !!

مثل من التاريخ

كان الوليد بن عقبة شقيق عثمان رضى الله عنه لأمه.

ولما كان أهل الكوفة حينئذ أهل شقاق. قرر الخليفة تعيين أخيه الوليد واليا عليها.. فكان فى ولايته حازما حاسما إلى الحد الذى أغضب أهلها. فلما شكوه إلى أخيه أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه.. لم يتردد فى محاكمته محاكمة عادلة انتهت بعزله.. بل والتنكيل به !!

الشيوخ ينقذون الموقف

وكاد الحق ليضيع.. بين تجنى الخليفة.. وحياء الشباب..

لولا حكمة الشيوخ.. وحصافة التجربة.. وسرعة البديهة.. والتى انقذت الموقف بهذه الدعابة على لسان الشيخ.. الذى وافق الخليفة على عدل المحافظ.. ونزاهته. ولكن وبحكم شريعة العدل.. طالب بنقله إلى محافظة أخرى ليجنى الآخرون ثمرة عدله !!

ويكون للخليفة فى الأمة ذكر بقدر ما وطد المحافظ المحظوظ من قواعد العدل هنا وهناك !

وهكذا انقذت الدُعابة الموقف.. حين ضحك المأمون.. وقرر نقل المحافظ.. بعدما فشل الشباب.. وبعدما فشل الحاكم نفسه.. فى حل المشكلة.. ويبرز الدرس البليغ هنا :

ما أحوج أمتنا إلى الخبرة.. إلى التجربة.. لتقف إلى جوار الحاكم ناصحا أمينا..

ولتقود الشباب المخلص المتحمس.. إلى التى هى أقوم..

إن غيَاب الأشياخ عن الساحة خسارة كبرى.. لأنها تترك المجال :

إما للحماس المندفع.. أو الافراط فى الثقة.. بأهل الثقة.. وأين هى الدعابة المحكومة بالأدب اليوم..

أين الوجه الضاحك.. والذى يستمد طلاقته من قلب مشرق.. مقبل على الحياة.. قادر على التكيف معها بنجاح.. أين الظرفاء.. الأدباء..

وليس الظرف أن تقول ما يضحك..

وإنما الظرف هو :

أن تستظرف الآخرين.. الذين يقومون وهم راضون عن أنفسهم.. وراضون عنك طبعا!!

وهكذا فعل الشيخ..

وهكذا فليفعل الشباب !

فشل محاولة

فرض الرأى الواحد

لقد انقطع الحوار.. وفى الدقيقة الأولى بين الحاكم لشباب.. ومتى انقطع الخيط ؟

عندما حاول المأمون فرض الرأى الواحد على ما شير إليه قوله تعالى :

{مـا أريكم إلا مـا أرى ومـا أهديكم إلا سـبيل شاد}. (سورة غافر الآية ٢٩)

إن محاولة فرض الرأى الواحد.. هو لون من تغطية جز الداخلى.. والفشل فى مواصلة الحوار.. من قبَلِ نب يطوّح بنفسه بعيدا عن ساحته.

بتجاهل وجهة النظر الأخرى.

لكى يستمر الحوار

قد ينطلق أحد المتجادلين من اعتزازه بنفسه.. ستهانته بخصمه.. وربما كان حب الشهرة من وراء طق هذا المجادل الذى ينطلق. لا يلوى على شىء. محاولة لتأكيد ذاته.. ولو على أنقاض خصمه شريف !

ثم تكون النتيجة الطبيعية توقف الحوار..

وقد يظن هذا المجادل المحترف أنه كسب القضية ه أسكت خصمه بالضربة القاضية!

ولكن علماء الفنّ.. فن الحوار - ومنهم ابن عقيل طعون عليه الطريق.. حين يضعونه فى قفص الاتهام اجه بما يلزمه كلمة التقوى.

كسب العواطف

لا كسب المواقف

إنهم يقولون له :

ليس الحـوار مناهَبَـةً.. وإنما هو مناوبة : مناوبة يتبادل الخصوم فيها الرأى.. كما يتبادلون الاحترام..

وليس هو نهبـا للأقـوى.. أو الأعلى صوتا.. أو منصبا..

ثم يقولون له :

هل تريد كسب المواقف.. أم كسب العواطف ؟

يمكن.. ومن منصبك العالى.. وجمهورك المفتون بك أن تحقق نصرا وقتيا تكسب به موقفا..

بل ربما كنت تملك الحجة التى تحتل بها عقل خصمك.. ولكن :

ولكنك لاتستطيع كسب قلبه.. وحبه.. قد تفرض عليه احترامك أو هيبتك.. ولكنك لن تفرض عليه أن يحبك!

وإذن.. فسوف تخسر القضية حين فشلت فى كسب إذعان خصمك وتسليمه لك راضيا.

فإذا كان لهذا الخصم أشياع وأتباع.. فقد استكثرت الأعداء.. والبلاء.. معا.

لقد اتّسعت صدور أسلافنا لمختلف الآراء.. فأتاحُوا للمسلمين التحرك فى دائرة وسيعة وسيعة من سماحة الإسلام.. ولكى يظل الحوار موصولا.. موفور العطاء.. كانوا يتحاشون فرض الرأى الواحد.. مؤثر بين الرأى الميسر.. تجاوبا مع يسر الإسلام.. وخاصة فى مواجهة العوام..

ومن ذلك ما روى أن أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك.

لما أراد تصنيف الموطأ :

تجنّب شدائد ابن عمر. ورخص ابن عباس. وشواذ ابن مسعود.. وبهذا الفكر المتفتح.. المرتبط أساسا

ومن هذه الحقائق :

أن سقوط الحضارة ـ كما قالوا ـ فى بعض أسبابه راجع إلى :

(أ) الانشقاق فى كيان المجتمع .. حين ينشق هذا الكيان على نفسه بتأثير عدم التوافق بين السلطة الحاكمة والشعب المحكوم.

(ب) حين تحوى الحضارة جسما غريبا فى داخلها يسبب باستمرار ضغطا عليها من داخلها .. كما أطاح العبيد بالامبراطورية الرومانية .

ولقد جاء هؤلاء الشباب .. وقلوبهم كالمراجل .. تغلى .. مما رأت .. وسمعت عن السيد المحافظ !

وإذا كانوا يقولون :

إن الأدب يُذهب عن العاقل طيشا .. بينما يزيد الأحمق طيشا .. كضوء النهار : يزيد البصير بصبراً .. ويزيد الخفاش سوء النظر .. فقد جاء وفد الشباب إلى باب الحاكم .. بعقل متفتح ..

بل إن مجرد مجيئهم ظاهرة صحية تستوجب التقدير .. لا التكدير .. ولكن الذى حدث هو العكس !

الحاكم ينحاز للمحافظ

لم يكتفى المأمون بالدفاع عن رجله .. وإنما واجه الوفد بتهمة الكذب !

فنسف بهذا التكذيب كل جسور التفاهم !

ولم يجد الشباب إلا الاعتصام .. بالحياء من أمير المؤمنين ..

ولقد رسب المأمون فيما نجح فيه الفلاح البسيط فى قريتى :

لقد جاءه جاره يشكو إليه عدوان ابنه .. على ولده

الذى يبكى بين يديه ! وهبّ الفلاح .. فألقى القبض على ولده .. وبدون تحقيق .. فأوسعه ضربا .. وتعنيفا .. امتص به فورة الغضب من الوالد الشاكى. والذى هب لينقذ عزيم ولده من بطش أبيه !!

وهكذا .. نجح الفلاح فى انقاذ الموقف .. بل فى عودة المياه إلى مجاريها .. حين عاد الرفاق إلى الوفاق كما كانوا .. بل أحسن مما كانوا !

لكن المأمون زاد النار اشتعالا بانحيازه لرجله .. والذى تحوُم حوله شبهات .. ينبهه إليها مَنْ رأى .. ومن سمع ..

فلما بهتهم .. ارتد الأمل إلى داخلهم حسيرا .. ليتحول إلى بذرة من حب الانتقام سوف تنبت يوما .. لتصبح واقعا أليما .. فات أوان تلافيه.

من أصار التحدى

يقولون : إن رجلا يقصد معرض لوحات .. ليشترى لوحة أعجبت كل الناس .. فذلك تحدٍ لهم باقتنائه لها .. وليس فنانا ..

لكن البسيط الذى ذهب إلى المعرض .. وفى جيبه بضعة قروش ليشترى لوحة أعجبته هو شخصيا .. فذلكم هو الفنان !

ولقد كان منطق المأمون منطق التحدى لآمال نفر من أمته جاءوا فى محاولة للتعاون معه على البر والتقوى .. بإقصاء مسئول هو حرب على قيم البر والتقوى ..

ولكنه صمم فى تحدٍ يضُرّ به نفسه على أن يبقى المحافظ .. تابعا أمينا .. وإذا بدت صورة رجله قاتمة فى نظر الآخرين .. فلتبق كالزجاجة : تلمع إذا وضعت على فصٍ من الذهب .. على كرسى الإدارة .. وهكذا الأتباع والأشياع !

ولما قال له رجل : طاعتكم مفروضة. قال له : كذبت.. لا طاعة لنا عليكم إلا فى طاعة الله تعالى !

فبهت الذى مدح !!

وعلى قدر إخلاص الدعاة.. وحكمة الولاة.. يكون وقع الأمة على خريطة العالم ..

وفى هذا الموقف الذى صدّرنا به الحديث إشارات لى ضرورة هذا التجاوب بين عنصرى الأمة على نحو وضح أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم حتى لايكون ظالم ولا مظلوم..

فماذا فى الموقف من دروس ؟ وبلغة العصر الذى عيش فيه ؟

المحافظ، يخل بواجبات وظيفته

والقضية هنا هى : شكوى مقدمة إلى الحاكم ضد لمحافظ الذى أخل بواجبات وظيفته..

وإذا كان للمحافظ حق الطاعة.. فإن للراعية حق نقد ضمانا لمسيرة الخير التى يجب أن تبلغ أجلها.. ليس هناك - باسم الإسلام - رجل فوق النقد.. وإذا ان هناك من هو أولى بالنقد أو النصح فهو المحافظ فسه.. بحكم مسئوليته وما يترتب على قراراته من ثار لاينجو منها أحد فى منطقة نفوذه.

دستورية تشكيل الوفد

والأسلوب الحضارى

لم تكن هناك مظاهرات صاخبة أو شاحبة.. وإنما و التعبير السلمى عن آمال المحافظة.. من خلال وفد ثلها.. على نحو دستورى.. بدا فى تكوينه من نصرى الأمة :

الشباب.. والشيوخ.

وتبدو دفقة الحماس.. حين اندفع الشباب إلى الشكوى أولاً.. ولكن بهذا الأسلوب الحضارى الذى يطلب.. وفى هدوء الواثق بعدالة قضيته. يطلب مساءلة المحافظ الذى تجاوز اختصاصه .

يطلب التحقيق فى القضية المعروضة بلا مهاترات.. ولا تدافع بالمناكب.. تماما كما تفعل خلايا النمل أو النحل.

إنها توفر طاقاتها وأوقاتها.. فتصطفى من بينها جماعة.. لتستكشف لها أنسب المواقع لبناء سكن لها..

وهكذا فعل أبناء المحافظة الذين دل اختيارهم على رجاحة عقولهم..

حين عبّر الوفد المختار فعلا عن حكمتهم ورغبتهم فى الإصلاح :

فهذا الوفد الشبابى.. لم يكن ليحاول إصلاح المحافظ.. عن طريق خطة لاتحقق أمله.. وإلا.. ففساد الخطة.. يوسع خرق الفساد فلا يجد الراقع قدرة على إصلاحه :

لقد أدى مهمته بنجاح :

أولاً : عرّف المدعو بمواقع الخلل.

وثانياً : نصح بسرعة الإصلاح ..

ثم لم يتجاوز إلى المرحلة الثالثة والتى لايملكها وهى : العنف.. لتحقيق الأمل بالقوة !

إن غاية الشباب هنا شريفة.. فلتكن الوسيلة على مستوى الغاية شرفا ونبلا.. وهكذا علّمنا هؤلاء الشباب !

الحاكم لم يستوعب الموقف

لم يستوعب المأمون دقائق الموقف.. لأنه لم يستوعب حينئذ حقائق التاريخ !

أنت سرقت هذه الدرع؟ قال أبدا يا أبا القاسم أنا فى بيتى وطرق بابى فلان وقال لى: خذ هذه الدرع أمانة عندك إلى أن آخذها ولا علم لى بها، الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال للسارق الحقيقى: هل أنت فعلا سرقتها ووضعتها عند اليهودى؟ قال: أبدا يا رسول الله أنا لم أسرق، أكثر من هذا جاء أقاربه يدافعون عنه بالباطل - هى قضية ملتبسة فالسارق الحقيقى ينكر، والدرع موجودة فى بيت اليهودى وليس عنده شهود بأنه لم يسرق، وهم النبى أن يعاقب اليهودى بعقوبة معينة، ولكن نزلت تسع آيات فى سورة النساء فى المساواة فى الحق: «**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما.. واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما.. ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما.. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا**».

ثم يوجه القرآن التوبيخ إلى الذين جاءوا يدافعون عن قريبهم بالباطل: ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا.

ويفتح القرآن الكريم باب التوبة: «**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما، ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا**».

وتختتم الآيات بقول الله عز وجل: «**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء.. وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**».

حق التعلم

أيضا أعطى الإسلام للإنسان حق التعلم فإن أول ما نزل من القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: «**اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق**» ومادة «علم» التى تتكون من العين واللام والميم وما اشتق منها تكررت فى القرآن الكريم اكثر من ثلاثمائة مرة تارة بالفعل الماضى وتارة بالفعل المضارع، وتارة بفعل الأمر، وهكذا نجد القرآن الكريم يبين لنا أن الله عز وجل لم يفضل أبانا آدم على الملائكة إلا بالعلم لأنه اعطاه علما لم يعطه لغيره، يقول الحق تبارك وتعالى «**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم. فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**». وفى الحديث الصحيح: «**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**». إذا من حق الإنسان أن يتعلم والله سبحانه وتعالى بين لنا أن الذين يخدمون أمتهم عن طريق علمهم النافع لا يقلون فى المنزلة عند الله عز وجل عن أولئك الذين يخدمون أمتهم عن طريق بذل أموالهم وأرواحهم فى أواخر سورة التوبة نجد قول الله سبحانه وتعالى: «**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**».

إن الدعاء الذى أمر الله رسوله أن يدعو له هو زيادة العلم: «**فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما**».

«الجريمة التى قد يختم بها البعض حياته»

المستشار / حسن حسن منصور

عقب نشر مقالنا السابق عن جرائم الاعتداء على ذوى القربى لمست رغبة أكيدة من كثير من القراء الأعزاء فى مواصلة الكتابة فى هذا الإطار لأنها تمس جوانب خطيرة فى العلاقات الاجتماعية ولا سيما فيما بين من تجمعهم رابطة القربى، ولما كانت رغبة القراء هى نبض قلب الكاتب واستجابة لنداء هذا النبض رأينا الكتابة عن الصور الأخرى للاعتداء على حقوق ذوى القربى ولو كانت لا تشكل جريمة معينة، وهذه الصور كثيرة ومتعددة ولا تكاد تخلو منها أية علاقة بين ذوى القربى، واليوم نعرض لواحدة من هذه الصور لها خطرها على الروابط الأساسية بين ذوى القربى وقد يؤدى وقوعها إلى تقطيع هذه الروابط بما يصح وصفها بأنها جريمة وإن كان غير معاقب عليها قانوناً، وهى المتمثلة فيما يرتكبه البعض من مخالفة أنصبة الميراث التى حددها الشرع الحكيم بدقة متناهية، ولبيان خطر هذه الجريمة نعرض النقاط الآتية:

أولاً: تحديد مفهوم هذه الجريمة:

إذا كان تحديد طبيعة الفعل يتوقف على مدى التزامه بالقواعد الشرعية من عدمه، وإذا كانت القواعد الشرعية المتعلقة بالميراث قد حددت أنصبة الورثة فى التركة بطريقة جازمة تمنع أى إنسان من التدخل فيها بأدنى رأى، فيكون من يخرج عن هذه القواعد مرتكباً لعمل غير مباح، وقد يأخذ هذا العمل شكل الجريمة المعاقب عليها سواء فى الدنيا والآخرة أو فى الآخرة فقط، وعلى هذا يمكن القول: إن هذه الجريمة هى الخروج على أحكام المواريث الشرعية بما يحرم المستحق من كل أو بعض حقوقه الشرعية فى تركة مورثه، فمثلا الصورة الشائعة فى بعض المجتمعات الريفية أن البنت لا تأخذ نصيبها كاملاً من ترك والدها ويكون من يحرمها من كل أو بعض هـ النصيب مرتكباً لهذه الجريمة سواء كان هو المور ذاته أو أحد الورثة..

ثانياً: طبيعة هذه الجريمة:

قبل أن تكون هذه الجريمة دينية فهى جر أخلاقية اجتماعية بالدرجة الأولى لما يترتب عليها م آثار خطيرة على العلاقات الإنسانية فى المجتـ وخاصة بين ذوى القربى، ولكل ذى عقل أن يتص الآلام التى تحيط بإنسان حرمه غيره من حق مقرر بالشرع الحكيم، بل إن مرارة هذه الآلام تزداد

كان من حرمه من هذا الحق هو أقرب الناس إليه وربما كان أحد والديه.

والغريب فى أمر هذه الجريمة أنها تقع ممن لا دخل له أصلاً فى توزيع الأنصبة فى الميراث وهو المورث لأن الميراث لا يتحقق إلا بوفاته وقبل ذلك لا تكون هناك تركة تُحدد فيها أنصبة الورثة، إذ أن الأموال التى يملكها الإنسان لا تسمى تركة إلا بعد رحيله عن الدنيا ويتركها خلفه، وقد يتدخل هذا المورث فى إعادة توزيع التركة على بعض الورثة بالمخالفة لأحكام الشرع فيرتكب جريمة ربما تكون آخر عمل له فى حياته الدنيا فيكون ختم حياته بجريمة والعياذ بالله، ثم تكون المفاجأة السيئة فى القبر حيث أول حساب عن آخر عمل ختم الإنسان به حياته.

إن هذه الجريمة فى حقيقتها هى تعدياً لحدود الله تعالى بالنص الصريح فى القرآن الكريم الذى أورد بعد ذكر آيات المواريث قول الحق سبحانه: ﴿**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**﴾ الآيتان ١٣/١٤ من سورة النساء.

ومما يثير الدهشة فى أمر فاعل هذه الجريمة أنه لا يستفيد منها شيئاً وربما لم يجن من ورائها إلا الحسرة والندامة فى القبر ويوم القيامة، لأنها تمثل قمة الظلم وهو ظلم النفس لمصلحة القبر..

ثالثاً: صور هذه الجريمة:

هناك صور شتى تقع عليها هذه الجريمة حسب درجة مخالفة أحكام الشرع الحكيم، سواء كان مرتكب هذه الجريمة هو المورث ذاته أو أحد الورثة أو الغير، ونذكر بعضاً من هذه الصور كالآتى:

١ - حرمان الوارث من كل حقه فى الميراث صراحة بعدم إعطائه أى شئ من أموال التركة أو ضمناً بالتصرف فى هذه الأموال قبل أن تصبح تركة بالبيع أو الهبة وغير ذلك من التصرفات بحيث لا يبقى للوارث ما يأخذه.

٢ - تفضيل بعض الورثة على بعض، فيخص المورث البعض بأموال أكثر من غيره أيا كانت الطريقة التى يتبعها فى ذلك.

٣ - استهلاك أموال التركة فيما لا جدوى فيه إضراراً بأصحاب الحقوق فيها أيا كانت صورة هذا الاستهلاك.

٤ - التحايل على قواعد الميراث التى حددها الشرع الحكيم بدقة كاملة، وهناك أشكال متعددة لهذا التحايل، نذكر منها على سبيل المثال ما تعارف عليه الناس - خطأ - ولا سيما فى المجتمعات الريفية وأطلقوا عليه اسم «الرضوة» أى أن الوارث وغالباً ما يكون هو البنت لا يأخذ نصيبه المحدد شرعاً من التركة ولكن يحصل على مبلغ معين من المال أقل بكثير من هذا النصيب ترضية له، فمثلا إذا كانت أموال التركة أرضاً زراعية ونصيب الوارث منها خمسة أفدنة فإنه لا يأخذها ولكن يأخذ مبلغ عشرة آلاف جنيه مثلاً كترضية له عن نصيبه الذى قد يكون ثمن الفدان الواحد من هذه الأرض أكثر من خمسين ألف جنيه، وحجة من يفعل ذلك أن أرض المورث لا تذهب إلى غير ابنه أى زوج البنت وهى حجة واهية لا سند لها من شرع أو قانون..

رابعاً: لماذا كانت مخالفة أحكام الميراث جريمة؟:

على قدر أهمية صاحب الأمر تكون خطورة مخالفة الأمر، فلا تستوى مخالفة الرئيس مع مخالفة المرؤوس كما لا تستوى مخالفة الدستور مع مخالفة اللائحة، ولكن أخطر أنواع المخالفة ما كانت لأمر الله تعالى، ولما كانت قواعد الميراث هى من تشريع الله فإن أية مخالفة لها هى مخالفة لأمره المفروض على الجميع

طاعته وإلا يكون المخالف مرتكباً لأفظع الأفعال وهو ما يسمى بالجريمة. وعلى هذا الأساس فإن فقهاء الشريعة الغراء اجتمعت كلمتهم منذ عهد الرسالة الأول إلى وقتنا الحاضر على أن حق الإرث من الحقوق التى لا تقبل الإسقاط لأن الإرث سبب من أسباب التملك على سبيل الخلافة عن الميت، فينتقل به المال إلى الوارث ويدخل فى ملكه ولو جبراً عنه، ولا يسقط هذا الحق بالترك أو بالاتفاق الذى ينطوى على التصرف فيه قبل استحقاقه، وإلا كان ذلك تحايلاً على قواعد الميراث..

ولقد أحسن المشرع الوضعى صنعاً عندما وضع القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ بشأن المواريث مستمداً أحكامه من الشريعة الإسلامية، وقد استقر القضاء فى أحكامه الصادرة فى مسائل الميراث على أن قواعد المواريث - لأنها تستند إلى نصوص قطعية الثبوت والدلالة وبينها القرآن الكريم بياناً محكماً - تعتبر متعلقة بالنظام العام لصلتها الوثيقة بالدعائم القانونية والاجتماعية المستقرة فى ضمير المجتمع بما يمتنع معه التحايل عليها أو تبديلها مهما اختلف الزمان والمكان، ويترتب على هذا نتيجة فى غاية الأهمية وهى أن قواعد الميراث ملزمة للكافة ولا يجوز الاتفاق على مخالفتها ويقع باطلاً بطلاناً مطلقاً كل تصرف يتم بالمخالفة لها وتقضى به المحاكم من تلقاء ذاتها ولو لم يطلبه ذووا الشأن..

خامساً: الأثر المترتب على ارتكاب هذه الجريمة:

إذا كان الناس ألفوا لدى سماعهم كلمة جريمة أن هناك عقوبة تنتظر فاعلها، فإن جريمة التعدى على حدود الله فى تشريع أحكام الميراث تستتبعها كثير من العقوبات سواء فى الحياة الدنيا أو الآخرة، ومنها على سبيل المثال:

١ - اللعنات التى يصبها من وقعت الجريمة عليهم فوق من كان سبباً فى حرمانهم من حقهم الشرعى فى تركة مورثهم ولو كان هو المورث ذاته، ولا ننسى أن المحروم من حقه هو مظلوم ومن المباح له أن يدعو على من ظلمه وقد ضمن الله تعالى له الإجابة لما رواه الترمذى فى سننه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»، فليتق الظالم دعوة المظلوم فلربما كان فيها هلكته.

٢ - الحق فى الإرث هو حق للعبد ومن شروط قبول التوبة أن يرد طالب التوبة حقوق العباد إلى أصحابها، فإذا كان مرتكب هذه الجريمة رحل عن الدنيا وأصبح لا يملك ما يرد به هذه المظالم فإن توبته تظل معلقة على عفو المظلوم وإلا كانت العاقبة هى نار حامية، ومن كانت هذه عاقبته فلا يفكر فى مثل هذا الجرم حتى ينجو بنفسه.

٣ - إن أبغض ما يورثه الإنسان هو الحقد والكراهية ولا يكون ذلك إلا إذا تدخل المورث برأيه فى توزيع تركته بنفسه قبل وفاته فيجزل العطاء لبعض ورثته وينتقص الآخرين حقوقهم، فمن غير المتصور أن يبذل المحروم الحب لمن استحل حقه، إن القول بغير هذا يفترض أن المظلوم من الملائكة المقربين وهو محال، وليت الأمر يقف عند الأحياء من الورثة ولكنه يمتد إلى الموتى، فالواقع ينطق بأن المتوفى ينال القسط الأوفى من الكراهية.

٤ - العقاب الأكبر من الله تعالى يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويوم الندم حيث لا يجدى، ويكفى الظالم مذلة أنه خالف أمر الله تعالى القائل فى الحديث القدسى: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ...**»

إن جريمة تقوم على الظلم لا يمحوها إلا العدل فإن لم يكن فى الدنيا فعدل الله محقق فى الآخرة، وليعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون..

بيتر هيوارد: الناس تحت مظلة الإسلام سواء..!

أحمد حامد

هو المهندس المالطى: بيتر. س. هيوارد، المولود فى فاليتا عام ١٩٥٠م، لأب يعمل بالزراعة، وأم تساعد الزوج فى كل ما يعمل، و«بيتر» أول الأبناء، الذى يبلغ عددهم خمسة بينهم بنتين، وكرس الأبوين الاهتمام بالابن الأكبر، وكان «بيتر» على جانب كبير من الذكاء، فتدرج فى مراحل تعليمه إلى أن حصل على بكالوريوس فى علوم الحاسب الآلى، وأبدى مقدرة فائقة لتطوير بعض الحاسبات علاوة على عمله الراتب فى تكثيف البرامج ووضعها لأعتى المشروعات التى تطلب منه فى النواحي الاقتصادية والعسكرية، وغيرهما.

واختارته إحدى المؤسسات الليبية للعمل بها، وعاش فى ليبيا، لا يرى الشارع كثيرا، فكل وقته للعمل، وجاء شهر رمضان، ووجد الليبيين لا يأكلون ولا يشربون فى الساعات التى كانت مخصصة لذلك، وسأل وعرف أنه شهر صيام المسلمين.

ويقول بيتر: لم أكن أعرف شيئا عن الإسلام، الذى من شروطه صيام شهر رمضان، الذى يأتى مرة كل عام، واضطر أن يخفى افكاره كيلا يجرح مشاعر زملائه المسلمين بالمؤسسة التى يعمل بها، والذى تغيرت فيها مواعيد العمل، بمناسبة شهر الصيام.

وبحثت كثيرا عن الحكمة فى صوم الانسان، وامتناعه الكامل عن الطعام والشراب أكثر من ثلاثة عشر ساعة يوميا، ولمدة شهر كامل كل عام، فوجدت أن ذلك يعطى الإنسان حصانة غير عادية، ضد الأمراض، علاوة على قوة الاحتمال إذا ما تعرض لمأزق حرج.

ويقول بيتر: وحينما قلت ذلك لزميل مسلم، ضحك وقال، هذا من الناحية الصحية، فما بالك بالناحية الروحية التى تجعل النفس هادئة مطمئنة وتجعل الانسان يشعر بأخيه الإنسان الفقير، فيحاول قدر استطاعته أن يمد له يد المساعدة التى هى فرض وواجب على المسلم لأخيه المسلم. لأنه لا يصح إسلام المرء إلا إذا كان مؤديا لكل فرائضه، ما عدا فريضة الحج، الذى فيها الاستطاعة الصحية والمادية.

ووجدت أن هذا الكلام الذى أسمعه من زميلى المسلم الصائم، غير كاف لكى أعرف هذا الدين الذى يحاول أصحابه بالصيام أن يكتشفوا أنفسهم ليرحموا أنفسهم وفقراءهم من ذل الحاجة والعوز.

واستطعت أن أقرأ كثيرا عن الإسلام ورسول الإسلام، ولم أجد بهذا الدين أى خلل على الإطلاق، بل وجدته يعطى الإنسان حقه فى حياة حرة كريمة ليعيش حياة سهلة ميسرة، لا تعقيد فيها.

وليست هذه الحياة للمنطقة التى ولد فيها محمد رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن للعالم بشرقه وغربه وجنوبه وشماله، لكل الناس الذين خلقهم الله جاء هذا الدين ليحقق لهم حياة آمنة مستقرة، لا يعبد فيها إلا باعث الرسالات جميعا، وخاتمها بآخر رسالاته ـ الإسلام ـ على آخر رسله وأنبيائه محمد الذى اصطفاه من بين بنى البشر جميعا، منذ الخلق الأول، وجعله يتيما، ولم يجعل له ولدا، يتعلق به الكارهون الكافرون بأبيه وبرسالته التى أقلقتهم، لأنهم كانوا يخضعون الناس أمامهم فى إذلال، ليستمتعوا بذلك، لقوتهم، ومراكزهم المالية التى لا تنفع الإنسان ولا تحقق له عنصر الأمان والاستقرار، إذا مازال المال بأى وسيلة ولأى سبب.

لقد أنقذ الإسلام فى البداية، فقراء الناس من ذل الحاجة، وعبيد الناس من ذل العبودية، ولهذا كان الكثيرون من الفقراء والعبيد، من أنصار محمد رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس كافة.

ولم يفرق الإسلام بين إنسان وآخر، بسبب لونه أو جنسه، فالكل تحت راية الدين الخاتم، سواسية، لا فرق بين عربى وأعجمى، ولا بين الأسود والأبيض. ولا بين الأصفر والأحمر، فالكل أيضا تحت مظلة الإسلام سواء. لأن البشر جميعا فى كل مكان، خلقهم إله واحد ولا شريك له، ومن يعبده من مخلوقاته، من أى لون وجنس، وبالطريقة التى يجده الخالق ويرضاها، ويرضى عنها، هو الأقرب إلى الله بسلوكه وأخلاقه وتقواه هى التى تقربه إلى الله.

ويقول خبير الحاسب الآلى المهندس، بيتر. س. هيوارد: بالإسلام أكبر ميزة تحقق للإنسان عبادة سليمة، وصحيحة، حيث لا وسيط بين الإنسان العبد، وبين المعبود الرب.

ولقد شعرت أن الإسلام هو الدين الخاتم، لأنه تأسس على ألوهية المعبود، ووحدانيته، والقرآن الكريم واضح حينما يقول الخالق فيه فى سورة الاخلاص: **«قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد. ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد»**.

وصدق الله أيضا حينما قال فى سورة: المؤمنون **«ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله. إذا لذهب كل إله بما خلق. ولعلا بعضهم على بعض. سبحان الله عما يصفون»**. الآية ٩١

صدق الله فى كل كلمة من آيات كتابه المحكم التنزيل، فلا إله إلا هو فعلا، وإلا لكان صراع الإلهين شديد، لو كان هناك شريك له. ولضاع الناس فى غمرة الصراعات والمشاحنات، لكل إله. يعتبر نفسه الأحق والأقوى.

لقد استطاع محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر أنبياء الله، أن يحقق لعقول البشر وقلوبهم توجها واحدا. وهو الألوهية والربوبية والعبودية. لله الواحد الذى لا شريك له، والذى لا نظير له. والذى لم يولد، ولم يكن له ولدا. ولا صاحبة، سبحانه وتعالى عن مثل هذه الصغائر. التى لا

تحقق إلا الشرك به.

ويقول: والإسلام جاء ليتم الله به البناء الإنسانى الكبير، الذى بدأ بخلق آدم النبى الكليم، فقال رب العزة والجلال فى كتابه الكريم فى سورة النساء - ١٦٢: «**إنا أوحينا إليك. كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده. وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وآتينا داود زبورا**».

ولو كان محمد رسول الله إلى الناس كافة، صاحب مصلحة شخصية. كما يدعى بعض الكارهين، لاستأثر لنفسه بكل شىء، لكن حينما يكون تأديبه من عند الله سبحانه وتعالى، نجده ككل الأنبياء الذين سبقوه، وإنما محمد جاء ليتم رسالات كل الذين جاءوا برسالات إلى أقوامهم، فكان لكل قوم نبى ورسول، يدعوهم إلى الوحدانية، لكن محمد جاء للناس جميعا للأقوام فى كل زمان ومكان، وذلك ليتم الله به رسالات السماء، ليكتمل البناء الإنسانى بالإسلام.

ويقول المالطى، بيتر هيوارد: ولكن لماذا محمد بالذات، هو الخاتم لكل الأنبياء، وهو الذى اختاره الله، ليحقق به حياة سوية للبشر بالإسلام.

والقرآن الكريم، واضح وصريح حينما قال عز وجل فى سورة البقرة - ٢٥٣: «**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**».

وصدق الله أيضا حينما قال فى سورة الإسراء - ٥٠: «**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**».

ويقول الرسول المصطفى المختار وبعناية الإله الواحد، فى حديث له ما يؤكد انه جاء ليتم البناء للإنسان، فيقول - صلى الله عليه وسلم -: «**إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون به، ويقولون: هلا وضعت اللبنة؟! فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**».

والإسلام، يطالب المسلمين، بالإيمان، بكل الرسل والأنبياء الذين سبقوا رسولهم، ليكتمل إيمانهم ويصح إسلامهم.

وهذه وحدها مكرمة إسلامية غير عادية انفرد بها هذا الدين العظيم، مما جعلنى أقرأ فيه بنهم شديد، لأحاول التعرف عليه، وعلى كتابه الكريم، الذى شدنى إلى الحياة فيه، فالقرآن وحده، حياة لا مثيل لها، من قرأه وحاول فهم بعض ما فيه، استراح فى حياته التى يتعامل فيها مع البشر الذين يتعاملون الآن بالمادية التى جعلت قلوبهم كالصخر، وعقولهم كالحجارة، والقرآن الكريم، لفاهمه وقارئه ودارسه بعناية، يزيل عن العقول والقلوب الغشاوة.

وفى القرآن الكريم آيات كبرى للعالمين، فقط، يعلمون، يعقلون، يتفكرون، وإذا وصل الناس، إلى هذه المراحل، استطاعوا الحياة بسهولة ويسر وأمن واستقرار. ولقد أكرمنى ربى، وصرف الكبر عن قلبى، ووضع فى عقلى هداية إلى دينه الخاتم، وفى قلبى حبا كبيرا للإسلام ورسوله، لأن الله أراد أن يهدينى، فقدم لى الإسلام أعظم هدية فى حياتى، لأغير اسمى بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبد الله ورسوله، وأطلق على نفسى اسم: محمد عبدالله، وأتزوج مسلمة انجليزية، وأنجب أولادا وبناتا، وأؤدى فريضة الحج أكثر من مرة مع زوجتى وأولادى، وأسلك بفضل من الله وحمده، بالإسلام حياتى، ربما يكون سلوكه مدعاة لغير المسلمين، فيتعرفوا على الإسلام.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

وقت الاسراء والمعراج

السؤال من القارئ، حسنى عبد المنعم ابراهيم، من أجا بمحافظة الدقهلية، يقول:

هل هناك ما يدل على أن ليلة الإسراء والمعراج كانت فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب؟

الجواب: لقد اختلف كثيرا فى وقت الإسراء، فقيل إنه كان قبل البعثة، وقيل كان بعدها، والذى عليه الجمهور أنه كان قبيل الهجرة بعام أو نحوه ولم يكن فى مبدأ البعثة، وتحديد عام الإسراء أو شهره أو ليلته ليس فيه كبير فائدة فى حياتنا الدينية، فالإسراء قد حصل قطعا، وإختيار المسلمين ليلة السابع والعشرين من رجب للذكرى لا داعى للعدول عنه إلى موعد آخر، وإن كان مبدأ الاحتفال بالذكرى لا مانع منه، ونحن لم نكلف لهذه المناسبة بعبادة خاصة، فيكفى أن نعرف أن الصلوات الخمس فرضت فيها ويجب علينا المحافظة عليها.

جماعات الدعوة الإسلامية

السؤال من القارئ، أحمد يوسف الجرجاوى، من بنى سليمان الشرقية، بمحافظة بنى سويف، يقول:

هل يجوز للشباب الانضمام والعمل مع جماعات الدعوة والتبليغ والإخوان المسلمين وغيرها من الجماعات الإسلامية أم يعتبر هذا انشقاقا عن صفوف المسلمين؟

الجواب: الانضمام لأية جماعة ينظر فيه إلى نشاط الجماعة، فإن كان موافقا للشريعة ومستهدفا مصلحة المسلمين، ولا يترتب عليه ضرر، فلا مانع منه، وإلا كان ممنوعا.

وذلك شأن أى نشاط فردى أو جماعى، لابد فيه من التأكد من مشروعيته وعدم الضرر فيه، وتوضيح ذلك يحتاج إلى مساحة كبيرة. مع التنبيه على أن أى نشاط يقوم على الدعوة إلى الخير يشترط فيه الأسلوب الحكيم كما قال الله لرسوله «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**» (سورة النحل: ١٢٥)، وأول ما يلزم لذلك هو التفقه فى الدين على مستوى يؤدى إلى استعمال الحكمة وإصدار الأحكام على هدى وبصيرة، وإلاَّ كان التخبط والانحراف. فى ظل ذلك كانت المذاهب الفقهية فى الإسلام ليس فيها شق لصفوف المسلمين إذا اتبعت فيها طريقة الأئمة الكبار أصحاب هذه المذاهب، تلك الطريقة التى اتسمت بالسماحة وعدم التعصب، وبالعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين لا لمصلحة شخصية ويمكن الرجوع إلى موضوع الدعوة فى الجزء الأول من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف».

فرض الأذان للصلاة وصيغته

السؤال من القارئ محمد نور الدين صادق، من المنشأة بمحافظة سوهاج، يقول:

متى شرع الأذان للصلاة وهل له صيغة معينة؟

الجواب: جاء فى نيل الأوطار للشوكانى «ج٢ ص٣٢» أنه اختلف فى أى وقت كان ابتداء شرعية الأذان، فقيل: نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فرض الصلاة، وقد روى ذلك ابن حبان عن ابن عباس بإسناد فيه عبد العزيز بن عمران، وهو ممن لا تقوم به حجة، ورواه الدارقطنى من حديث أنس، وإسناده ضعيف، ورواه الطبرانى عن ابن عمر وذكر أنه فى ليلة الإسراء، وفى إسناده طلحة بن زيد وهو متروك، كما رواه غير هؤلاء حتى قال الحافظ: والحق أنه لا يصح من ذلك شىء. وأطال الكلام فيه فيرجع إلى «فتح البارى».

وقيل: كان فرض الأذان عند قدوم المسلمين المدينة، لما ثبت عند البخارى ومسلم والترمذى وقال: حسن صحيح، والنسائى من حديث عبد الله ابن عمر قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها أحد، فتكلموا يوما فى ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود. قال: فقال عمر: ألا يبعثون رجلا ينادى بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بلال، قم فناد بالصلاة» وهذا أصح ما ورد فى تعيين ابتداء وقت الأذان.

أما صيغة الأذان فقد جاء فى رؤيا لعبد الله بن زيد ابن عبد ربه، وقَصَّها على النبى صلى الله عليه وسلم فأقرها، ولما أذن بها بلال وسمعها عمر رضى الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: إنه رأى مثل الذى رآه ابن زيد. روى الحديث أحمد وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح. وألفاظ الأذان هى: الله أكبر، اشهد أن لا اله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، الله أكبر، لا اله إلا الله، وفى أذان الفجر يضاف بعد «حى على الفلاح» الصلاة خير من النوم.

وهذه الألفاظ يمكن أن تؤدي بإحدى كيفيات ثلاثة هى:

الأولى - تربيع التكبير الأول «أى يقال أربع مرات» وتثنية باقى الكلمات «أى تقال مرتين» بلا ترجيع، أى قول أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله سرا قبل الجهر بها، ما عدا كلمة التوحيد وهى الأخيرة فتقال مرة واحدة. فيكون عدد الكلمات خمس عشرة كلمة. كما جاء فى حديث عبد الله بن زيد المذكور.

الثانية - تربيع التكبير الأول، مع ترجيع الشهادتين

« كل شهادة مرتين سرا » والباقى كالكيفية الأولى، فيكون عدد الكلمات تسع عشرة كلمة، كما جاء فى حديث أبى محذورة الذى رواه الخمسة : أحمد وأصحاب السنن الأربعة. وقال الترمذى حسن صحيح.

الثالثة – تثنية التكبير الأول مع ترجيع الشهادتين، والباقى كالكيفية الأولى، فيكون عدد الكلمات سبع عشرة كلمة، كما جاء فى حديث أبى محذورة الذى رواه مسلم ولا مانع من الأخذ بإحدى الكيفيات.

الشهيد وشفاعته لأهله

السؤال من القارئ، عاطف محمد خليفة، من المنشاه بمحافظة سوهاج يقول :

هل من الحديث ما يقال : ما معناه.. أن الشهيد يأخذ معه سبعين فردا من أهله ممن لا يستحقون الجنة ليدخلهم فيها، تقديرا لمنزلته عند الله؟

الجواب : نعم، روى أبو داود وابن حبان فى صحيحه أن أبا الدرداء سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول **« الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته »**. وروى أحمد والطبرانى حديثا عن عبادة بن الصامت جاء فيه **« ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه »** وكذلك روى ابن ماجه والترمذى عن المقدام بن معد يكرب حديثا فيه **« ويشفع فى سبعين من أقاربه »** وقال : حديث صحيح غريب.

ونتيجة الشفاعة دخول الجنة، وقد يكون ذلك بدون عذاب فى النار أوبتخفيف العذاب عنهم، والله أعلم بذلك.

الحلف بغير الله

السؤال من القارئ، أ – ح – ع، من كفر غنام بمحافظة الدقهلية، يقول :

هل يجوز أن نحلف بغير الله، مثل أن نحلف بالمصحف الشريف، وما جزاء من يحلف به باطلا؟

الجواب : لا يجوز الحلف بغير الله كما صح فى الحديث **« من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »**.

والحلف بالله يكون باسمه أو بصفاته، ومنه الحلف بالقرآن لأنه كلام الله، والأولى عدم الحلف مطلقا كما قال الله **« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس »** سورة البقرة : ٢٢٤.

وعند الحاجة أو الضرورة يجب أن يكون الحالف صادقا فيما يحلف عليه ولا يخشى من ذلك ضررا، فإن كان كاذبا فقد ارتكب إثم الكذب، يجب عليه أن يتوب إلى الله توبة نصوحا والندم والعزم على عدم العود، كما يجب أن يخرج كفارة بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فإن لم يستطع صام ثلاثة أيام لا يجب فيها التتابع عند بعض العلماء.

هذا، وإذا كان الحلف كذبا وقصد به الغش أو هضم الحقوق كان يمينا غموسا تغمس صاحبها فى النار، وإن كان بعض الفقهاء خصها بالتى تكون أمام القضاء، وفى حديث البخارى **« الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »** ومع التوبة النصوح لابد من الكفارة كما سبق ذكره.

حمل حقائب السياح

السؤال من القارىء، عبد الباسط عبد الحميد النوبى، من محافظة قنا، يقول:

ما حكم الدين فى حمل حقائب السياح، وأخذ أجر على ذلك، وقد يكون بها خمور، مع عدم علم من يحملها بذلك؟

الجواب: حمل الحقائب للسياح جائز والأجر على ذلك حلال، ما دام الحامل لا يعلم أن فيها خمورا، وهو غير ملزم بالسؤال عما فيها، بل قال بعض الأئمة: إن الأجر مستحق حتى لو علم الحامل بأن فيها خمرا، وبخاصة إذا عرف أن الذى سيشربها هم أصحابها من غير المسلمين، فهو يحملها لا ليشربها مسلم، واستحقاق الأجر فى هذه الحالة كما قال أبو حنيفة لا يحل الانتفاع به «انظر أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام المجلد الثانى ص ٣٤٣».

تعرض الدجاج المذبوح للبخار

السؤال من القارىء، محمد أبو مسلم، من محافظة القاهرة، يقول:

عندما نشترى الدجاج يتم ذبحه عند البائع، ويوضع فى برميل ملىء بدم الدجاج الذى ذبح من قبل ثم يوضع فى مياه ساخنة، ثم جهاز لنزع الريش وكل ذلك ملطخ بالدم، فهل يعتبر لحمه نجس ولا يجوز أكله؟

الجواب: إذا تم الذبح على الطريقة الشرعية لا يضر بعد ذلك تعرض المذبوح للنجاسة بالدم أو غيره، فإنه يمكن تطهيره بالغسل عند طبخه، ويحل أكله دون حرج.

الأحجبة والإيمان بالله

السؤال من القارىء، خيرى طه حسن، من إسنا بمحافظة قنا، يقول:

ما حكم الدين فى كتابة آيات من القرآن الكريم ووضعها داخل كيس لتكون ما يعرف بالحجاب الذى يعلق فى رقبة من يخشى الحسد والسحر؟

الجواب: الأحجبة التى تعلق للوقاية من الحسد والسحر أو أى مرض للشفاء من ذلك، جاء فيها حديث **«من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له»**، رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد والحاكم وصححه.

فإن كانت بآيات من القرآن أو ذكر الله مع اعتقاد أنها لا تؤثر إلا بإرادة الله سبحانه فلا يؤثر ذلك على الإيمان. وجاء فى الفتاوى الإسلامية «مجلد ١٠ ص ٣٥٦٧» أن العلماء اختلفوا فى جواز كتابة بعض آيات من القرآن أو أسماء الله لتكون تمائم، فقالت طائفة بجوازه، ونسبوا هذا إلى عمرو بن العاص وأبى جعفر الباقر، رواية عن الإمام أحمد، وقالت طائفة بمنعه، لحديث أحمد **«من علق تميمة...»** وجزم كثير من العلماء بقول الطائفة الأخيرة لعموم النص، وسَدًّا للذريعة حتى لا يكبر الصغار وهم يعتقدون أن التمائم هى التى تشفى وتحفظ دون إرادة الله، وليس هناك حديث يقول **«خذ من القرآن ما شئت لما شئت»** ويراجع فى ذلك تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٣١٨.

المصورون... يوم القيامة

السؤال من القارىء، حسنى عبد المنعم إبراهيم، من محافظة الدقهلية، يقول:

هل من الحديث ما يقال: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير» ومن هم المصورون

الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة؟

الجواب: اتفق العلماء على أن المصورين الذين ورد ذمهم فى الأحاديث هم صانعوا التماثيل بشروط ثلاثة أن تكون تامة الأجزاء الظاهرية ولها ظل، وألا تكون هناك مصلحة تدعو إليها، وأن تكون من مادة تبقى مدة طويلة كالخشب والمعدن والحجر، فلا يحرم التمثال النصفى، ولا التماثيل التى هى وسائل الإيضاح كتعليم الطب، ولعب الأطفال للتمرن واللهو بها، ولا التماثيل المأخوذة من حلوى وشمع وعجين وثلج وغير ذلك.

أما الحفر والنقش والرسم بالأدوات والتصوير الفوتوغرافى، ففيه آراء مختلفة بين الحرمة والحل وما دام فيه خلاف فلا يجوز التعصب لرأى، وما دامت ليست للعبادة والتقديس، وليست للفتنة والإغراء فلا حرمة فى عملها واقتنائها، «راجع المجلد الثانى من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» ففيه توضيح كبير.

الأذان للصلاة

السؤال من القارىء، شعبان أبو زهرة، من شبراخيت بمحافظة البحيرة، يقول:

ما حكم الدين إذا حان وقت الصلاة ولم يؤذن أحد فى المسجد الوحيد بتلك القرية؟ ومن المسئول عن ذلك؟

الجواب: الأذان للصلاة واجب وقيل مندوب، وذلك على الكفاية أو التعيين وإذا قام به واحد سقط الطلب عن الباقين، وإذا تركه أهل القرية ارتكبوا إثما على القول بالوجوب، أو فاتهم ثواب على القول بالندب. لأنه شعار الإسلام فى هذه القرية، وقد كان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم عندما يرسل جيشا للغزو يقول لهم «**إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مناديا - مؤذنا - فلا تقتلوا أحدا**» رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه، وكان هو إذا غزا قوما لم يغز حتى يصبح، فإذا سمع أذانا أمسك، وإذا لم يسمع أذانا أغار بعدما يصبح. رواه البخارى وروى أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم وصححه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «**ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان**» قال بوجوبه أحمد ومالك وتفسد الصلاة بتركه عند بعض العلماء، وقال الشافعى وأبو حنيفة: إنه سنة، وقال بعض أصحاب الشافعى: إنه فرض كفاية، من هنا يعرف أن المسئول عن عدم الأذان فى المسجد الوحيد فى القرية هم أهل القرية جميعا.

الزواج وبعض التقاليد

السؤال من القارىء، ى - أ - ح، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول:

ما حكم الدين فى إفضاء بكارة الزوجة بالإصبع؟

الجواب: فض بكارة الزوجة بالإصبع تقليد فى بعض البلاد، وهو مخالف للسنة لأمور منها:

١- أنه يؤلم المرأة ألما شديدا، والإسلام ينهى عن الضرر والضرار، وهو ضرر غير ضرورى لوجود وسائل أخرى لا تؤلم.

٢- قد يكون سببا فى التهابات يصاب بها الرحم، ومضاعفات قد يمتنع معها الحمل.

٣- قد يشترك فيه بعض النساء مع الزوج، أو ينفردن به، وفيه مخالفة شرعية لا داعى لها.

ولهذه العادة صور قديمة ذكرتها فى الجزء الأول من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ص ٤٢٨ فليرجع إليه من شاء الاستزادة.

قضاء الفوائت

السؤال من القارئ، محمد لطفى السيد جاد، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول:

هل يحاسب المرء على ما فاته من صلوات لعدة سنوات وماذا يفعل، وهل يغفر له الله عما تركه من صلوات؟

الجواب: نعم يحاسب المرء على ما فاته من صلوات لعدة سنوات، ويجب عليه قضاؤها بالطريقة التى تناسبه، ولن يغفر الله له ما فاته من الصلوات إذا لم يقضها، اللهم إلا إذا شاء كما قال سبحانه «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» سورة النساء: ٤٨.

ويتأكد القضاء إذا كان فواتها عمدا بدون عذر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوجب القضاء عند الفوات فقال «من نام عن صلاة أو سها عنها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» رواه البخارى ومسلم، فالقضاء للفوات بغير عذر أولى بالوجوب.

وإذا قيل إنَّ ترك الصلاة عمداً كفر، فهذا الكفر ردة، وإذا عاد إلى الإسلام وجب عليه قضاء ما فاته من واجبات مدة الردة، وقال أبو حنيفة: لا قضاء على المرتد إذا تاب كالكافر الأصلى يسلم فيغفر له ما قد سلف.

إبليس والملائكة

السؤال من القارئ، سعودى أحمد حسن، من نجع حمادى بمحافظة قنا، يقول:

لمن كان النداء فى قوله تعالى:

«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» سورة البقرة: ٣٤.

وهل كان إبليس من الملائكة؟

الجواب: الصحيح أن إبليس ليس من الملائكة، لأنهم معصومون، وكان لشدة طاعته ملصقا بهم، ولما وجه الله الأمر بالسجود لآدم وجهه أصلا إلى الملائكة كما هو نص الآية، وإبليس تابع لهم، ولم يكن الأمر للملائكة بصيغة عامة صريحة تشمل إبليس مثل «اسجدوا أنتم وإبليس لآدم». فالأصل فى الأمر هو للكثرة الغالبة، من غير حاجة إلي أمر قلة نادرة يمثلها شخص واحد ضمن الكثرة التى لا تحصى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» راجع عدد ذى الحجة ١٤١٣» ففيه الخلاف بين كونه ملكا أو غير ملك، والأدلة فى ذلك مناقشة ولا يمكن القطع برأى فى الموضوع، وكتاب «آكام المرجان للشبلى» فيه تفصيل وتوضيح.

حكم سب الدين

السؤال من القارئ، حسنى عبد المنعم، من أجا، بمحافظة الدقهلية يقول:

ما حكم الدين فى سب الدين فى حالتى الغضب، والمزاح؟

الجواب: معروف أن سب الدين كفر، سواء أكان ذلك فى غضب أم فى مزاح وتجب استتابة من فعل ذلك، فإن لم يتب كان مرتدا وطبق عليه الحد، والحد معروف وهو القتل لحديث «من بدل دينه فاقتلوه» والمسئول عن ذلك أولو الأمر، والقتل قيل يعجَّل به، وقيل بعد ثلاثة أيام لترك فرصة للتوبة.

ولا عبرة بما يقال: إن سب الدين كان فى غضب، لأنه ما دام يشعر بما يقوله فهو مسئول، كما لا عبرة

بما يقال: إن ذلك كان مزاحا، فالمزاح مذموم إذا كان بغير حق، وسب الدين فى قمة الباطل فلا يمزح به.

فى التفسير

السؤال من القارئ، البدرى محمود رشوان، من محافظة أسيوط، يقول:

فيمن نزلت الآية الكريمة «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون» (سورة التوبة: ٧٥، ٧٦).

الجواب: ذكر كثير من المفسرين أنها نزلت فى ثعلبة بن حاطب، ويظن كثير من الناس أنه هو ثعلبة أحد من شهد بدرا، وهنا يجئ السؤال: كيف يصح أن يكون ثعلبة من أهل بدر ثم ينقلب منافقا يسجل نفاقه فى القرآن؟

وقد ذكر المحققون أن ثعلبة هذا غير ثعلبة البدرى، والتشابه إنما هو فى الاسم فقط، ولما ذكر الباردوى وابن السكن وابن شاهين وغيرهم أنه هو البدرى أنكر الحافظ ابن حجر ذلك وقال فى كتابه «الإصابة»: ولا أظن الخبر يصح، وإن صح ففى كونه هو البدرى نظر.

وذكر ابن الكلبى أن ثعلبة بن حاطب الذى شهد بدرا قتل بأحد، فتأكدت المغايرة بينهما، فإن صاحب القصة تأخر إلى خلافة عثمان. قال: ويقوى ذلك أن فى تفسير ابن مردويه: اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه صلى الله عليه ولم قال «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا فى قلبه وينزل فيه ما ينزل؟ فالظاهر أنه غيره.

فالواجب التحري عند ذكر هذه القصص المثيرة.

الطلاق بالتليفون

السؤال من القارئ، سمير عطيه السيد خليفة، من المحلة الكبرى، يقول:

هل يقع الطلاق من خلال شجار أثناء مكالمة تليفونية بين الزوج والزوجة

الجواب: نعم، يقع الطلاق بالتليفون كما يقع بالكتابة ونحوها.

الاحتياط فى المعاملات المالية

السؤال من القارئ، أ - ح - ع، من محافظة الدقهلية، يقول:

ما حكم الدين فيمن اقترض مبلغا من المال، ثم ادعى بأن الذى أقرضه قد غافله بأنه جعله يوقع على شيك بالمبلغ مستغلا كونه كفيفا؟

الجواب: إذا كان الشيك هو بالمبلغ الذى اقترضه فليس فيه ظلم له، والتوقيع عليه مطلوب لضمان الدين، كما أمر الله بالاحتياط فى المعاملات بالكتابة والاشهاد، وذلك فى آية الدين فى أواخر سورة البقرة، أما إذا كان التوقيع على بياض وكتب فيه الدائن مبلغا أكبر فذلك غش وظلم وسحت، لابد من عمل الإجراءات لإبطاله قانونا، وإلا فإن الله سينتقم من الظالم ولو بعد حين، وسيعوض الله المظلوم خيرا.

مع القراء

يحرره حسين السكرى

الطفل المسلم.. بين التعريب والتغريب

للقارىء : يحيى السيد النجار - المطرية - شارع الحزاوى

يجىء مولد الطفل المسلم؛ وقد بات التساؤل ماذا أعد له والإسلام حدد لذلك معالم بناءه؛ منها: حسن اختيار الإسم، وللأم دور فى تنشئة الطفل، وكتاب الله الكريم خص النساء ببعض السور القرآنية، مثل النساء، الطلاق، التحريم، المجادلة، الممتحنة، ولنا أن نتذكر الأم هاجر وولدها اسماعيل - عليهما السلام - وقصة نبع زمزم، وأستاذية بعض السيدات، السيدة خديجة - رضى الله عنها - وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وأبنائها الأربعة لتحقيق السيادة والطموح، والسيدة غنية بنت عقيف لإبنها حاتم الطائى، وصفية بنت عبد المطلب والدة الصحابى الجليل عبد الله بن الزبير ابن العوام، وهند بنت عتبة لإبنها معاوية، نماذج عديدة تدعونا لليقظة، أين ثقافة الطفل والنشء المسلم، بثقافة عقيدته التى تمتلك القيم والمهارات والعلوم والفنون والآداب؟ فالطفل يولد على الفطرة، والإعلام المرئى اليوم يستهوى الطفل بآليات التغريب الممثلة بالرسوم المتحركة وأفلام الكرتون وطفل السوبر مان وتوم وجيرى وسلاحف النينجا الخ، بل الإعلام التجارى أصبح يغازل الطفل حتى ساد الإعتقاد بأن الإنسان وليس الطفل لا يكون عصريا إلا إذا أخذ من نمط الآخر زيا وسلوكا وأفكارا وثقافة، ولذلك فالأمة العربية والإسلامية بحاجة إلى ثقافة إسلامية توجه النشء، فهل نخطط لإعلامنا المرئى لكى تتحقق مقومات النهضة الإسلامية؟

• • •

فى الحقيقة لقد اتسع الخرق على الراقع وأصبحت الأسرة والأم بالذات تعانى من هذا التضارب العجيب الذى يحدث فى المجتمع الإسلامى العربى، فقد باتت الأسرة فى حيرة من أمرهامن جراء هذا الكم الهائل الذى يشاهده الطفل فى إعلامنا المرئى والذى يواكب الحضارة المعاصرة حتى أصبح الطفل المسلم إلى أين يتجه وكيف يسير ومن أى الثقافات ينهل؟

والأمل معقود على رواد الثقافة لتحقيق تلك النهضة الصحيحة.

الصبر والإيمان

للقارىء : أحمد السعدى أحمد - عين شمس الشرقية - مدرس بمدرسة الزهراء الصباحية

الصبر فى الله هو الحبس وكف النفس في ضيق ومنه قيل: فلان صبر إذا أمسك وحبس، قال - تعالى - فى سورة الكهف: «**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى**» أى احبس نفسك معهم، وجاء أن الصبر هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى، والصبر على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله، فالأول والثانى: صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: صبر على مالا كسب للإنسان فيه، وينقسم الصبر بنوع آخر إلى: صبر بالله، وصبر لله، فالأول: هو الإستعانة بالله، وأنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، (واصبر وما صبرك إلا بالله) والثانى: أن يكون الباعث على الصبر محبة الله والتقرب إليه، وللصبر مراتب خمسة: الصابر: أعلم بأنواع الصبر وأكثرها شمولا، والمصطبر: المكتسب للصبر، والمتصبر: متكلف الصبر حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر والذى

صبره أشد من صبر غيره، والصبار: الشديد والكثير التحمل.

• • •

مهما تعددت المسميات فى الصبر وأنواعه فلا جدال فى أن الصبر هو أعلى مراتب الإيمان؛ لأن قهر النفس وكبح جماحها يستلزم إرادة حديدية وعزيمة قوية وإيمانا راسخا ويقينا ثابتا ومعرفة قوية بالله - سبحانه - ولهذا أشاد الله بالصبر والصابرين وجعل ذاته العلية معهم حيث قال: جل وعلا: (إن الله مع الصابرين) وقال فى آية أخرى: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون).

مطالب لها وجود

للقارىء: إسلام الأقرع - اخناواى - طنطا

من وصايا الإمام على كرم الله وجهه: (طلبت الرفعة فوجدتها فى التواضع، وطلبت الرياسة فوجدتها فى العلم، وطلبت النصرة فوجدتها فى الصبر، وطلبت العبادة فوجدتها فى الورع، وطلبت الغنى فوجدته فى القناعة، وطلبت الشكرفوجدته فى الرضى، وطلبت ترك الغيبة فوجدته فى الخلوة، وطلبت الملك فوجدته فى الزهد، وطلبت الصاحب فوجدته فى العمل الصالح، وطلبت العافية فوجدتها فى الصمت، وطلبت السعادة فوجدتها فى حب الله ورسوله، وطلبت الأنس فوجدته فى تلاوة القرآن) من كتاب (نهج البلاغة) للشريف الرضى.

• • •

الإمام على - كرم الله وجهه ورضى الله عنه - يملك زمام البلاغة وأعنة البيان ولسان الحكمة ونصاعة القلب وقوة العارضة، وكلامه ينبع دائما من إيمانه ويقينه، فالتقوى عنده تغلب على كل شىء حتى جعلته زاهدا قانعا يعتبر الدنيا كأنها ظل زائل وعارية مستردة وأنها لا تساوى فى نظره جناح بعوضة ولهذا جاءت حكمته التى نطق بها حكمة واعية عالية تحصن على القيم النبيلة والمثل العليا والفضائل السامية.

الإسراء والمعراج

للقارىء: مصطفى محمد سليمان المراغى - مدرس بالمعاهد الأزهرية

يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى من أطيب الذكريات ومعجزة من أعظم المعجزات التى أيد الله بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - تلك المعجزة هى الإسراء والمعراج التى خلد الله ذكرها وجعلها حجة لأشرف العالمين وبرهانا على نبوة خاتم النبيين والمرسلين، لم تكن هذه المعجزة رؤيا منام كما يزعم بعض الناس ولم تكن بالروح وحدها كما يزعم قوم آخرون، ولو أنها كانت كذلك لم تكن معجزة ولما اختلف الناس فيها، ولكنها كانت بالروح والجسد معا، وظواهر الأحاديث ناطقة بذلك ولا معنى للتأويل ما دامت قدرة الله صالحة لذلك، ورد فى الخبر أن الله - تعالى - قال: (يا محمد بما أشرفك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شرفنى بالعبودية لك يارب، فقال الله - تعالى - «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**»، إن الحكمة فى إسرائه - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس كانت لإظهار الحق على من عاند من كفار مكة وغيرها، لأنه لو عرج به من مكة إلى السموات العلا لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان، فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء كانوا رأوها وهم يعلمون أنه لم يكن قد رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها جاء التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء به إلى بيت المقدس، أما الحكمة فى كونه بيت المقدس هو منتهى الإسراء ومنطلق المعراج وتخصيصه بذلك دون غيره من الأماكن فهو أن مكة فيها أول بيت وضع للناس لعبادة الله وأن مدينة القدس فيها البيت الثانى لعبادته وهو (بيت المقدس)

والله أعلم انها إرادة الله - جلت قدرته - بأن تتطهر هذه المدينة من المظالم والإنحراف كما تتطهر مكة من الشرك والوثنية.

● ● ●

الإسراء والمعراج بكل المقاييس علامة مضيئة ناصعة فى تاريخ الرسالة المحمدية ومهما تقول المتقولون وأرجف المرجفون فلن ينالوا من هذه الإشراقة الكريمة التى كانت فتحا جديدا فى جبين صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - ودعما قويا للإسلام والمسلمين وحجة دامغة أخرست الألسن وأفحمت القلوب الكافرة الجاحدة.

همسة خفيفة

للقارى، : محمد عبد العزيز خضير - أبو زعبل

ليس هناك أحد من البشر أرحم من الرسول العظيم الذى تجمعت فيه الخصال الحميدة ومحامد الشيم وصار عنوانها ونورها الذى يهدى كل السالكين، وقد شهد له العدو قبل الصديق والقوى قبل الضعيف والكافر قبل المؤمن؛ فحقا هو رسول الرحمة من قبل الرحمن الرحيم، وقد حقت فيه مقولة ربه: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وليس هذا للجن والإنس فحسب، ولكن لكل العوالم على السواء، فكانت رسالته الطاهرة التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور وأصلحت ما بينهم وهدتهم إلى الصراط المستقيم، بهذه الرحمة كانت الدعوة للحق وعمارة الدنيا والعمل فيها إلى طريق الآخرة، أفليس له الحق وهو الغنى عن الفخر والتعريف حيث قال: (إنما أنا رحمة مهداة) فما أحوجنا اليوم لتلك الرحمة التى نزعت من قلوبنا حتى إن البشاشة اختفت من الوجوه وصار الضيق والغضب هو الظاهرة وما تخفى النفوس أعظم، والحق - سبحانه - يقول فى محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المؤمنين - رضى الله عنهم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) فارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء، وسيروا على نهج رسولكم العظيم، وتخلقوا بقوله - سبحانه: **«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك»**.

● ● ●

الرحمة من أهم العوامل الأساسية فى حياة البشر، ولو تراحم الناس فيما بينهم لما بقى جائع ولا محروم ولا فقير ولا مظلوم ولخلت الدنيا من الفواجع واستراحت الناس فى المضاجع وأشرقت القلوب بنور الله وسار العدل فى طريقه إلى مجراه، ومن هنا ضرب لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أروع المثل فى رحمته وعدله ليكون قدوة لنا وأسوة نتأسى بها أبد الدهر ومدى الحياة.

التجارة مع الله

للقارى، : زكريا عبد الله قرمد - أويش الحجر - المنصورة - دقهلية.

التجارة مع الله - سبحانه مربحة، وأى ربح أكثر من هذا؟ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر من ذلك، وأول من تاجر مع الله - تعالى - الإمام على - كرم الله وجهه - روى أن الطعام والشراب نفد من بيت الإمام على فخلعت السيدة فاطمة - رضى الله عنها - ثوبها وأعطته له وقالت: (إذهب إلى السوق وبعه واشتر بثمنه طعاما وشرابا، فذهب الإمام على وباعه بستة دراهم وهو عائد وجد مساكين محتاجين فأعطاهم الدراهم، فماذا يفعل وقد باع الثوب وتصدق بثمنه؟ وعندما كان فى طريقه للبيت قابله رجل ومعه ناقة قال له: يا أبا الحسن؛ اتشترى هذه الناقة؟ قال: (نعم ولكن ليس معى ثمنها، قال: أبيعها لك إلى الأجل، قال: بكم؟ قال: بمائة درهم، فاشتراها الإمام على وبعد قليل قابله رجل آخر وقال له

يا أبا الحسن، أتبيع هذه الناقة؟ قال نعم، قال: بكم؟ قال: لقد اشتريتها بمائة درهم، قال: وأنا أشتريها منك بمائة وستين درهما، فباعها له، وبعد قليل قابله الرجل الأول فقال له: يا أبا الحسن أين الناقة؟ قال: لقد بعتها، قال: بكم؟ قال: بمائة وستين درهما، قال: إذن فاعطنى حقى المائة درهم، فأعطاه حقه، وعاد إلى البيت وأعطى الستين درهما للسيدة فاطمة وعندما رأت ذلك قالت: والله لا نأكل منها بدرهم حتى نسأل أبى رسول ا لله، فذهبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - وقصا عليه ما كان وكان متكئا على فخذيه فجلس وقال: أبشر على، لقد تاجرت مع الله فتاجر الله معك، يا على: أتعلم من البائع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: يا على: أتعلم من المشترى؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال يا على: أتعلم لمن الناقة؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: يا على، بائع الناقة لك جبريل ومشتريها منك ميكائيل، والناقة مركب ابنتى فاطمة

فى الجنة، يا على: لقد أعطيت ثلاثة لم يعطهن أح[...] قبلك؛ فزوجتك سيدة نساء أهل الجنة وإبناك سيد[...] شباب أهل الجنة وصهرك سيد المرسلين وشفيع الأمة[...] هذه هى التجارة مع الله وهذا ربحها وثوابها، فلنتاج[...] مع الله - تعالى - لأنها تجارة لن تبور.

● ● ●

التجارة مع الله لا تعاد لها تجارة، لأنها تجارة خالص[...] لا يقصد بها إلا وجه الله - جل وعلا - وصاحب هذ[...] التجارة قد تجرد من كل اغراض الدنيا وأخلص عم[...] لله - سبحانه - فلم تكن الدنيا أكبر همه ولا مب[...] علمه، بل يكفيه منها ما يقويه ويحفظ حيويته وجهد[...] ليتفرغ للعبادة الكاملة التى تعتبر بالنسبة له كل م[...] يريده ويتمناه فى هذه الدنيا الفانية، وقد كان الإما[...] على والسيدة فاطمة - رضى الله عنهما - هما خي[...] من تاجر مع الله.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - رجب ١٤١٨هـ

السؤال : «فلسفة التحرير الإسلامى للمرأة قد راعت تمايز التكوين الطبيعى لكل من الذكر والأنثى فى إطار المساواة الإنسانية تحقيقا لتكاملهما»

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... إسم الكاتب : ....

العنـــوان : ....

العمـــل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفـــون : ....

رقم البطاقـــة: .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة.

أهلاً
بريد التعارف

الاسم : فايز توفيق محمود البلغورى
الهواية : تلاوة القرآن الكريم
العنوان : سوهاج بلصفورة

الاسم : محروس فكرى خليل أحمد
المهنة : إمام وخطيب
الهواية : قراءة كتب التصوف
العنوان : قنا نقاده ـ كوم الضبع

الاسم : أنور محمد قاسم خلف الله
الهواية : القراءة والمراسلة
العنوان : السراطنية ـ أبو تشت
المهنة : محاسب مساعد/بنك القرية

الاسم : مصطفى غريب السعيد
الهواية : القراءة
المهنة : طالب
العنوان : كفر الشيخ ـ الحامول ـ غرب تيرة الجدية ٤٧

الاسم : شعبان عبدالنبى محمود على
الهواية : الإطلاع الدينى
العنوان : قنا دشنا أبومناع بحرى

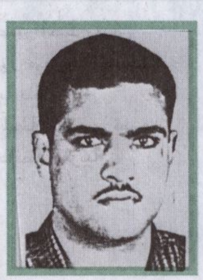

الاسم : عمر حسن خليل الحداد
المهنة : معيد بكلية العلوم
العنوان : ش سعد زغلول مركز ناصر ـ بنى سويف

الاسم : محمود محمد أحمد عبدالحميد
المهنة : طالب بكلية الآداب
العنوان : قنا ـ قفط ـ البراهمة

الاسم : إيهاب حسنى محمد أبو الدهب
الهواية : قراءة القرآن الكريم
المهنة : إمام وخطيب ومدرس
العنوان : أسيوط ـ صدفا ـ الشنانيه

الاسم : السيد لبيب أبو عقرب

الهواية : قراءة الكتب الدينية

العنوان : سوهاج بلصفورة

الاسم : على أحمد حاوى

المهنة : مشرف فنى وعلمى بمساجد قنا

العنوان : قنا قفط

الهواية : الشعر العامودى بالفصحى للمناسبات الدينية

الاسم :محمود مصطفى عرفه

المهنة : طالب

العنوان : كفر الزيات ـ محافظة الغربية.

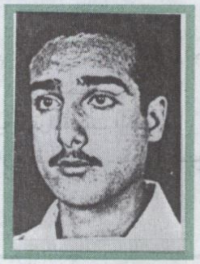

الاسم : سامى على حامد محمد عبدالله

الهواية : الإطلاع الدينى والشعر الدينى

العنوان : كفر الشيخ ـ سيدى سالم ـ قرية أحمد سليمان.

الاسم : حسان السيد أحمد

المهنة : امام وخطيب ومدرس

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : سوهاج ـ البلينا ـ بنى جميل

الاسم : عماد عبدالفتاح أيوب

المهنة : طالب بالأزهر

العنوان : إدفينا ـ مركز رشيد ـ البحيرة

الاسم : منصور أحمد زيدان

المهنة : وكيل مدرسة طلعت حرب الثانوية بنات

العنوان : المحلة الكبرى نمره البصل ـ محافظة الغربية

الاسم : صلاح عبدالناصر أحمد

المهنة : موظف بوزارة الصحة

العنوان : مساكن العبور بالرأس السوداء بلوك ١٧ مدخل ١ شقة ١١ المنتزة ـ الاسكندرية

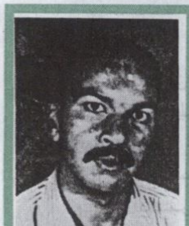

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ كلمة التحرير		١
□ حديث الشهر	د. عبد الصبور مرزوق	٢
● حدثى يا قدس (قصيدة)	رشاد محمد يوسف	٤
□ القرآن الكريم وعلومه		٥
● تفسير سورة الفتح	د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر	٦
● التفسير البيانى للقرآن الكريم	د. عبدالغفارحامد هلال	١٠
● دور العلم فى تجلية معانى القرآن	د. أحمد فؤاد باشا	١٥
● خلق الوفاء	د. عبدالغفار عبدالرحيم محمد	٢٠
● الحنين إلى القدس (قصيدة)	عمر موسى البرعى	٢٤
□ فى ذكرى الإسراء والمعراج		٢٥
● الإسراء والمعراج	د. أحمد عمر هاشم	٢٦
● رجب الحرام وليلة الإسراء والمعراج	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٢٨
● من أحداث شهر رجب	الدكتور أحمد شلبى	٣٤
● فى ذكرى الإسراء والمعراج (قصيدة)	عبدالفتاح الطاهر على	٣٨
□ دراسات فى السنة المطهرة		٣٩
● المسلم وألد أعدائه	الشيخ إبراهيم الدسوقى	٤٠
● عندما أقسم رسول الله	د. مصطفى رجب	٤٦
□ الحضارة والعلوم		٤٩
● الإسلام وأثره فى تكوين الفكر العالمى	د. محمود حمدى زقزوق	٥٠
● النظام الاقتصادى فى الإسلام	د. عبدالله شحاتة	٥٣
● الوسطية الإسلامية فى الحرية الإنسانية	د. محمد عمارة	٥٨
● الغزو الثقافى أهم قضايا التعليم المعاصر	د. إبراهيم سليمان عيسى	٦٣
● ماليزيا المسلمة	د. محمد بهى الدين سالم	٦٨
□ بيان مجمع البحوث حول الاستنساخ البشرى		٧٥
● الدعوة والدعاة		٨١
● الدعوة بين فورة الشباب وحكمة الشيوخ	د. محمود محمد عمارة	٨٢
● مكانة الشهداء عند الله	لواء جمال الدين محفوظ	٨٧
● دور المسجد فى بناء الأمة	د. مسعد محمد الديب	٩٠
● الدين منهج والتزام	د. محمد شامة	٩٣
● التحدى السياسى فى العالم الإسلامى	د. الشحات محمد الجندى	٩٥
□ المكتبة الإسلامية		٩٩
● كتاب معترك الأقران فى إعجاز القرآن	د. رمضان عبد التواب	١٠٠
● الرسول ... حياة محمد	أ. فتحى الإبيارى	١٠٧
□ شخصيات إسلامية		١١١
● مالك بن نبى المفكر الجزائرى	د. محمد رجب البيومى	١١٢
● حقوق الإنسان فى الإسلام (ندوة الشهر)	إعداد: منير بيومى	١١٧
● الجريمة التى يختم بها البعض حياته	المستشار حسن حسن منصور	١٢٦
● لماذا أسلم هؤلاء	أ. أحمد حامد	١٢٩
● أنت تسأل والفقيه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٢
● مع القراء	حسين السكرى	١٣٩
● التعارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١١
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى ـ ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير ـ المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام التجارية - قليوب